معهد الثقافة الشعبية
رقم الجرد 260
تاريخ الوصول
رقم التصنيف 2.1.1.2

MAG-417.01

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد
تلمسان
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية
قسم الثقافة الشعبية

الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
المكتبة

رسالة لنيل شهادة الماجستير في شعبة اللهجات:

الفروق الصوتية

بين

اللهجات العربية القديمة

واعتداداتها في اللهجات الجزائرية المعاصرة

- لهجة سيدي بلعباس نموذجا -

إشراف الأستاذين:
د./ عكاشة الشايف
أ./ المهدي بوربـــة

إعداد الطالبة
أمـــينة الطيبي

السنة الجامعية: ١٤٢١-١٤٢٢/ ٢٠٠٠-٢٠٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى الذين يحرقهم الشوق

إلى العطاء...

إلى الحب...

إلى الخير...

لأجل أن نملأ الأرض بشارات ونورا.

إلى عائـــلتي.....

إلى الذي علمني كيف أناغي كوثر الكلمات...

إلى من أحمل له كل التقدير والإجلال حتى اعتبرته رمزا للمضي قُدما...

إلى أستاذي المهدي بوروبة

كلمة شكر

أساتذتي الكرام:

دا شايف عكاشة.

المهدي بودوبة.

أوشاطر مصطفى:

لو كنت أعرف فوق الشكر منزلة

أوفى من الشكر عند الله في الثمـــــن.

أخلصتها لكم من قلبي مهذبة

أوفى حذوا على مثل ما أوليتم من حسن

وأشكر أساتذتي الذين حملوا القسطاس المستقيم بأيديهم،

ونبضات الحنان في قلوبهم...

الذين لا تكفي أصابع يدي لعدهم.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل العربية أشرف لسان، وأن كتابه المحكم في أساليبها الحسان، والصلاة والسلام على أفصح العرب لهجة، وأبلغهم حجة، وأقوم الدعاة إلى الحق محجة، وعلى آله الأمجاد وصبه الذين فتحوا البلاد ونشروا لغة التنزيل في الأغوار والأمجاد وحببوها للأعاجم حتى استقامت ألسنتهم على النطق بالضاد.

سئل قديما أحد الحكماء عن مواطن الحكمة فأجاب:" وضعت الحكمة في ثلاثة: مخ الإفرنج، وأيدي الصينيين، ولسان العرب"، فالعرب أمة حباها الله بالبراعة اللغوية، وقوة البيان، واقتضت حكمته عز وجل أن يجعل معجزة رسوله العربي من جنس ما برع فيه أهله. ومن هنا كانت اللغة العربية أغنى اللغات السامية وأكملها على الإطلاق، على الرغم من قصر تاريخها المدون ثم زادها الإسلام غنى وثراءً بما نقله إليها وأضافه إلى متنها من معاجم اللغات الأخرى التي كانت تعاصرها، أو تلك التي انضوى أصحابها تحت راية الإسلام، فاللغة العربية غنية بألفاظها وعباراتها، ظهر جمالها في كل بلد أشرقت فيه شمس الإسلام، بعدما أكسبها القرآن الكريم حلة ثمينة، فزادها ثروة لفظية، وأفاض عليها جمالا فنيا، وبيانا سهلا مؤثرا، كما أحدث فيها علوما لسانية من نحو وصرف، وبيانية من بلاغة، وتشريعية من فقه وأصول، وأن تدخل عالم العربية يعني أن تدخل عالما له خصوصية وطعم مميز لا ينسى.

وبعد، فهذه خاطرة والبحث أمر آخر، فالبحث في اللهجات العربية القديمة، محاولة في الاتجاه الصعب، لأن جمّاع اللغة في القرن الثاني والثالث انصب اهتمامهم على اللغة المشتركة، و لم يعطوا اللهجات على تنوعها العناية اللائقة بها ومن هنا ركزوا في تدوينهم على الفصحى، و لم يسجلوا من اللهجات المنسوبة إلى أهلها إلا قليلا، لا سيما إذا كان الميدان اللغويات العربية القديمة. فتماسك اللغة العربية لم يمنع من وجود لهجات مختلفة متنوعة صبغت اللغة العربية منذ قديم

الزمان، إذ يمكن أن نتصور شعراء وسكان القبائل إذا عادوا إلى قبائلهم، تكلموا بلهجاتهم الخاصة، التي لا يمكنهم التملص منها ، من ذلك تجربة أبي عمرو بن العلاء فيما يخص النصب والرفع، إذ لم يستطع الحجازي إلا على النصب لم يستطع الآخر إلا على الضم. هذه اللهجات، امتدت مع الفتوحات الإسلامية حتى وصلت إلى شمال إفريقيا ، فالفاتحون حملوا معهم إلى جانب اللغة المشتركة، لهجاتهم المختلفة، التي تفاعلت بعد ذلك مع اللهجات الأصلية، وحدث بعد ذلك التأثير والتأثر.

تردت كثيرا في اختيار موضوع للبحث، إذ كان ميلي في البداية إلى الدراسة النظرية، واخترت لذلك موضوع" الدراسة اللهجية الصوتية في كتاب سيبويه وموضوعاتها، ومنهج تناولها"، لكن انتمائي إلى قسم الثقافة الشعبية، وبالضبط شعبة اللهجات الذي يستلزم الجانب التطبيقي، فهذا التخصص يتطلب دراسة ميدانية كان من الواجب عليا أن أقوم بها، ومن ثم وقع اختياري على لهجة سيدي بلعباس لأسباب علمية وموضوعية، وأخرى شخصية. وكانت رغبتي في استخراج النظام الصوتي السائد في هذه اللهجة، ثم أعود به إلى اللهجات العربية القديمة، آملة بهذا العمل المساهمة في تفسير ما أصاب الفصحى من تطور في أصواتها، ثم إن عملا بهذه المواصفات يتطلب تفرغا وعملا ميدانيا، وبحكم انتمائي إلى هذه المنطقة يسر لي ذلك الدراسة الميدانية.

وأصارحكم القول إنني ترددت في البداية في خوض عمل كهذا، لأنني رأيته يسيء إلى العربية الفصحى، لا سيما بعد هذه الهجمات المختلفة التي تعرضت لها العربية – ومازالت – تدفعها نزعات قديمية، وعواطف منحرفة، فظننت أنني بعملي هذا سأكون من صفهم، لكن وبعد مناقشة مع أستاذاي، أدركت أن ما سأقوم به هو عمل يخدم الفصحى ويرد لهجاتها المعاصرة إلى أصولها الأولى بإعادة توطيد الصلة، ومحاولة الكشف عن بعض التطورات الصوتية التي

شهدتها الفصحى عبر تاريخها الطويل، وذلك من خلال البحث عن نماذج لهجية تشبه ما حدث في الفصحى.

ومن أجل هذا، وحتى يخرج الموضوع في أجمل صورة ارتأيت أن يكون مرتبا على: مدخل ، ثلاثة فصول وخاتمة.

أما المدخل، فبينت فيه مساهمة القدامى في الدرس اللهجي، هذا الجانب الذي كان محل جدال بين المحدثين، والذي استطعنا من خلال ما توفر لدينا من معطيات، إثبات أن القدامى تناولوا فعلا الدرس اللهجي، بالتحليل والشرح والتعليل، والدليل على ذلك كثرة المصنفات التي أثرت عنهم في هذا الحقل، بل قد يكون البحث اللهجي أقدم ميدان خاض فيه اللغويون، ومنبهة ذلك مؤلفات عبد الله ابن عباس ومعظمها يصب في هذا الاتجاه، وفي الفصل الأول، عرضت إلى الفروق الصوتية بين القبائل العربية القديمة من خلال ما وصلنا عن النحاة واللغويين في هذا المجال، مسترشدة بتلك الشروح التي حملتها مصنفات التراث اللغوية، والتي أبدى فيها أصحابها براعة في تناول بعض الظواهر اللهجية ذات الأساس الصوتي، كما استفدت من معالجة المحدثين لهذا الجانب من تراثنا اللغوي، فكانت دراسته منارة أضاءت سبيلي. أما الفصل الثاني فأخلصته لدراسة لهجة سيدي بلعباس، متناولة الأصوات اللغوية السائدة فيها، مع موازنتها بالمنظومة الصوتية في اللغة المشتركة، ثم دراسة التغيرات الصوتية التي اعترتها على لسان الناطقين بها، منتهية باستخراج الخصائص الصوتية، التي انمازت بها هذه اللهجة، ثم صلتها بأصوات الفصحى، ثم يأتي الفصل الثالث مقوما لدرس القدامى في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، وهذا مع ربط لهجة سيدي بلعباس بأصولها العربية الأولى. ثم أنهيت هذا البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التي اهتديت إليها.

وكان زادي في تحقيق هذه الدراسة مجموعة من الكتب المتنوعة النحوية كـ"الكتاب" لسيبويه، واللغوية كـ" العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي،

و"سر صناعة الإعراب" و"الخصائص" لابن جني، والصرفية كـ" المخصص" لابن جني، ومن كتب القراءات نحو" النشر في القراءات العشر" لابن الجزري وغيرها من الكتب الأخرى، كما استعنت بمجموعة من الكتب الحديثة والتي دللت لي طريق البحث نحو " في اللهجات العربية" لإبراهيم أنيس، " اللهجات العربية نشأة وتطورا" لعبد الغفار حامد هلال وغيرها.

و لم تكن هذه الرسالة مبنية على منج واحد من أولها إلى آخرها، بل تنوعت مناهجها بتنوع مباحثها، فاعتمدت في الفصل الأول المنهج الوصفي لعرض المادة اللهجية، كما رواها النحاة واللغويون القدامى، في حين استعنت بالمنهج الوصفي والإحصائي في تقديم ما سمعته من ممثلي لهجة سيدي بلعباس، أما الفصل الأخير فساد فيه المنهج التحليلي الذي يقوم على تحليل الأمثلة والاحتجاج لها مع الاستعانة بنتائج البحث اللغوي المقارن بين العربية وشقيقاتها الساميات.

وأخيرا أسأل الله أن يلبس هذا العمل ثوب القَبُول وأن ينتفع به أبناء أهل الضاد، وغيرهم ممن يعملون في حقول هذه اللغة الشريفة.

سيدي بلعباس

٢٨/ ٠٨/ ٢٠٠٠

المدخل

الدراسة اللهجية

عند النحاة واللغويين العرب

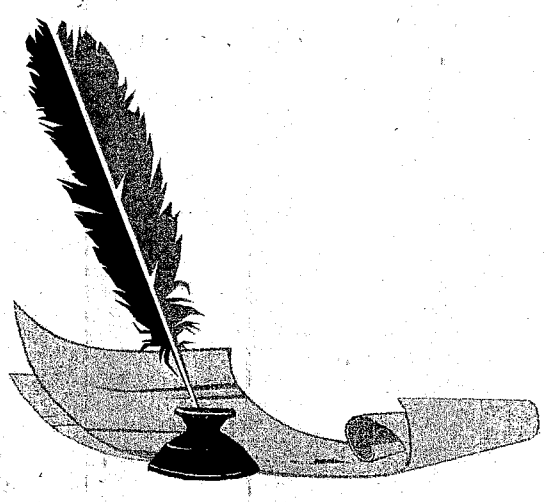

اللغة العربية واحدة من اللغات السامية، جذورها ضاربة في القدم، و هي كغيرها من اللغات في نشأتها و تطورها و توحدها. كان العرب قبائل موزعة على شتى إنحاء الجزيرة العربية الواسعة التي تنوعت بيئتها اللغوية تبعا لتنوع جوانبها الجغرافية و الاقتصادية و الثقافية ، منها ما كان يستقر في قلب الجزيرة العربية بعيدا عن كل تأثير، و منها ما تطرف على حدود الجزيرة ، مجاورا لأمم أخرى تركت لغاتها بصماتها على لهجات هذه القبائل.

وكان أبناء القبائل العربية على اتصال فيما بينهم من خلال مواسم و أسواق كانت تجمع بينهم في مواعيد مضبوطة عرفا، و بالتوازي كثيرا ما كانت تندلع بينهم حروب تزيد في بينهم، و تعمق عزلتهم، و لا ريب أن ذلك كان له أثر في استقلال بعض هذه اللهجات -أحيانا- و في انضواء الأخر ضمن قبائل أكبر أحيانا أخرى.

و كان هذا و ذاك عاملين على الانقسام تارة و على التوحيد تارة أخرى .و قد كتب لبعض هذه اللهجات أن يحيا ولبعضها أن يموت نتيجة أسباب كثيرة :" فاللغة العربية الباقية مزيج من لهجات مختلفة بعضها من شمال الجزيرة و هو الأغلب، و بعضها من جنوب البلاد اختلطت كلها بعضها ببعض حتى صارت لغة واحدة "[١] .

اللهجات العربية التي بادت واندثرت بعد أن فنيي أصحابها تركت بعضا من ملامحها في اللهجة التي انصهرت فيها، أو في تلك الكتابات التي وجدت على بعض القبور[٢]، ثم إن " امتزاج هذه اللهجات وتداخل بعضها في بعض لم يتم

---

(١) " تاريخ اللغات السامية " ، و لقنسون(أبو ذؤيب)، ط ١، دار القلم ، ١٩٨٠، بيروت – لبنان – ١٦٦

(٢) من أشهر النقوش التي عثر عليها و يقال إنها تمثل اللغة العربية قبل نزول القرآن الكريم نقش " حوران"، عثر عليه جنوب دمشق و يقال إنه يرجع إلى سنة ٥٦٨م ، و يبدأ نص هذا النقش كما يلي " أنا شرحبيل بر ظامو"، ينظر تاريخ اللغات السامية " ١٩٠-١٩٢ . ضف إلى ذلك " نقش زبد" و هي أطلال بالقرب من حلب يرجع تاريخه إلى سنة ٥١٢م، نقش " النملوة " و هو قصر صغير بالقرب من دمشق لإمرىء القيس أحد ملوك الحيرة، يرجع تاريخه إلى سنة ٣٢٨م ينظر "في اللهجات العربية" د/ إبراهيم أنيس، ط ٩، مكتبة الأنجلو مصرية – ١٩٩٥ – القاهرة – مصر – ص ٣٤-٣٥ .

مرة واحدة أو في زمن واحد، بل حدث شيئا فشيئا، و سار ينتقل تدريجيا فكانت الواحدة من اللهجات تبتلع الأخرى أولا ثم يتكون من الاثنتين لهجة جديدة، لم تكن موجودة من قبل و هذه اللهجات الجديدة تمتزج بلهجة أخرى، و هكذا ظل هذا التدرج ينتقل في أزمنة طويلة أثناء الجاهلية حتى ظهر الإسلام" (١)، تماما كالذي حدث مع لهجتي "السين و الهاء" اللتان اندثرتا و لم نعد نعرف عنها شيئا، عدا تلك النقوش التي وجدت في مأرب و ظفار و ناعط و همدان التي لا زالت شاهدا على وجودها يوما ما (٢)، ثم كانت الغلبة في هذا الانصهار إلى اللهجات الشمالية، لأنها ذات سلطان قوي و نفوذ واسع " فكانت تبتلع اللهجات الجنوبية ابتلاعا الواحدة منها تلوى الأخرى ، فاللهجات التي أصبحت سائدة في أغلب أقاليم الجزيرة العربية قبيل ظهر الإسلام إنما هي الشمالية بعد أن التهمت أكثر اللهجات الجنوبية "(١).

إن هذه اللهجات العربية الباقية كانت قريبة من بعضها البعض بدليل أن الفصحى كانت قريبة إلى كل لهجة من هذه اللهجات . فالعربية -كما وصفت- لغة انتقائية مشتركة تشكلت أصولها و توضحت مقاييسها لدى قبيلة قريش، يقول أحد الدارسين " الفصحى لكونها لغة العرب جميعا، تم نموها في المجتمع العربي في عمومه لا في قبيلة بعينها، و تقبلت في نموها عناصر من جميع اللهجات حتى بدت قريبة إلى كل لهجة" (٣)، إذن كانت هذه اللهجات متقاربة فيما بينها،مما أدى إلى ظهور لغة عامة تحدث بها العرب جميعا في محافلهم

(١) تاريخ اللغات السامية ١٦٧

(٢) ينظر " لهجات اليمن قديما و حديثا " أحمد حسن شرف الدين، دط، مطبعة الجبلاوي دت - ص ١٥ -

(٣) " اللغة العربية بين المعيارية و الوصفية ، ، تمام حسان ، دط ، مطبعة الرسالة ، د ت ص ٦٤ .

و أسواقهم و مجالات القول الرسمية،و لما نزل القرآن الكريم عمل على شد أزر هذه اللغة الموحدة و استمرار حياتها راسخة البنيان عالية الذر فالإسلام صادف -حين ظهوره- لغة مثالية مصطفاة موحدة جديرة أن تكون أداة التعبير عند خاصة العرب لا عامتهم فزاد من شمول تلك الوحدة و قوى من أثرها بنزول قرأنه بلسان عربي مبين، ذلك اللسان المثالي المصفى " [١] .

فلغة القرآن كانت لغة عامة العرب يفهمها التميمي و الأسدي كما يفهمها الحجازي. و مما سهل فهم القرآن التوسع في القراءات و مراعاة اللهجات.فلم تكن لغته مقتصرة على خاصة أهل مكة و لا على أمراء الحج و السدنة[٢]،حيث قام ابن عباس-رضى الله عنه- في كتابه " اللغات في القرآن" بحصر ألفاظ القرآن الكريم وردها إلى لهجاتها [٣]، و كانت النتيجة أن القرآن الكريم يحوي في متنه مادة غير قليلة من ألفاظ كل القبائل العربية، لا من لهجة قريش فحسب ، بل إن لهجة قريش في حد ذاتها تتخير من كلامهم ما يناسبها[٤].

الوحدة اللغوية التي صادفها الإسلام حين ظهوره، و قواها قرآنه بعد نزوله لا تنفي تعدد اللهجات، فمن المؤكد أن عامة العرب لم يكونوا إذا عادوا إلى أقاليمهم ليتحدثوا بتلك اللغة المثالية الموحدة، و إنما كانوا يعبرون بلهجاتهم الخاصة، و تظهر على تعابيرهم صفات لهجاتهم، و خصائص ألحانهم، فكان كل

---

(١) " في اللهجات العربية " د/ إبراهيم أنيس ٣٤ .

(٢) يرى بعض المستشرقين أن لغة القرآن هي لهجة قريش، ينظر العربية الفصحى، دراسة في اللغة اللهجات و الأساليب " يوهان فك، ترجمة د/ رمضان عبد التواب ، دط، مكتبة الخانجي، ١٩٨٠م، القاهرة ، ص ١٦ .

(٣) مثلاً (أنؤمن كما آمن السفهاء) الآية ١٣ من البقرة و السفيه الجاهل بلغة كنانة، (رغدا) الآية ٣٥ من البقرة - يعني الخصب باللغة طئ، (مااشترو) الأية ٩٠ من البقرة يعني باعو بلغة هذيل ، (بغيا بينهم) الآية ٢١٣ من البقرة يعني الحسد بلغة تميم ، و هكذا ...

(٤) ينظر " كتاب الحروف " أبو نصر الفارابي - حققه محمد مهدي- دط- دار المشرق- دت -بيروت- لبنان - ص ١٤٦ .

واحد " يتكلم على مقتضى سجيته التي فطر عليها، و من هنا كثرت الروايات في بعض الأبيات "[١]، لكن هذا الخلاف لم يكن جوهريا بين اللهجات العربية للصلة القائمة بين العرب، و ابن جني نفسه يورد ما يدل على أن الخلاف بين اللهجات في الفروع لا في الأصول إذ يقول " فإن قلت : زعمت أن العرب تجتمع على لغتها فلا تختلف فيها، و قد نراها ظاهرة الخلاف، أفلا ترى إلى الخلاف في (مـا) الحجازية و التميمية و إلى الحكاية في الاستفهام عن الأعلام في الحجازية و ترك ذلك في التميمية إلى غير ذلك ؟ قيل: هذا القدر من الخلاف لقلته و نزارته مختصر غير محتفل به، و لا معيب عليه ، و إنما هو في شيء من الفروع يسير. فأما الأصول وما عليه العامة و الجمهور فلا خلاف فيه ، و لا مذهب للطاعن به "[٢].

ظهر أثر هذه اللهجات في قراءة القرآن الكريم فيما أوضحته بعض الأحاديث من صحة القراءة باللهجات المتعددة و الحديث الذي رواه المحققون ومما جاء في قوله عليه السلام" أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف "، وهو حديث تضاربت الآراء في تفسيره، لكن الأرجح ما ذهب إليه أبو عبيد، إذ ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات، بل اللغات السبع مفرقة فيه ، فبعضه بلغة قريش، و بعضه بلغة هذيل، و بعضه بلغة هوازن، و بعضه بلغة اليمن و غيرهم. قال : و بعض اللغات أسعد بها من بعض، و أكثر نصيبا [٣]، فهذا

---

(١) " المزهر في علوم اللغة و انواعها " عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، شرحهو ضبطه و صححه، محمد احمد جاد المولى، علي محمد البجاوي و محمد أبوفضل ، دط، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، دت ، دار الجيل بيروت – لبنان – ص ٢٦١/١ .

(٢) " الخصائص " أبو الفتح عثمان بن حني ، تحقيق محمد علي النجار ، دط ، المكتبة العلمية ، دت ، ص ٢٤٣/١-٢٤٤ .

(٣) " الإتقان في علوم القرآن" عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، حققه و علق عليه عصام فارس الحرستاني، خرج أحاديثه محمد أبو صعيليك ، ط ١، دار الجيل بيروت لبنان ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م ص ١/ ١٥٨

القول يوافق فعلا آراء آخرين لمسوا وجود المادة اللهجية في القرأن الكريم تيسيرا من الله سبحانه و تعالى الذي أمر " نبيه صلى الله عليه و سلم بأن يقرئ كل أمة بلغتهم، و ما جرت عليه عاداتهم، فالهذلي يقرأ (عتى حين)، و الأسدي يقرأ (تِعلمون)، و التميمي يهمز والقريشي لا يهمز "[١].

اعتنى النحاة و اللغويون القدامى بدراسة اللغة الفصحى و التقعيد لها خوفا عليه من الضياع. و كان ذلك شاملا لمستوياتها الأربعة : الصوتية ، الصرفية، و النحوية و الدلالية، و قد ارتبط هذا التناول بفعل اختلاط العرب بغيرهم من أبناء الأمم الأخرى التي دخلت في الإسلام، و كان من نتائج ذلك تصدع السليقة العربية، حيث كان" اللسان العربي عندهم صحيحا محروسا لا يتداخله الخلل و لا يتطرق إليه الزلل، إلى إن فتحت الأمصار، و خالط العربي غير جنسهم. فأختلط الفرق، و امتزجت الألسن"[٢]. ، و كانوا في تقعيدهم للغة العربية يتجهون إلى اللهجات،إذ نجد منهجهم يعتمد على اعتبار " الفصحى هي لهجات القبائل على تعددها و طول الزمن بها، و هذا الاعتبار هو الذي دفعهم لاختيار نوع معين من اللغة المروية عن القبائل لدراستها و استنباط القواعد منها، و قد تجيئ القاعدة كل على أساس استعمال لهجة معينة "[٢]، حيث عد النحاة (ذو) من الموصولات العامة و هي مأخوذة من لهجة طيئ، فهي إذن ظاهرة لهجية ، استخدمها بعض الناس من طيء في اللغة الفصحى، و يؤيد هذا تلك الأبيات المستشهد بها على

---

(١) النهاية في غريب الحديث و الأثر، تحقيق الزاوي و الطناحي – دط، ١٩٦٣ – القاهرة – مصر ص ٣/١ .

(٢) " المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات و للنثر و الشعر" د/ محمد عبيد ، دط – دار الثقافة العربية للطباعة،دت ص ٦١.

(٣) المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات ٦٢.

هذا الاستخدام[١]، ثم انعكست نظرة النحاة للصلة بين الفصحى و اللهجات تماما في دراسة النحو العربي، مما ترتب عليه تعدد وجوه النظر في المسألة الواحدة ، ولكل وجه توجيه، وتجد سند هذه الوجوه والتوجيهات في اللهجات العربية المختلفة [١].

على الرغم من هذا العمل الجليل، يرى الدارسون المحدثون، أن القدامى لم يعتنوا يوما باللهجات، كما لم يهتموا بالدرس اللهجي ، و هم عند تدوينهم اللغة العربية و جمعها " نظروا إلى اللهجات على أنها شيء لا ينبغي الاهتمام به لأن المهم هو الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم و يمكن فهمه على أساس دراستها و كذلك فهم سنة النبي الكريم، و هنا توافروا على الاهتمام بالفصحى و نبذ اللهجات كما خشوا أن يؤدي جمعهم للهجات إلى عدم جمع الكلمة الإسلامية و نقض الوحدة بين الأمة. و أخذ العلماء ينظرون إلى اللهجات على أنها انحراف على اللغة المثلى و نسبوها إلى العامة و السوقه و رموا بعضها بالرداءة أو المذمة كما فعل ابن فارس في كتابه الصاحبي: "باب الرديئ و المذموم من اللغات " "[٢]. و حين وضعت قواعد النحو و اللغة لم ينظر النحاة و اللغويون إلى اللهجات على أنها مستوى من مستويات الاستخدام اللغوي، بل حاولوا صهرها في بوتقة الفصحى وإخضاعها لقوانينها اللغوية العامية إن طوعا و إن كرها ، فإذا تأبت

---

(١) في كتاب ابن الأنباري مثلا " الإنصاف في مسائل الخلاف" نلمس هذا التنوع و الاختلاف في القاعدة النحوية، فقد يختلف علماء البصرة و الكوفة فيما بينهم تبعا لاستشهادهم، و هو كثيرا في الكتاب يجزئيه.

(٢) " اللهجات العربية نشأة و تطورا " د/ عبد الغفار حامد هلال ، ط٢ ، ١٤١٠هـ — ١٩٩٠م ، ص ١٠٧ .

(٣) نفسه ١٠٨.

عليهم رموها بالقبح أو الشذوذ أو الرداءة.[٣] أما حين يتعرضون إلى اللهجات فلا نجدهم يحرصون على نسبة اللهجة إلى قبيلتها، هذا الأمر الذي يحرص عليه العلماء المعاصرون، فكانوا يعزون اللهجة إلى القبيلة أحيانا و يكتفون بأنها لغة لبعض العرب أحيانا ، و يختلفون في نسبة اللغة إلى القبيلة أحيانا أخرى، و اعتاد الدارسون القدامى على إطلاق بعض الأحكام على بعض اللهجات، من ذلك ما يبدوا في قولهم : لغة قليلة، و لغة رديئة ، و لغة شاذة ، و لغة قبيحة ، و لغية، ...إلى غير ذلك [١].

طبعا هذا ما يراه المحدثون ، لكن القدامى تناولوا فعلا اللهجات بالدراسة و الأدلة على ذلك كثيرة من بينها تصنيفهم في القراءات ، و كتب اللغات .

مصادر الدراسة اللهجية :

أوتي العلماء المسلمون الحظ في كثرة التآليف ما لم تؤته أمة من أمم الحضارات القديمة ، و تشهد عليه كتبهم المصنفة في ضروب العلم، فمكتبتهم اللغوية ينبهر الواقف عليها مما احتوت عليه من تآليف مختلفة، و رغم أننا لا نجد كتبا بعنوان اللهجات العربية، إلا أننا نلمس دراستهم لها في كتب اللغات.

فمما يؤكد اهتمام القدامى باللهجات تأليفهم في اللغات، و إن كان ما وصلنا منها لا يتجاوز عدد أصابع اليد من بينها :

١- " اللغات " لأبي عبد الرحمان يونس بن حبيب الضبي البصري، المتوفي سنة ١٨٢هـ.

٢- " اللغات " لأبي زكرياء يحي بن زياد بن عبد الله الديلمي المعروف بالفراء و المتوفي سنة ٢٠٧هـ .

---

(١) مثلا : الكتاب ١/١٦٤، ٢٥٤، ٣٢٤، ١/٨٢، ٢٠٥، ٣/٤٠٧، ٢/٢٩٤، ٣٥٨...

٣- " اللغات " لأبي عبيدة معمر بن المثنى، المتوفي سنة ٢١٠هـ .

٤- " اللغات " لأبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري المتوفي سنة ٢١٥هـ.

٥- " اللغات " لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي المتوفي سنة ٢١٦هـ .

٦- " اللغات" لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد المتوفي سنة ٣٢١هـ .

٧- " اختلاف لغات العرب " لأبي مروان عبد الله بن فرج الطوطالقي المتوفي سنة ٣٨٦هـ .

٨- " اللغات " لأبي القاسم عمر بن جعفر بن محمد الزعفراني الملقب بدومي من أهل القرن الرابع الهجري .

٩- " لغات هذيل " لعزيز بن فضل بن فضالة الهذلي، من أهل القرن الثالث الهجري .

ثم تأليفه في لغات القرآن، و من ذلك: كتاب " اللغات في القرآن " لابن عباس؛ " لغات القرآن " للفراء ؛ " لغات القرآن " للأصمعي و " لغات القرآن " لأبي زيد .

كما تعتبر المعاجم من أهم المصادر التي جمعت لنا اللهجات العربية القديمة إلى يومنا هذا ، مع أن اغلبها غير معزوة إلى قبائلها و من هذه المعاجم : " لسان العرب " لابن منظور ؛ " الجمهرة " لابن دريد و " شمس العلوم و دواء كلام العرب من الكلوم " لنشوان بن سعيد الحميري، و هو من أهم المصادر التي جمعت اللهجات اليمنية[1]، إذ لا تكاد تخلوا صفحة فيه من لهجة يمنية .

---

(١) " شمس العلوم و دواء كلام العرب من الكلوم " لنشوان بن سعيد الحميري، مخطوطة بمكتبة المسجد الأحمدي بطنطا رقم خ ١٩ ، سنة ١٩٧٨.

و مثل ذلك ما جاء في دراسة القدامى حول " المشترك" و " الأضداد" و " المترادف" و غيرها من خصائص اللغة العربية ، فالمشترك يكون على" لغتين متباينتين" (١)، أما الألفة في كلام قيس الأحمق و الألفة في كلام تميم الأعسر (٢). أما المترادف إنما يكون " من واضعين و هو الأكثر بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين و الأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد من غير أن تشعر إحداهما بالأخرى ثم يشتهر الوضعان و يخفى الواضعان " (٣).

كما يعود وجود الأضداد إلى اختلاف اللهجات " فإذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما و لكن أحد المعنيين لحي من العرب و المعنى الآخر لحي غيره، ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء و هؤلاء عن هؤلاء ، قالوا : فالجون الأبيض في لغة حي من عرب، و الجون الأسود في لغة حي آخر ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر "(٤) .

حتى كتب النحو لم تخل من المادة اللهجية، فهاهو كتاب أئمة النحو " الكتاب " يحوي عدد لا بأس به من القبائل العربية و لغاتها، كالعجعجة ، الكسكسة و الكشكشة و غيرها .

كما لا يفوتنا في هذا المقام الحديث عن كتب النوادر و الأمثال، فكثيرا ما عزا أبوزيد اللهجات إلى أصحابها كقوله : أنشدتني أعرابية من بني كلاب:

---

(١) " المزهر " ٢٧٧/١ .

(٢) نفسه ٢٢٥.

(٣) " الألفاظ المترادفة " الرماني ، ط ٢، دت، القاهرة ، مصر ،ص ٣،٤.

(٤) الأضداد في اللغة " لابن الأنباري ، دط ، ١٣٢٥هـ ، القاهرة ، مصر ، ص ١٠ .

فتعلمن و إن هويتك عنني *** قطاع أرمام الحمال صروم

فقلت لها : ما هذا ؟ فقالت : هذه عنتنا " (١).

كما نسب الميداني الأمثال أيضا إلى لهجاتها نحو قوله :" أتى عليهم ذو أتى، هذا مثل من كلام طيئ . و ذو في لغتهم تكون بمعنى الذي، يقولون : نحن ذو فعلنا كذا أي نحن الذين فعلنا كذا ، و هو ذو فعل كذا و هي ذو فعلت كذا . قال شاعر هم :

فإن الماء ماء أبي و جدي*** و بئري ذو حفرت و ذو طويت "(٢)

أضف إلى ذلك كتبا أخرى حوت في متنها الكثير من الحديث عن اللهجات العربية القديمة و إن كان عنوانها لا يدل و لا يلفت الانتباه إلى أنها تهتم باللهجات، فلم يكن الاهتمام باللهجات مقتصرا على اللغويين و النحويين بل نجد العناية نفسها عند الجغرافيين و المؤرخين، بل و عند الفلاسفة و الأطباء و الرياضيين ...و لذلك فإننا كثيرا ما نعثر على ملاحظات مهمة عن اللهجات العربية في غير كتب اللغويين كذلك(٣).

إذا – كما نرى – حظيت اللهجات العربية القديمة باهتمام الدارسين القدامى مع أنهم لم يستقروا على مصطلح يحدد طبيعة هذه الدراسة على نحو ما نعرف في الدرس اللغوي الحديث .

---

(١) " النوادر في اللغة " لأبي زيد ، تحقيق سعيد الشرتوني ، دط، ١٨٩٤ ، بيروت ، لبنان ، ص ٢٩ .

(٣) " مجمع الأمثال " الميداني ، دط ، ١٣١٠هـ – القاهرة ،مصر ، ص ٤٥/١ .

(٣) " فصول في فقه العربية " د/ رمضان عبد التواب، ط٣ ، مكتبة الخانجي ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧ ، القاهرة ، مصر، ص ٧٤.

وآثر عن النحاة و اللغويين طائفة من المصطلحات للدلالة على اللهجة منها اللغة وبدا هذا " واضحا جليا في المعاجم العربية القديمة و في بعض الروايات الأدبية فيقولون مثلا: الصقر بالصاد من الطيور الجارحة، و بالزاي لغة (بكسر اللام وضمها) " (١)، و مما ورد من أخبارهم أن ابن نوفل قال : " سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء : أخبرني عما وضعت مما سميته عربية ، أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال : لا ، فقال : و كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب و هم حجة ؟ قال : أعمل على الأكثر و أسمي ما خالفني لغات "(٢) .

إضافة إلى ذلك فإننا نجد ابن جني يولي عناية كبيرة لهذه المادة ناعتا إياها بمصطلح اللغة، و بلغ اهتمامه بها إلى أن أفرد لها أبوابا كاملة منها " باب اختلاف اللغات و كلها حجة " (٣). حيث عد ابن جني اللهجات حجة في الاستشهاد سواء وافقت القياس أو خالفته، فما وافقه قيس عليه، و ما لم يوافقه حفظ و لم يقس عليه " فإن كان الأمر في اللغة المعول عليها هكذا و على هذا فيجب أن يقل استعمالها و أن يتخير ما هو أقوى و أشيع منها، إلا أن إنسانا لو استعملها لم يكن مخطئا لكلام العرب، لكنه كان يكون مخطئا لأجود اللغتين ...و كيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ " (٣) .

و استعمل القدامى لفظة اللحن قاصدين بها اللهجة ؛ يبدو هذا فيما أثر عن ذلك الحجازي الذي طلب منه أن يقرأ " ليس الطيب إلا المسك " بالضم،

(١) " في اللهجات العربية " د/ إبراهيم أنيس ص ١٦ .
(٢) المزهر ١٨٤/١-١٨٥ .
(٣) الخصائص ١٢/٢ .

فلم يقدر لثقل الضم عليه مدركا أن الرفع ليس من لهجة قومه و لذلك قال : "ليس هذا لحني و لحن قومي"(٢) ؛ على أن هذا المصطلح أصبح فيما بعد يدل على الخطأ في الكلام و الدليل على ذلك المصنفات الكثيرة في هذا المجال(١) . فهؤلاء المصنفون عدوا كل تغير أو مخالفة أو انحراف عن مستوى الفصيح لحنا مهما كان نوع التغير و مجاله . فالانحرافات الصوتية و الصرفية و النحوية عما تقتضيه السليقة العربية يعد لحنا (٢) .

تبين مما سبق أن الدارسين القدامى" يعبرون عما نسميه الآن باللهجة بكلمة " اللغة " حينا و" باللحن" حينا آخر، و لم يكونوا يعبرون عما نسميه نحن بـ " اللغة " إلا بكلمة " اللسان " . وقد يستأنس لهذا الرأي بما جاء في القرآن الكريم من استعمال كلمة " اللسان " وحدها في معنى اللغة نحو ثماني مرات" (٣).

لكن مع ذلك فإننا نجد مصطلح اللهجة موجود في بعض المعاجم العربية القديمة، فكيف عرفوه يا ترى ؟ .

مفهوم اللهجة :

تتفق أغلب المعاجم العربية القديمة على المفهوم نفسه لهذا المصطلح، فهذا ابن منظور ينقل أن " اللهجة واللهجة : طرف اللسان، واللهجة واللهجة: جرس الكلام، والفتح أعلى ؛ ويقال : فلان فصيح اللهجة، واللهجة : هي لغته التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها. واللهجة : اللسان، وقد يحرك و في الحديث: ما من لهجة أصدق من أبي ذر. وفي حديث آخر: أصدق لهجة من أبي ذر قال : اللهجة

---

(١) أهم الكتب التي ألفت في اللحن " ماتلحن فيه العوام " للكسائي ، فقد كان أول كتاب صنف في اللحن، " اصلاح المنطق" لابن السكيت ، " لحن العوام " للزبيدي .

(٢) " اللغة العربية معناها و مبناها " د/ تمام حسان ، دط، دار الثقافة ، دت ، الدر البيضاء ، المغرب ، ص ١١-١٢ .

(٣) " في اللهجة العربية " د/ إبراهيم أنيس ١٧ .

اللسان "[١]، بهذا المفهوم نفسه نجد المصطلح يتكرر في المعاجم الأخرى [٢]، كما أننا نلمس في هذا الكلام مفهوما للهجة يقترب من مفهومها عند المحدثين، فهي لغة الإنسان التي جبل عليها، إذ يستعمل المتكلم لغة المجتمع الذي نشأ فيه ، و يتطابق معها تلقائيا دون تفكير في ذلك ، شأنه في ذلك شأن كل الأمور العرفية الأخرى من العادات و التقاليد و الملابس وغيرها.

ثم يطل علينا المصطلح من جديد مرة أخرى في معجم عربي قديم بالمفهوم نفسه:اللهجة بالتسكين: اللسان، وقيل طرفه، اللهْجة واللهَجة: جرس الكلام، والفتح أعلى. وفي الأساس: وهو فصيح اللهْجة واللهَجة. ويرد مرة أخرى بمفهوم متطور ، ينم عن إدراك لمعنى المصطلح بمفهومه الحديث ، ففي المعجم الوسيط : اللهجة: اللسان، أو طرفه، واللهجة، لغة الإنسان التي جبل عليها فاعتادها، يقال فلان فصيح اللهجة، وصادق اللهجة، واللهجة طريقة من طرق الأداء في اللغة، واللهجة: جرس الكلام.

قال الأصمعي: " مررت بامرأة وهي ترتجز بهذه الأبيات:

أستغفر الله لذنبي كله

قبلت إنسانا لغير حله

مثل غزال كانس في ظله

وانتصف الليل و لم أصله

والخمر مفتاح لهذا كله.

فقلت قاتلك الله ما أفصحك لقد جمعت المعاصي بهذه الكلمات، قالت: ياعيُّ وهل ترك القرآن لذي لهجةٍ فصاحةً؟.

---

(١) لسان العرب مادة (لهج) .

(٢) منها الجمهرة ، الصحاح مادة (لهج).

مستويات الدراسة اللهجية :

اهتم القدامى باللهجات، فكانوا يشيرون إلى الاختلافات بين القبائل أحيانا دون تسمية اللهجة كما فعل الخليل حين تناول المواد التالية (قطـــع) و(عقـــد) و(قضع)[١]، إما لشهرة اللغة التي ينص على استعمالها فلا يحتـــاج معـــها ذكـــر القائلين بها، و إما أنه لا يرى ضرورة لذكرها .

كذلك نجد أبا عمرو لهتم كثيرا بلغات القبائل، و توسع في النص على استعمالاتها اللغوية، من خلال ما نسبه إلى أفراد هذه القبائل دون تسمية لهجاتها، فيقول: قـلل السعدي، قال العذري، قال الكلبي، قال الأسعدي قال الباهلي، قال الســـروي، قال الخراعي، قال الحارثي، قال الهمداني[٢]، و هو لا يريد بهذه الأسماء المنســـوب إليها القول رجلا بأعيانهم، و إنما يرمي إلى أن هذا اللفظ بهذا المعنى هو في لغة بـني سعد أو بني عذرة أو كلب و هكذا – كما كانوا أحيانا يعرضون لأسماء هـــذه اللهجات، فقد ذكر الخليل عنعنة تميم، و كشكشة ربيعة كما في مادة (عـــن) [٣]، و قطعة طيئ في مادة (قطع)[٤] ، يقول : " و يقال: من تـــرك عنعنـــة تميـــم و كشكشة ربيعة فهم الفصحاء، أما تميم فإنهم يجعلون بدل الهمزة العـــين، قـــال شاعرهم :

إن الفؤاد على الذلفاء قد كمدا*** و حبها موشك عن يصدع الكبدا

و ربيعة تجعل مكان الفاء(كذا و لعلها محرفة عن الكاف) شينا، فقال :

تضحك مني إن رأتني احترش *** و لو حرشت لكشفت عن جرش

---

(١) " العين " الخليل بن أحمد الفراهدي، دط، ١٩٦٧م – ١٩٨٥م، بغداد العراق ص ١ / ١٥٨ - ١٧٢ - ٣٢٥ .

(٢) " الجيم" أبو عمرو الشيباني ، تحقيق إبراهيم الأبياري، نشر مجمع اللغة العربية ، دط، ١٩٧٤م– القاهرة – مصر – ص ١/ ١٧٧ - ٢٣١ - ٢٤٦.

(٣) العين ١٠٤/١ .

(٤) نفسه ١٥٦/١ .

و يقال: بل يقولون: عليكش و بكش، و يقال : بل يبدلون في كل ذلك"[١].

كذلك نجد الحديث عن الكشكشة و الكسكسة بإسهاب في كتب القدامى و قد ورد هذان المصطلحان أول مرة في مجالس ثعلب [٢]، و مثل هذا العمل نجده في كتاب آخر، فحين يتعرض إلى الأصوات ، يذكر بعض الأسماء للهجات قديمة فيعرض موطنها حينا، و يهمل ذلك حينا آخر، مثلا فصل التاء فيه إشارة إلى لهجة الوتم إذ يقول: " و منها تاء تكون بدلا عن سين في بعض اللغات، كما أنشد ابن سكيت :[من الرجز] :

يا قاتل الله بني السعلاة *** عمرو بن مسعود أشر النات *

يعني شرار الناس " [٣].

و دون أن يفسر نجده يشير إلى لغتين أخرتين، واحدة منها تذكر و الأخرى تؤنث، فيقول في : " فصل ما يذكر و يؤنث (و قد نطق القرآن باللغتين)[٤]، أما عند حديثه عن فصل الكاف فلا نراه يشير إلى ظاهرة الكشكشة مع أنها أشهر ظاهرة لهجية، بدليل وجودها في أغلب الكتب اللغوية القديمة، هذا دليل على عدم اهتمامه بأمر اللهجات، ومع ذلك فإننا نجد لها حظا في كتابه، الأمر الذي يؤكد اهتمام وعناية القدامى للدرس اللهجي، حتى و إن لم يفردوا له كتابا خاصا، ومع ذلك فالقدامى أفاضوا في تناول اللهجات فلا يخلوا أي كتاب كان نحويا، أو بلاغيا، أو معجما من قولهم : يقول عامة العرب، بعض العرب تقول،

---

(١) العين ١٠٤/١ .

(٢) ينظر مجالس ثعلب ١٠٠/١-١٤١ .

(٣) " فقه اللغة و سر العربية " أبو منصور بن محمد الثعالبي تحقيق أملين نسيب ، ط١، دار الجليل ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، بيروت - لبنان - ص ٤١٩ .

* الرجز لعلباء بن أرقم كما في النوادر ص ٣٤٥ ، و تزعم العرب أن عمرو بن يربوع تزوج سعلاة، أي غولا ، فأولدها أولادا.

(٤) المصدر نفسه ٤٠٢ .

و هي كلها إشارات إلى كلام بيئة معينة انمازت بخاصة معينة، إذن فهي لهجة عربية، ثم إننا نجد هذه الدراسة اللهجية مقسمة على مستويات : صوتية، صرفية، نحوية و دلالية .

أ- المستوى الصوتي :

تناول الدارسون القدامى البحث اللهجي-كما سبق- مرة باسم اللغات وأخرى باللحن، مع تسمية الظاهرة اللهجية تارة أو عدم ذلك تارة أخرى، و على جميع مستويات الدراسة.

أما الصوتية فهي الغالبة، لأن الصفات التي تتميز بها اللهجة تكاد تنحصر عموما في الأصوات و طبيعتها، و كيفية صدورها .

و نستطيع أن نميز من خلال ما جمعناه من مادة لهجية بين طائفتين من القبائل، اصطبغت كل واحدة منها بصبغة خاصة نتيجة ظروف معينة، فهناك قبائل عربية " في أوسط بلادهم ومن أشدهم توحشا وجفاء وأبعدهم إذعانا وانقيادا " [(١)] مما أدى إلى اصطباغ أهلها بلون خاص، و هناك قبائل أخرى " كانوا في أطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم مطبوعين على سرعة انقياد ألسنتهم لألفاظ سائر الأمم المطيفة بهم "[(١)] مما جعلها تتصف بصفات صوتية تخالف صفات القبائل الأولى، فكانت تتخير السهل الميسر من الأصوات مما يتوافق و عيشها الرغد، عكس القبائل البدوية التي كانت تجنح إلى المفخم من الأصوات تماشيا مع طبيعتها القاسية و الصعبة .

من ذلك ما روي عن قبيلة طيء التي كانت تجهر السين فتبدلها زايا، حيث قالوا : في سقر :، زقر.يؤيد هذا ما نقله ابن جني منسوبا إلى الأصمعي فقال:"

(١) " كتاب الحروف " لأبي نصر الفارابي ، شرحه محسن مهدي دط، ١٩٦٩- بيروت ، لبنان ص ١٤٧ .

اختلف رجلان في الصقر فقال أحدهما الصقر بالصاد و قال الآخر:السقر بالسين، فتراضيا بأول وارد عليهما، فحكيا له ما هما فيه، فقال:لا أقول كما قلتما ، إنما هو الزقر، أفلا ترى إلى كل واحد من الثلاثة كيف أفاد في هذه إلى لغته لغتين أخريين معها، و هكذا تتداخل اللغة" [١]و من قبيل هذه الأمثلة إشراب الصاد قليلا من الزاي. وذلك كما يبدوا في قراءة حمزة و الكسائي وخلف ورويس لقوله تعالى:﴿ حتى يصدر الرعاء ﴾[٢] و قوله عز و جل: ﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتا﴾[٣].

مثل هذا الاهتمام نجده في كتاب سيبويه، ففي الوقت الذي جنحت فيه تميم إلى تفخيم كلامها، اختارت الحجاز الترقيق، من ذلك قولهم:حصط وحفظط في حصت وحفظت [٤].

ومن نماذج هذه الأمثلة نسبتهم لفظة " فاضت" بالضاد إلى قضاعة و قيس وتميم مرة ، و إلى بني ضبة مرة ثانية، و إلى تميم مرة ثالثة. كما نسبت" فاظت " بالظاء إلى اهل الحجاز و طيء [٥]. و فضل التميميون إلحاق القاف بالكَاف وتغليظ النطق بهما فقالوا :" الكَوم " بدلا من " القوم" [٦].

---

(١) الخصائص ٣٧٤/١ .

(٢) لآية ٢٢ من سورة القصص

(٣) الآية ٦ من الزلزلة .

(٤) " الكتاب " أبوبشر عمرو بن قنبر ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دط ، دار الجيل ، ١٤١١هـ -١٩٩١ م، بيروت - لبنان - ص ٤٧١/٤ .

(٥) " الإبدال " لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي ، تحقيق عز الدين التنوخي ، دط، مطبوعات المجمع العلمي العربي، ١٩٦٠-١٩٦١ ، دمشق - سوريا ، ص ٢٦٧/٢-٢٦٨ .

(٦) " جمهرة اللغة " إبن دريد ،ط١، مطبعة المعارف بحيدر آباد ،١٣٤٤هـ - ص ٥/١ .

ومن المظاهر اللهجية -الصوتية- الأخرى مما نجده مبثوثا في كتب القدامى، إبدال الهمزة هاء في لغة طيء، إبدال الباء ميما والميم باءً في لغة هوازن. و من هذه الاختلافات أيضا تحقيق الهمز، فقريش لا تهمز و تميم تهمز...و إلى غير ذلك من فروق صوتية صقلت كل قبيلة بطابع لهجي معين يميزها عن غيرها. و لم يكن الانتقاء في الأصوات على مستوى الصوامت فحسب، بل تعداه إلى الصوائت.حيث كانت القبائل البدوية تجنح إلى الضم لخشونتها و غلظ طبعها. و من ذلك قول أهل تميم : القُنوة*، و أهل الحجاز القِنية [١]، و كذلك قول أهل الحجاز لاته* عن وجهه يليته، و تميم ألاته يليته [٢]، و مثل ذلك كثير بين القبائل العربية فيقول :" الضبي: جُثوة، وقال القشيري : جِثوة، و قال الضبي : جُوالق، و قال القشيري: جِوالق"[٣] .

أضف إلى ذلك اختلافهم في أصوات المد، و منه اختلافهم في الفتح و الإمالة بمعنى تقريب فتحة العين من كسرة اللام، فتنحو بالفتحة نحو الكسرة، فتميل الألف نحو الياء، فبعض العرب يؤثرون الفتح و بعضهم الإمالة، و الفتح لغو أهل الحجاز، والإمالة لغة عرب وسط الجزيرة و شرقيها كتميم و أسد و طيء. ولهذا شاعت الإمالة في قراءات أهل الكوفة و أهل البصرة ؛ و من الأئمة اللذين قرؤوا بالإمالة نجد حمزة ،الزيات و الكسائي.

ب- المستوى الصرفي :

(١) المزهر ١١/٢ ، *القنوة : الكسبة ؛ لاته : نقصه حقه .

(٢) " الجيم " أبو عمرو الشيباني تحقيق إبراهيم الأبياري ، و جماعة نشر مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، دط، ١٩٧٤ ، ص ١٦٧/١ .

(٣) الخصائص ١٤١/٢ .

كان للمستوى الصرفي حظ وافر من الاهتمام لدى القدماء، فكثيرة هي الاختلافات اللهجية التي ترجع إلى بنية الكلمة و نسجها، و مما يصادفك من فروق أثناء قراءة الكتب اللغوية القديمة:

أ- الاختلاف في صورة الجمع مثل : أسرى و أسارى، في جمع أسير، و سرط و أسرطه في جمع سراط ..."و زعم يونس أن من العرب من يقول : صيود و صيد، وبيوض وبيض و هو على قياس من قال في الرسل: رسل "[١]، و قالوا:" سرير و أسرة و سرر"[٢] .

ب- الاختلاف في الزيادة مثل : أنظر و أنظور؛ مفتح ومفتاح " وقد يعتوران الشيء الواحد نحو مفتح ومفتاح، ومنسج ومنساج، ومقول ومقوال "[٣]، و الزيادة على ما يبدوا لهجة أهل الحجاز بدليل قراءة ابن كثير و نافع قوله تعالى :﴿ لرؤوف﴾[٤]، و قرأها الجمهور ﴿لرءف﴾[٥].

ج- الاختلاف في التضعيف و الفك مثل : ردّووا، اردد، لم يردّ، و لم يردد... فالتضعيف لغة بني تميم و الفك لغة أهل الحجاز إذ يقولون: اردد الرجل و إن تستعدد فيدعوه على حاله من غير إدغام، و العكس نجده عند آل تميم الذين يدغمون حتى المجزوم فيقولون مثلا : لم يردّ ...[٦] .

---

(١) الكتاب ٦٠٢/٣ .
(٢) نفسه ٦٠٥/٣ .
(٣) نفسه ٣٥٦/٤
(٤) الآية ٦٥ من الحج .
(٥) " الحجة في قراءات الأئمة السبعة " ابن خالويه ، مخطوطة بدار الكتب برقم ١٩٥٢٣ .
(٦) الكتاب ٥٣٠/٣ .
(٧) الخصائص ٦٩/٢ .

د- الاختلاف في إبدال الأصوات : أولئك و أولا لك.

هـ- الاختلاف في التقديم و التأخير نحو : جذب و جبذ [٧]، الصاعقة و الصاقعة . .

و- الاختلاف في الحذف و الإثبات مثل : استحييت و استحيت، بياءين لغة أهل الحجاز و منه قوله تعالى :﴿ تمشي على استحياء ﴾[١] و بياء واحدة لغة تميم و بكر بن وائل .

ز- الاختلاف في الوقف على الهاء، مثل هذه أمّت، و هذه أمّه [٢] ، و قد وجدت هذه الظاهرة اللهجية في لهجات اليمن، فكانوا يقلبون الهاء تاء في بعض جهات (صعدة) و في قبيلة (سحار) بالضبط، مثل قولهم : بقرت في بقرة، خربت في خربة، جمنت في جمنة [٣].

ح- الاختلاف في بعض الأسماء، و منه الاختلاف في اسم الروح الأمين، فأهل الحجاز يقولون جبريل بكسر الفاء على (فعليل) ، و تميم و قيس و كثير من أهل نجد يقولون جبرئيل، و الكلمة سامية ف: جبر بمعنى رجل و ايل بمعنى الله، و جميعا تعني رجل الله؛ و كذلك اختلفوا في ميكائيل، و قال الحجازيون ميكال.

ط- الاختلاف في تحديد نوع الكلمة كما في (هلم)، فهي عند أهل الحجاز اسم فعل تبقى هكذا في المفرد و المثنى و الجمع، و بهذا نزل القرآن الكريم،

---

(١) الآية ٢٥ من القصص .
(٢) الكتاب ١٦٦/٤-١٦٧ .
(٣) لهجات اليمن قديما و حديثا ١٠ .
(٤) الآية ١٨ من الأحزاب .
(٥) الآية ١٥٠ من الأنعام .
(٦) الخصائص ١٦٨/١ .

فقال جل جلاله : ﴿ هلّم إلينا﴾[٤] و ﴿ هلّم شهداءكم﴾[٥]، أما في لغة بني تميم فهي متصرفة تلحقها الضمائر المختلفة: هلّم، هلّما، هلّموا، هلّمي، هلمّمن...[٦]

ي- الاختلاف في التذكير و التأنيث : مثل قولهم هذه البقر، و هذا البقر.

ك- الاختلاف في المطابقة بين الفعل و الفاعل في العدد سواء تقدم الفعل أو تأخر، فالالتزام بالمطابقة لغة بني الحارث، و هي اللغة التي سميت بـ" أكلوني البراغيث"[١]، و مثل ذلك ورد في الكتاب المجيد لقوله عز و جل :﴿ و أسرّوا النّجوى الذين ظلموا ﴾[٢].

ل- الاختلاف في استعمال المثنى بالألف مطلقا، و على ذلك قراءة قوله تعالى : ﴿ إنّ هذان لساحران﴾[٣]، و قد ورد قول أحدهم:

وأطرق إطراق الشجاع ولو يرى *** مساغا لناباه الشجاع لصمّما

و نسبت هذه الظاهرة اللهجية، أي استعمال المثنى بالألف مطلقا إلى بني الحارث بن كعب و خثعم و بني كنانة، و علق الفرّاء على قول العرب " هذا خط يدا أخي بعينه" بأن هذه اللغة هي الأقيس، و لهذا اتفق العرب على استعمال صيغة " كلا"[٤] .

---

(١) الكتاب ٢٠/١ .

(٢) الآية ٣ من الأنبياء .

(٣) الآية ٦٣ من سورة طه .

(٤) " معاني القرآن" الفراء ، تحقيق الأستاذين محمد علي النجار و أحمد يوسف نجاتي ، دط، دار الكتب المصرية، ١٩٥٥، ص ١٤٤/٢ .

و إلى جانب هذه الفروق الصرفية، هناك الكثير من الاختلافات في الصيغ والأبنية التي رصدها القدامى أثناء جمعهم للمادة اللغوية، و هي مبثوثة في كتبهم.

ج- المستوى النحوي :

أما الجانب الآخر الذي تمايزت به لغات بعض القبائل، فهو اختلافهم في الإعراب، في الوقت الذي عامل فيه الحجازيون "ما" معاملة " ليس" و نصبوا الخبر، اختار التميميون الرفع، و بهذه اللغة -أي لغة الحجازيين- جاء التنزيل إذ يقول الله تعالى: ﴿ ما هذا بشراً﴾[١]، فمما جاء في الكتاب قوله :" أما بنو تميم فيجرونها مجرى أمّا و هل، أي لا يعملونها في شيء ...و أما أهل الحجاز فيشبهونها بليس إذ كان كمعناها"[٢] .

و من ذلك اختلافهم في إعراب الاسم المعروف المستفهم عنه بـ" من" ف" اعلم أن أهل الحجاز يقولون إذا قال الرجل رأيت زيدا :من زيدا ؟؛ و إذا قال مررت بزيد : قالوا : من زيد ؟ و إذا قال : هذا عبد الله ، قالوا : من عبد الله ؟ و أما بنو تميم فيرفعون على كل حال .و هو أقيس القولين" [٣].

و مثله اختلافهم في نصب الخبر المستثنى و رفعه في النفي" بليس"، فقد روي أن عيسى بن عمر ذهب إلى أبي عمرو بن العلاء و قال له : يا أبا عمرو ما شيء بلغني أنك تجيزه .فقال أبو عمرو: و ما هو ؟ فقال عيسى : بلغني أنك تجيز" ليس الطيب إلا المسكُ" بالرفع، فقال أبو عمرو : نمت و أدلج الناس، ليس في الأرض حجازي إلا و هو ينصب و لا في الأرض تميمي إلا و هو يرفع، و لكي يدلل أبو

---

(١) الآية ٣١ من يوسف .
(٢) الكتاب ٥٧/١ .
(٣) نفسه ٤١٣/٢ .
(٤) المزهر ٢٧٧/١ .

عمرو على صحة قوله قال لبعض جلسائه : اذهبا إلى أبي المهدي فلقناه الرفع فإنه لا يرفع، و اذهبا إلى أبي المنتجع فلقناه النصب فإنه لا ينصب "[٤]،وفعلا تم ذلك فلم يقدر التميمي إلا على الرفع و لم يقدر الحجازي إلا على النصب .كذلك اختلافهم في عمل ضمير الفصل، فقرأ الجمهور قوله تعالى:﴿ لكن كانوا هم الظالمين﴾[١] بالنصب، و قرأ عبد الله و أبو زيد ﴿الظالمون﴾ بالرفع[٢]، و قد كان إعمال ضمير الفصل شائعا عند أهل تميم حيث يجعلون" ما هو فصل عند غيرهم مبتدأ و يرفعون ما بعده على الخبر"[٢].

هذا ما كان من أمر الاختلافات اللهجية من الناحية الإعرابية، و إن كان بعض المحدثين يرونه من صنع النحاة [٣].

د- المستوى الدلالي:

إلى جانب مستويات الدراسة اللغوية السابقة، اهتم القدامى بجانب آخر مهم، يعد مظهرا من مظاهر الاختلاف اللهجي، إنه عالم الكلمة ،حيث تختلف معاني الكلمة الواحدة بين القبائل، وقد يتحد المعنى وتختلف الكلمة، و من ذلك اختلاف التميمين و الحجازيين في ماهية الهجرس، فهو عند تميم بمعنى الثعلب، وهو القرد عند الحجازيين.

---

(١) الآية ٧٦ من سورة الزخرف .

(٢) " البحر المحيط" أبو حيان الأندلسي، دط ١٣٢٩ هـ – القاهرة ، مصر ، ص ٢٧/٨ .

(٣) " في اللهجات العربية " د/ إبراهيم أنيس ٧٤ .

(٤) الخصائص ٢٨/٢ .

* الرجل هو زيد بن عبد الله بن دارم كما جاء في الصاحبي ص ٢٢ .

* يريد العربية فوقف على الهاء بالتاء ، و هي لغتهم ..

ومن ذلك أيضا ما ورد على لسان ابن جني نقلا عن الأصمعي قوله : " أن رجلا*من العرب دخل على ملك ظفار (و هي مدينة لهم يجيء منها الجزع الظفاري) فقال له الملك: ثب، و ثب بالحميرية :اجلس، فوثب الرجل فاندقّت رجلاه، فضحك الملك، و قال ليست عندنا عربيّت*، من دخل ظفار حمّر، أي تكلم بكلام حمير" (٤).

ولعل ما ورد في الأضداد من قبيل الاختلاف اللهجي على المستوى الدلالي، و مثله ما رواه السيوطي عن" السدفة في لغة تميم الظلمة و السدفة في لغة قيس الضوء، ...و لمقت الشيء ألمقه لمقاً إذا كتبته في لغة بني عقيل و سائر قيس يقولون لمقته محوته"(١).

لكن هذه الصفات الخاصة التي مرجعها بنية الكلمة ودلالتها من القلة مما لا يباعد بين اللهجات، و لو كان العكس صحيحا لبعدت و استقلت كل لهجة على الأخرى، الأمر الذي لم يحدث للهجات العربية.

مما سبق نخلص إلى أن الدراسة اللهجية نالت الحظ الوافر عند القدامى، مما لا يترك مجالا للشك، فدرسوها على مختلف مستويات الدراسة: الصوتية والصرفية النحوية ثم الدلالية، مستعملين في دراستهم مصطلحات مختلفة منها اللغة و منها اللحن مقيدين هذه اللهجات إلى أصحابها أحيانا كثيرة و مهملين ذلك أحيانا أخرى، لكننا نلاحظ أن الجانب الصوتي نال الحظ الأكبر من الدراسة اللهجية هذا لأنه يحتل الرتبة الأولى في التمييز بين اللهجات لاسيما مستوى الصوامت، لأنه الأكثر شيوعا، و هو ما ستقف عليه -إن شاء الله- في الفصل الآتي .

---

(١) المزهر ٢٣٠/١ .

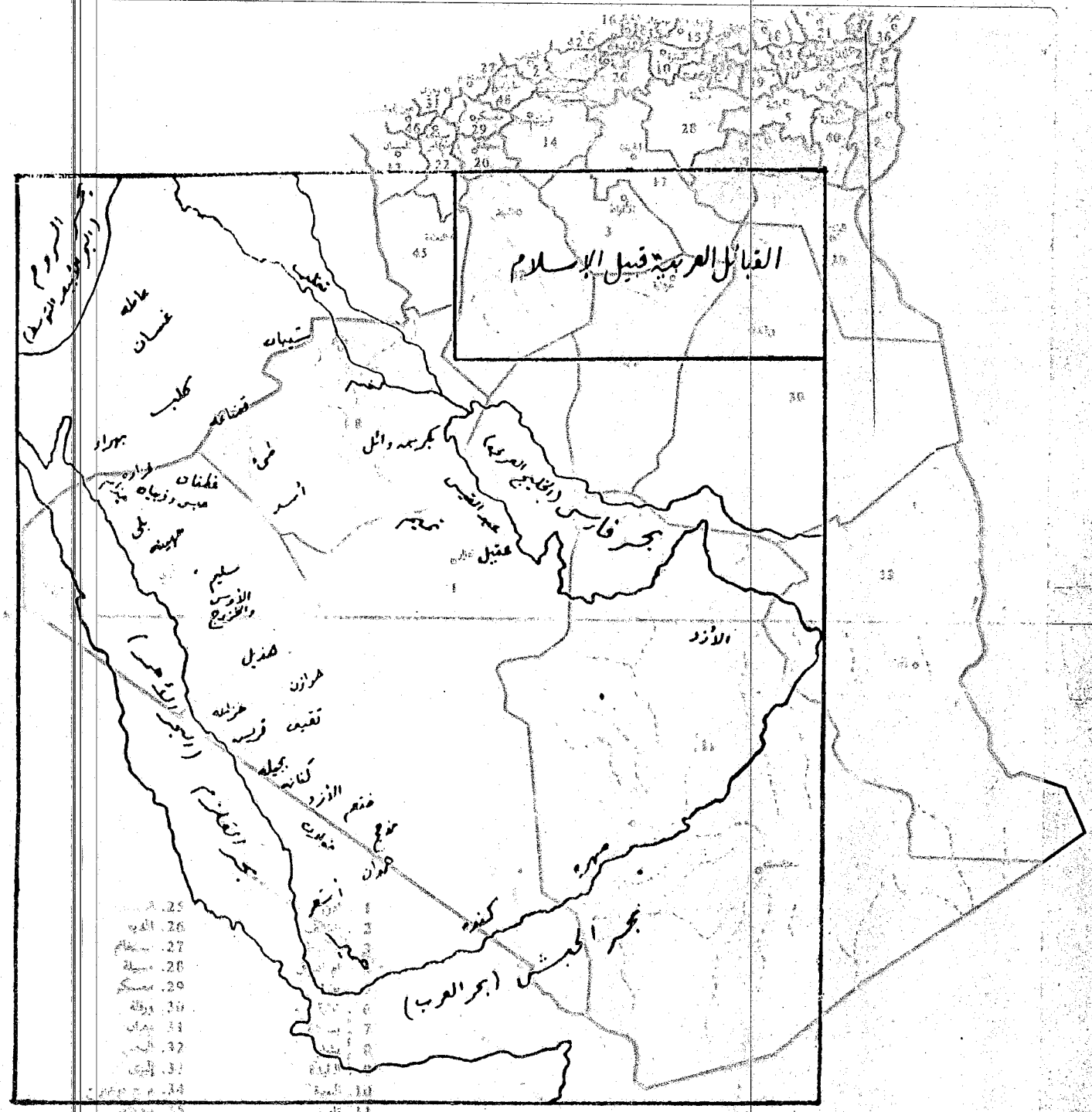
القبائل العربية قبيل الإسلام
بحر فارس (الخليج العربي)
بحر الحبش (بحر العرب)
الأزد
بكر بن وائل
عبد القيس
تميم
أسد
طيء
كلب
غسان
سليم
هذيل
هوازن
ثقيف
كنانة
مذحج
همدان
كندة
مهرة

الفصل الأول

الفروق الصوتية

بين اللهجات العربية القديمة

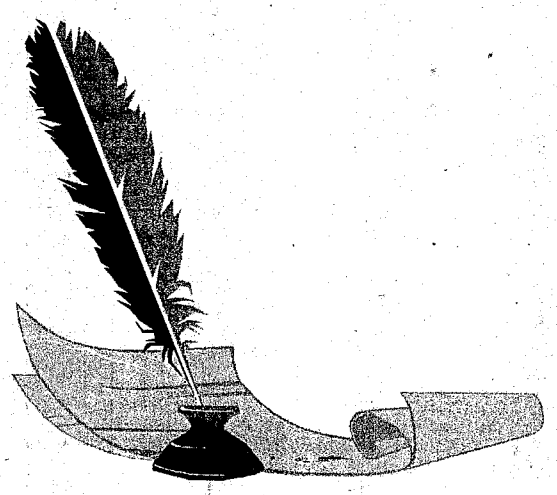

كان لأسلافنا الحظ في كثرة التآليف وأتوا في ذلك من البراعة والإتقان مـــابزّوا فيه كثيرا من الأمم المعاصرة لهم وإذا كانت حياة هؤلاء العلماء قد انتهت بانتـــهاء آجالهم « فإن أثارهم المكتوبة مازلت تطالعنا بأنفاسهم وبنبضات قلوبهم ، ملفوفـــة في كلمات اللغة ، وهي كلمات تحمل من هدوء تفكيرهم ، أوثورة عقولهـــم، أو انفعال عواطفهم ما لا يمكن أن يغبره الفناء..حتى ليخيل للمرء أحيانـــا أنّ أولئـــك الغائبين تحت الثرى هم أقوى شهودا للحياة من كثير من الأغفال المتحركين علـــى أديم الأرض ، مع ما يملكون من قدرة على الضجيح» [١]، فلقد نجح علماء البصـــرة والكوفة نجاحا عظيما في جمع المادّة اللغوية من أهل البادية فجمعت بذلك المعـــاجم والقواعد اللغوية وصارت من المراجع المهمة التي يعتمد عليها في دراسة اللـــهجات العربية [٢] ، ومن الطبيعي أن يكون للعربية الفصحى لهجات، تمثل صورا نطقية تختلف من قبيلة إلى قبيلة ومن مكان إلى مكان، لأن الجزيرة العربية كانت « مسرحا كبـــيرا عاشت في أرجائها قبائل شتى، كانت موزعة على نواحيها في الشـــرق والغـــرب، والشمال والجنوب» [٣]، وعند التقعيّد لهذه الفصحى قام النحاة و اللغويون العـــرب بدراسة هذه اللّهجات المتعددة قصد استخراج نظامها النحوي الموحدّ.

إن عدد اللهجات التي وصلت إلينا في مؤلفات القدامى، يقرب من أربعين لهجـــة جمعها السيوطي [٤]وهو بصدد ذكر اللهجات التي وردت بعض خصائصها في القرآن فكان منها: «قريش، وهديل، وكنانة وخثعم، وأشعر ، ونمير، وقيس عيلان ، وجرهم ، واليمن ، وأزد شنوءة ، وكندة ، وتميم ، وحمير، ومديـــن ، ولخم ، وسعد العشيرة ، وحضر موت ، وسدوس ، والعمالقة ، أنمار، وغســـان ،

---

(١) "في التطور اللغوي " د / عبد الصبور شهين، ط ٢، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥. ص ٦

(٢) تاريخ اللغات السامية ٢١٦.

(٣) " في التطور اللغوي " د / عبد الصبور شهين. ٤٧

(٤) قبله جمعها ابن عباس في كتاب " اللغات في القرآن" فجمع خمس عشرة لهجة، لكن السيوطي ذكر مجموعة أكبر من القبائل العربية . أما ما جاء في كتاب اللغات من اللهجات فهي « : لغة قريش، وهذيل، وكنانة ،والأوس والخزرج ،وخثعم ، وقيس عيلان وسعد العشيرة وجرهم واليمن، وأزد شنوءة وكندة وتميم وحمير ومدين ولخم وحضر موت وسدوس والحجاز ، وأنمار وغسان وبني حنيفة وثغلب وطيئ عامر بن صعصعة ومزينة وثقيف وجدام.»

ومذحج، وخذاعة وغطفان ، وسبأ، وعمان ، وبني حنيفة ، وثغلب ، وطيئ ، وعامر بن صعصعة ، وأوس ، ومزينة ، وثقيف ، وجذام ، وبلى ، وعذرة، وهوازن ، والنمر ، واليمامة ، والنخع وبني عيسى ، ونصر بن معاوية ، وعك ، وسليم ، وعمارة » [١] ، غير أن المروي من الظواهر اللّهجية لايتناسب مع عدد هذه القبائل حيث ورد في كتب اللّغويين والنحاة عدد منها، أذكر على سبيل المثال: عنعنة تميم ، وعجرفية قيس وضبة، وكشكشة أسد ، وكسكسة ربيعة ، ولخلخانية الفرات، وأعراب الشمر وعمان ، وغمغمة قضاعة ، وطمطانية حمير ، تضجع قيس، وتلتلة بهراء ، وقطعة وطيئ ، أضف إلى ذلك الشنشنة والاستنطاء، والفحفحة ، والوتم والوهم[٢] ، وغيرها من الظواهر اللهجية الأخرى.

إن هذه الألقاب من وضع اللغويين العرب، محاولين شرحها بذلك ، مع أن بعضهم[٣] ذهب إلى أن المسؤول عن تلقيب كل لهجة بلقب معين هو رجل كان في مجلس معاوية — هو رجل من جرم — بعد ما سئل عن أفصح الناس؟ فأجاب : « قوم ارتفعوا عن لخلخانية الفرات، وتيامنوا عن كسكسة بكر، ليست لهم غمغمة قضاعة ، ولا طمطمانية حمير. قال : من هم ؟ قال : قريش. قال : ممن أنت؟ قال : من جرم. قال: اجلس »[٤] .

فهذه هي ألقاب الظواهر اللّهجية، التي تناقلتها المراجع المختلفة، واختلف اللّغويون في تفسير بعضها، بأن نقلوا روايات تتضارب أحيانا عن تمثيل الظاهرة الموصوفة ، لكن هذا « الاختلاف في نسبة هذا اللقب أو ذاك ، إلى قبيلة من القبائل، في أحد المراجع العربية ، ونسبته إلى قبيلة أخرى في مرجع آخر ، لا يعني بالضرورة

---

(١) "الاتفاق في علوم القرآن" لجلال الدين السيوطي، حققه وعلق عليه عصام فارس الحرستاني، خرج أحاديثه محمد أبو صعيليك، دار الجيل، ط ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨، بيروت -لبنان، ص ١/١٣٤-١٣٥.

(٢) ينظر الكتاب ٤/١٩٧-١٩٩، الخصائص٢/١١ومابعدها ، الصاحبي ٥٣ وما بعدها، البيان والتبين ٣/٢١٧

(٣) " فصول في فقه العربية" د / رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط ٣، ١٩٨٧، القاهرة، مصر، ص ١١٧.

(٤) ".البيان والتبين" الجاحظ، دط ، ١٣١١هـ ، القاهرة، مصر، ص ٣/٢١٧

أن هناك تعارضا بين المرجعين في هذه النسبة، إذ قد تنتشر الظاهرة اللغوية أحيانا بين مجموعة من القبائل فيروي كل لغوي ما بلغة[١].

وتنقسم الظواهر اللهجية إلى قسمين ،منها ما هو فصيح قرىء به القرآن الكريم، واعتمد عليه في التقعيد للغة العربية، أما الجزء الآخر فغير فصيح. وفي ضوء هاذين المقياسين تفسر أحكام سيبويه على هذه اللهجات بأنها جيدة « فالنصب عربي، كثير، والرفع أجود»[٢]، وأحيانا رديئة " واعلم أن قوما من ربيعة يقولون ... وهذه لغة رديئة "[٣] أو رديئة جدا أو ضعيفة " وزعموا أن أبا عمرو قرأ... وهذه لغة ضعيفة"[٤]، وقد تكون أحيانا أخرى قليلة خبيثة.

هذه المظاهر مما مميز بين القبائل ، وهناك فروق صوتية أخرى لم تنتشر كالأولى إلى درجة التمييز بين القبائل ، وإلى درجة الاصطلاح عليها ، كقلب الثاء فاء، فمع أن الإبدال وجد عند قبيلة تميم إلا أن اللغويين لم يصطلحوا عليه مثلا بالفثفثة قياسا على مصطلحاتهم ، هذا لأنه لم يكن ليميز بين القبائل كقلب الهمزة عينا التي انتشرت عند تميم وبعض القائل المجاورة لها وسموها بالعنعنة ، والفرق الصوتية بين القبائل العربية كثيرة ، فكل قبيلة استقرت على الصوت الذي يناسب بيئتها إذ إن التغير الصوتي محدود بمكان معين، وبيئة ملائمة، ولعل أهم الفروق الصوتية التي ميزت القبائل العربية القديمة بعضها عن بعض نذكر اختلافها في الأصوات الآتية:

---

(١) فصول في فقه العربية ١١٧.

(٢) الكتاب ١٩٦/٤

(٣) نفسه ٨٢/١

(٤) نفسه ٣٣٦.

١- أصوات الحلق:

١- الهمزة:

الهمزة كما وصفها الخليل قديماً من" أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة " [١]، ويصفها سبويه من بعده " من أقصى الحلق" [٢]، فهو صوت مجهور شديد [٣]، مستفل، منفتح...، ونظرا لمخرجه الخاص يعتبر من أصعب الحروف نطقاً.

تبدل الهمزة هاءً في قول بعض العرب : هراق وأراق ، وهي لهجة يمنية قديمة ، سميت بلهجة الهاء [٤]. أمّا إبدالها من الألف والواو والياء فمن باب التحقيق ، أي تحقيق الهمزة ، فهي لشدتها وجهرها – كما وصفها القدامى – تناسب مع البيئة البدوية ذات الطابع الجاف والقاسي ،ممّا ساعد على شيوعها في قبائل وسط الجزيرة العربية وشرقها فهي أساسا في لهجات تميم وقيس وبني أسد ومن جاورهم " نعم، وربما لم يكتف من تقوى لغته ، ويتعالى تمكينه وجهارته ، بما تشجمه من مد الألف في هذا الموضع، دون أن يطغى به طبعه، ويتخطى به اعتماده ووطؤه إلى أن يبدل من هذه الألف همزة، فيحملها الحركة التي كان كلفا بها، ومصانعا بطول المدة عنها ، فيقول : شأبة ودأبةّ" [٥]و سمعت هاتين الصيغتين عند بني كلاب[٦] ، وفسر هذا الإبدالبكره اجتماع المثالين الساكنين فقد جاء في قراءة أحدهم قوله تعالى: ﴿ولا الضألين﴾ فهمز الألف ، وذلك أنه كره اجتماع الساكنين : الألف واللام الأولى ، فحرك الألف لالتقائهما ، فانقلبت همزةً لأن الألف حرف ضعيف، واسع المخرج ، لا يتحمل الحركة...فإذا اضطروا إلى تحريكه قلبوه إلى أقرب الحروف منه ، وهو الهمزة[٧].

---

(١) "العين " الخليل بن أحمد الفراهدي، طبعة بغداد، ١٩٦٧-١٩٨٥،ص٥٤/١

(٢) الكتاب ٤٣٣/٤

(٣) نفسه ٤٣٤.

(٤) لهجات اليمن قديماً وحديثاً

(٥) خصائص ٢٠٧/٣

(٦) لسان العرب ١٤/١

(٧) "سر صناعة الإعراب" أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق حسن الهنداوي، ط ١، دار القلم، ١٤٠٥هـ –١٩٨٥م، دمشق، سوريا، ص ٧٢/١

أما القبائل الحضرية كأهل الحجاز ومن مال إلى حذفها وتخفيفها ، فإنهم اختاروا مكانها الياء " إذا كانت مفتوحة وكان قلبها حرف مكسور، وذلك قولك في المئر: المير ، وإذا كانت الهمزة مفتوحة وقلبها ضمة..أبدلت مكانها واوا ،وذلك قولك في التؤذة : تودة. وإذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها فتحة فأردت أن تخفف أبدلت مكانها ألفا. وذلك في رأس : راس ، و إذا كان قبلها مضموما أبدلت مكانها واوا وذلك قولك في الجؤنة الجونة، وإذا كانت ما قبلها مكسورا أبدلت مكانها ياء ، ذلك الذئب: ذيب"[١].

ثم إنه لا تلتقي همزتان، لأن أهل التحقيق أنفسهم يخففون إحداهما،وذلك كما يبدو في قول سيبويه:" فاعلم أن الهمزتين إذا التقتا وكانت كل واحدة منهما من كلمة ، فإن أهل التحقيق يحققون إحداهما ويستثقلون تحقيقهما، كما استثقل أهل الحجاز تحقيق الواحدة ، فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا، و من كلام العرب تخفيف الأولى وتحقيق الثانية، و هو قول أبي عمرو و ذلك نحو قوله تعالى: ﴿فقد جاأشراطها﴾ [٢]،﴿ويا زكريا إنا﴾ [٣]، ومنهم من يحقق الأولى ويخفف الأخرى، سمعنا ذلك من العرب، وهو قولك :فقد جاء اشراطها ، ويا زكرياء انا "[٤].

و منه إبدال الهمزة ياء لأجل التخفيف مثل: قريت وتوضيت في تخفيف قرأت و توضأت " أما أعصر فهمزته في هي الأصل: و الياء في يعصر بدل منها يدل على هذا أنه إنما سمي بذلك لبيت قاله، و هو:

أبني إن أباك شيب رأسه كر الليالي و اختلاف الأعصر.

فالياء في يعصر إذا بدل همزة أعصر "[٥].

---

(١) الكتاب ٤/٥٤٣- ٥٤٤

(٢) الآية ١٨ من سورة محمد

(٣) الآية ٧ من سورة مريم

(٤) الكتاب ٣ /٥٤٨-٥٤٩.

(٥) الخصائص ٣ /١٨٢

أما قراءة عمرو بن عبيد ﴿ فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس و لا جأن﴾ [١]فقد عدها ابن جني لحنا إلى أن سمع العرب كقول: شأبة و دأبة[٢]و أكدّ ذلك بشعر مما سمع عن العرب قولهم:

و بعد إنتهاض الشيب من كل جانب على المتى حتى اشعأل لهيمها [٣]

كذلك قراءة ابن جبير قوله تعإلى :﴿من إعاء أخيه ﴾[٤] في ﴿من وعاء أخيه ﴾، حيث حقق الهمزة ، و لهذا نسب التحقيق إلى هذيل [٥]بحكم أن القارئ هذلي ، كذلك نُسب إلى تميم[٦] ، كما نسب هذا الاستخدام إلى بني عقيل الذين قالوا: في الحوت : الحؤت، و إلى بني سليم الذين قالوا في المشتاق: المشتئق، و عليه أنشد أعرابي من بني سليم:

يا دار مي بدكاديك البرق *** سقيا و إن هيجت شوق المشتئق

و مثله قول أعرابي آخر :

فإنها جبل الشيطان يحتئل [٧]

و من مبالغتهم في الهمز ، همزالتوهم كما اصطلح عليه، و هو همز مالا همز فيه ، لمشابهه للمهموز فقد "روى الفراء عن بعض العرب قال : و سمعت امرأة من غنى تقول :رثأت زوجي بأبيات ، كأنها لما سمعت رثأ اللبن ذهبت إلى أن مرثية الميت منها. قال و يقولون : لبأت بالحج و حلأت السويق فيغلطون، لأن حلأت يستعمل

---

(١) الآية ٣٩ من سورة الرحمن.

(٢) الخصائص ٣/ ١٨٤

(٣) سر صناعة الأعراب ٤٧/١.

(٤) الآية ٧٦ من سورة يوسف.

(٥) " البحر المحيط "لأبي حيان الأندلسي، د ط، ١٣٢٩هـ، القاهرة، مصر، ص ٣٣٢/٥

(٦) " الإبدال لأبي الطيب اللغوي، تحقيق عز الدين التنوخي، دط، مطبوعات المجمع العلمي العربي، ١٩٦٠-١٩٦١، دمشق، سوريا، ص ٥٦/١-٥٧.

(٧) "تهذيب اللغة" للأزهري ، دط، الدار المصرية للتاليف والترجمة، مطابع سجل العرب، د ت ، ص ٥/ ٢٤١.

في طرد الوارد من الماء و منعه منه ، يقال: حلأته عن الماء: طردته و منعته ، و حلأ السويق: حلاه همزوا غير المهموز، لأنه من الحلواء " [١].

هكذا نرى كيف اختلفت القبائل في تحقيقها لصوت الهمزة، نظرا لطبيعتها الجغرافية . وكان للمناخ تأثير كبير في القبائل البدوية و منه جنوحها إلى صوت الهمزة الشديد حتى يتناسب مع شساعة الصحراء وجفافها، و لعلنا لاحظنا كيف أن تحقيق الهمزة و إبدالها من أصوات العلة الثلاثة كان سائدا عند القبائل التي سكنت وسط الجزيرة العربية وشرقيها ومنهم تميم أكبر هذه القبائل و من جاورها أمثال عقيل و هذيل و بني كلاب وغيرها من القبائل الأخرى ، حتى شكلت ظاهرة لهجية خاصة عرفت عند نحاة العربية ولغوييها بالهمز [٢]، الذين راحوا يجمعون هذه المادة اللهجية تحت راية الفصحى، مشيرين بذلك إلى من كان يميل إليها ومن كان يتركها، ووضعوا لها أحكاما و مقاييس يبنى عليها، و إذا خالفها فهو شاذ و رديء، لكن هذا الشذوذ يعود إلى الفروق اللهجية بين القبائل العربية كجأن وشأبة ورثأت و غيرهم ...، مع أن القدامى عرفوا هذه الظاهرة تحت

مصطلح النبر و عليه قول أحدهم: " و النبر همز الحرف ... و لم تكن قريش تهمز في كلامها ، و لما حج المهدي قدم الكسائي يصلي بالمدينة، فهمز فأنكر أهل المدينة عليه ، و قالوا : تنبر في مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم القرآن"[٣]"

٢- الهـــــاء:

الهاء صوت مهموس كما وصفه سيبويه ، وهو من أصوات حيز أقصى الحلق، قال سيبويه واصفا مخارج أصوات الحلق:" فأقصاها مخرجا : الهمزة والهاء والألف" [٤].

---

(١) نفسه ١٢٤/١٥-٦٨٣-٢٣٤.

(٢) تهذيب اللغة ١٢٤/١٥-٦٨٣-٢٣٤

(٣) لسان العرب " نبر"

(٤) ينظر الكتاب ٤ /٤٣٣

لم يرد عن إبدال الهاء إلى صوت آخر ، أو إبدالها من صوت آخر إلا في حالة الوقف أين تبدل الهاء تاء في بعض جهات " صعدة " وفي قبيلة "سحار "مثل قولهم : بقرت في بقرة ، خربت في خربة ..[١] ، وهي لهجة سبئية متواترة في النقوش ، حتى سميت بلهجة الهاء [٢]، وقد وجد لهذا الإبدالأثر في كلام العرب ومن ذلك قول أحدهم:

بلغت قلوب الخلق عند العلصمت ***وكادت الحرة أن تدعى أمت [٣].

٣- العين:

العين صوت مجهور كما وصفه القدماء" ...من وسط الحلق مخرج العين والحاء « [٤] ويكون أصلا وبدلا [٥]، وأما الأصل كقولنا: عنب، شعير. أما البدل ، فمما روي عنه إبداله من الهمزة. شاع هذا الإبدال بين القبائل العربية التي تسكن وسط الجزيرة وشرقها ، فهي مناطق صحراوية وقد اختارت العين لجهارته، كما أنه من أطلق الحروف وأضخمها جرسا ثم إنها إذا دخلت بناء حسنته لنصاعتها[٦] من دون الهمزة، واصطلح اللغويون على هذا النوع من الإبدال" بالعنعنة " ونسبوها إلى تميم مطلقا وبعض القبائل لمجاورة لها « العنعنة حكاية كلام نحو قولهم: عنعنة تميم لأنهم تجعلون الهمزة عينا « [٧]. ومن ذلك قول ذي الرمة[٨]

---

(١) لهجات اليمن قديما وحديثا ٤٩

(٢) نفسه ١٣

(٣) " مغني اللبيب " ابن هشام

(٤) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٥) سر صناعة الإعراب ١/٢٢٩.

(٦) ينظر العين ١ / ٥٣.

(٧) جمهرة اللغة " ابن دريد ط١، مطبعة المعارف، بحيد أباد، ١٣٤٤هـ، ١ /١٦٦

(٨) الخصائص ٢/١٤٦.

أعن تر سمت من خرقاء منزلة * * مـــــــاء الصبابة من عينيك مسجوم

وقـــال آخر :

فنحن منعنا يوم حرس نساء كم * * غداة دعانا عامر فج معتلى

فقال عامر وهو يريد آمر.

ومنه أيضا قول : جران عود :

فما أبن قلن يا ليت عننا تراب وعن الأرض بالناس تخسف

ومنه كذلك "العسف والأسف ، والعين أخت الهمزة "[١] ، ومما ورد من ذلك، أي أبدلت فيه الهمزة عينا قولهم" كعص أي كـــأص بمعنى أكل يقال كعصنا وكأصنا عند فلان ، أي أكلنا، قال أبوا حاتم: هي همزة أبدلت عينا، لأن بني تميم ومن يليهم ، يحققون الهمزة حتى تصير عينا "[٢] ،ومما ورد عن هذا الإبدال أيضا قولهم " الخبع في الخبء، في لغة تميم يجعلون *بدل الهمزة عينا* "[٣]، وروى عن تميـــم أيضـــا " هـــذه خباعنا، يريدون خباؤنا، ويقال خبع الرجل في المكان إذا دخل فيه ، وأحســـب أن هذه العين همزة "[١].أجمع بعض اللغويين على أن إبدال العين مقتصر على همزتي (أن) و(أن) المفتوحتين " ومجيء النون في العنعنة يدل على أن إبدالهم إياها إنما هـــو في همزة (أن) لا غير"[٤] فأما عنعنة تميم تقول في موضع (أن) (عن) وتقول ظننت عن عبـــد الله قائم [٥].

ويخص الفراء هذا الإبدال بالحرف(أن) المفتوح الهمزة « لغة قريش ومن جـــاورهم :(أن) وتميم وقيس وأسد ، ومن جاورهم ، يجعلون ألف (أن) ، إذا كانت مفتوحـــة عينا ، يقولون : أشهد عنك رسول الله ، فإذا كسروا رجعـــوا إلى الألـــف"[٦].

---

(١) جمهرة اللغة ١ /١٦٠

(٢) االعين ١٦٠/١

(٣) جمهرة اللغة ٢٣٧/١-٢٣٨.

(٤) سر صناعة الإعراب ٢٣٣/١

(٥) نفسه ٢٢٩/١

(٦) "تهذيب اللغة" الأزهري، دط، مطابع سجل العرب، د ت ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص ١ /١١١

ونقلت المصادر أمثلة أخرى تم فيها إبدال الهمزة عينا حتى مع كسرها ، ثم إنها غير مخصصة "بأن " المفتوحة " ومن ذلك العنعنة، وهي في كثير من العرب ، في لغة قيس وتميم ، تجعل الهمزة المبدوء بها عينا ، فيقولون في إنك: عنك، وفي أسلم : عسلم ، وفي أذن: عذن"[١] ويورد لنا مثلا آخر عن هذا الإبدالفي غير همزة (أن)، مع أنه سبق وأكد خصوصية العنعنة بألف (أن) "فقالوا: رجل إنزهوا * .وقالوا: عترهوا فجائز أن تكون العين بدلا من الهمزة ، وجائز أن تكون أصلين"[٢]ونسب هذا الإبدال إلى تميم خاصة ، وهو إبدال عام على ما يبدو، أجمع معظم اللغويين على أن إبدال العين من الهمزة عام في تميم " والخبع: الخبىء، في لغة تميم ، يجعلون الهمزة عينا"[٣]، وهناك قبائل أخرى حذت حذو تميم في إبدال العين من الهمزة ، فقد جعله ابن دريد في تميم ومن يليهم [٤]، ونسبها بعضهم إلى تميم وقيس وأسد [٥].

والإبدال بين الهمزة والعين جائز وممكن فهما متجاورتان، فأقصاهما مخرجا" الهمزة من أوسط الحلق مخرج العين " [٦]، وجنوحهم نحو صوت العين مناسب لطبيعة هذه القبائل البدوية ، الذين يحتاجون إلى نبرة عالية لاتساع الصحراء ، والعين هي الأنسب لهذه البيئة والأقرب إلى الهمزة ، لأن الهمزة مهموسة والعين مجهورة وهي أندى وأصغى سماعا من الهمزة.

عرف هذا الإبدال في لهجات اليمن وبالضبط في لهجة "صنعاء "، في كلمة واحدة فقط وهي بدع ومنه قول الآنسي:

فخذ لبدع الهوى مختم * * سلام إلى يوم تلقاني

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٣٦

(٢) نفسه ١/٢٣٦

(٣) العين ١/١٤١

(٤) جمهرة اللغة ١/١٦٠

(٥) تهذيب اللغة ١/١١١

(٦) الكتاب ٤ /٤٣٣.

وقـــــوله :

ابدع بها واجعل المقصود منها ختامه

و لم تتعد المصادر هذه الكلمة، المنسوبة إلى اليمن باستثناء ما نقلته بعض المصادر مـن أمثلة منسوبة إلى بعض الجهات من "تهامة" فهم يقولون: في الأمـــــير ،العمـــير، وفي الإمام، العمام[١] .

وتبدل العين أيضا همزة في لهجة تهامة مثل قولهم ، بئير في بعير ، إنـــب في عنب، " وقد سمعت أبا الصقر ينشد:

أربيني جوادا مات هزلا *** لألني أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا

قال : يريد : لعلني " [٢].

ومن نماذج التغيرات التي اعترت العين إبدالها أيضا ياء. وذلك كما يبـــدو في قـــول الشاعر:

ومنهل ليس به حوارق *** وللضفاضي جمة نفائق

يريد " للضفادع جمه " فكره أن يسكن العين في موضع الحركة فأبدل منها صوتـا يكون ساكنا في حالة الجر وهو الياء [٣]، والواضح أنها لغة لعدم وجود المسوغ في هذا الإبدال. وقالوا في المضعف: تلعيت من اللعاعة وهي بقلة وأصله تلععت [٣].

ومن صور تغيرات العين إبدالها حاء. يبدوا هذا في قراءة بعضهم لقوله تعـــالى: ﴿عتى حين﴾[٤]. وكثرت الروايات عن هذا النوع من الإبدال، ونعتوه بمصطلـــح الفحفحة ، وعرفوها على أنها إبدال الحاء عينا [٥]، ونسب هذا الإبـــدال إلى قبلـــة هذيل ، وعلى هذه اللغة قرأ ابن مسعود قوله تعالى :﴿ حتى حين﴾ ﴿ عتى حـــين﴾ ،

---

(١) لهجات اليمن قديما وحديثا ٤٤

(٢) سر صناعة الإعراب ٢٣٦/١

(٣) سر صناعة الإعراب ١٤٦/١

(٤) الآية ٣٥ من سورة يوسف

(٥) سر صناعة الإعراب ٢٠٩/١

وأنكر عمر – رضي الله عنه- هذه القراءة، وحث ابن مسعود على إقراء الناس بلغة قريش فقال:" إن الله عز وجل أنزل هذا القرآن ، فجعله عربيا، وأنزله بلغة قريش ، فأقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل ، والسلام"(١) .

وذهب بعضهم إلى أن إبدال الحاء عينا محصور فقط في حاء حتى ، بدليل أن ابن مسعود ترك حاء حين على حالها فقوم " يحولون حاء حتى، فيجعلونها عينا، كقولك : قم عتى آتيك "(٢) لكن هناك من الأمثلة والشواهد ما يثبت عكس ذلك، فمن ذلك قولهم عصد الرجل إذا مات في حصد " لغتنا حصد ولغة الأكثر عصد " (٣)، ومنه أيضا قولهم : الحبكة والعبكة وهي الحبكة من السويق(٤) .

ولما كان انتشار هذا الإبدال بين صوتي العين والحاء في كلمة حتى ، وبالذات في قراءة ابن مسعود ، جعل المحدثون يطعنون في صحته، لكن قراءة ابن مسعود مرة واحدة تكفي دليلا على شيوع هذا الإبدال على الأقل عند قبيلة هذيل ، وقد استحسن الرسول صبى الله عليه وسلم قراءته فقال:" من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم معبد " ويعني بأم معبد، ابن مسعود. ومن أهم ميزات القرآن الكريم تساهله مع اللهجات في حدود فهم معاني آياته المحكمات. وتقر الدراسة الصوتية هذا الإبدال للقرابة الصوتية القائمة بين الصوتين المبدلين، قال ابن جني:"ولو لا بحة في الحاء لكانت عينا..ولأجل البحة التي في الحاء ما يكررها الشارق في تنحنحه"(٥)، وأشار في موضع آخر إلى تنواب الإبدالبين العين والحاء لما بينهما من قرابة صوتية فقال:" العرب تبدل أحد هذين الحرفين من صاحبه لتقاربهما

---

(١) " المحتسب" ابن جني ، د ط، دار التحرير، ١٣٨٩هـ – ١٩٨٦م، ص ١ /٣٤٣

(٢) "القلب والإبدال" ابن سكيت تحقيق حسن محمد شرف، مراجعة علي النجدي ناصف، دط، ١٩٧٨، القاهرة، مصر ، ص٢٣.

(٣) " الإبدال" لأب الطيب اللغوي ١ /٢٤٦

(٤) " المزهر في اللغة وعلومها" جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد جاد المولى وآخرون، دط، دت، القاهرة، مصر، ص ٤٤٦/١

(٥) سر صناعة الإعراب ١ /٢٤١

في المخرج كقولهم بحتر ما في القبور أي بعثر "[١]، وإبدالها من الحاء مختص بلهجات قبائل معينة، حيث نسب إلى هذيل وثقيف" عتى : هذلية ثقيفية"[٢].

كما تبدل من الغين، لأنه صوت مجهور أيضا. مخرجه من أدنى الفم " وأدناها مخرجا من فم الغين والخاء "[٣].ومما جاء عن إبدال العين من الغين قوله : " حكى ابن الأعرابي عن أبي فقعس في صفة الكلأ : خضع مضع، ضاف رتع قال أراد أن الإبل تخضع فيه وتمضعه ، فأبل الغين عينا " [٤]، ولم يشر ابن حني ما إذا كانت لغتين أم أنه فقط إبدال، لأن الإبدال هنا أيضا جائز بحكم الصفات المشتركة و قرابة المخرج.

٤ ــ الحـــــاء:

نص سيبويه أن الحاء صوت مهموس ، مخرجه من وسط الحلق[٥] ، يكون" أصلا لا غير ، ولا تكون الحاء بدلا ولا زائدة أبدا إلا فيما شذ عنهم"[٦] ولعل عبارة إلا فيما شذ عنهم دليل على أن الإبدال كان يخص لهجة معينة ، يبدل الناطقون بها الحاء خاء، واستكره ابن جني هذا الإبدال فنعته بالشاذ، كما كان يفعل دوما ، ومما أورده عن هذا الإبدال قول ابن الأعرابي:

ينفحن منه لهبا منفوحا** لمعا يرى لا ذاكيا مقدوحا

قال : أراد " منفوخا " فأبدل الخاء حاء.

وأورد مثالا آخر عن إبدال الحاء من الثاء ، وذلك كم يبدو في قول من قال في قول تأبط شرا:

كأنما حثحثوا حصا قوادمه** أو أم خشف بذي شث وطباق وعلق قائلا :" إنه أراد حثثوا ، فأبدل من الثاء الوسطى حاء ، فمردود عندنا، وإنما ذهب

---

(١) المحتسب ١/ ٣٤٣.

(٢) لسان العرب (عن) .

(٣) الكتاب ٤/٤٣٣

(٤) سر صناعة الإعراب ١/٢٤٢.

(٥) ينظر الكتاب ٤ /٤٣٣

(٦) سر صناعة الإعراب ١/ ١٧٩.

إلى هذا البغداديون*، وأبو بكر معهم أيضا. وسألت أبا علي عن فساده، فقال: العلة في فساده أن أصل القلب في الحروف إنما هو فيما تقارب منها ، وذلك الذال والطاء والتاء ، والدال والظاء، والثاء ، والهاء ، والهمزة ، والميم والنون ، وإلى غير ذلك مما تدانت مخارجه"(١) .

وربما يكون قوله:" قول من قال في قول تأبط شرا" ، دليلا على أن إبدال الحاء من الثاء اقتصر على بعض الناس مما ميزهم عن غيرهم، وجعل هذا مظهرا من مظاهر الفروق الصوتية بين اللهجات العربية القديمة ، وما يؤكد ويدعم اعتقادنا قوله: " فأما الحاء فبعيدة من الثاء ، وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها قال: وإنما حثحث أصل رباعي ، وحثث أصل ثلاثي ، وليس واحد منها من لفظ صاحبه ، إلا أن حثحث من مضاعف الأربعة ، وحثث من مضاعف الثلاثة ، فلمت تضارعا بالتضعيف الذي فيهما اشتبه على بعض الناس أمرهما (١).

كما يظهر صوت الحاء بعد إدغام صوتين آخرين هما العين والهاء، وهذا الإدغام شاع عند بني تميم ، فهم في قولهم:" محم ، يريدون معهم ، ومحا ؤلاء ، يريدون: مع هؤلاء فلا تدغم العين مع الهاء كقولك: اقطع هلالا، البيان أحسن، فإن أدغمت لقرب المخرجين حولت الهاء حاء ، والعين حاء ، ثم أدغمت الحاء في الحاء ، لأن الأقرب إلى الفم لا يدغم في الذي قبله، فأبدلت مكانها أشبه الحرفين بها ، ثم أدغمته فيه ، كي لا يكون الإدغام في الذي فوقه ، ولكن يكون في الذي هو من مخرجه..ومما قالت العرب تصديقا لهذا الإدغام قول بني تميم:محم يريدون معهم، ومحا ؤلاء يريدون: مع هؤلاء"(٢).

ولا تدغم الخاء في العين " لأن الحاء قد يفرون إليها إذا وقعت الهاء مع العين... ولكنك لو قلبت العين حاء فقلت قي امدح عرفه -امدحرفه :جاز ، كما

---

* يقصد بهم الكوفيين .

(١) سر صناعة الإعراب ١ /١٧٩-١٨٠.

(٢) الكتاب ٤ /٤٥٠

قلت " اجبحنبه " في اجبه عنبه حيث أدغمت وحولت العين حاء ،ثم أدغمت الهاء فيها "[١].

ومما قالت العرب في إدغام الهاء في الحاء قول الشاعر:

كأنها بعد كلال الزاجر *** ومسحى مر عقاب كاسر

يريدون : مسحه [٢]

فالأصوات اللغوية المتجاورة يتأثر بعضها ببعض، وكان الإدغام نتيجة لهذه التأثيرات وقد حدث عند بعض القبائل في البيئات البدوية حيث السرعة في نطق الكلمات ، مما يؤدي إلى مزج بعضها ببعض فلا يعطى الحرف حقه الصوتي من التحقيق عند النطق به ، وهذا راجع طبعا لطبيعة معيشتهم . فأدغموا كثيرا في كلامهم فكانوا يدخلون الأصوات بعضها في بعض لسرعتهم في إخراج الأصوات وعدم التأني في ذلك.

وتدغم الحاء في العين " من العرب من يدغم الحاء في العين نحو قوله تعالى :﴿ فمن زحزح عن النار ﴾ [٣]"[٤].

٥ ــ الخاء:

الخاء من الأصوات المهموسة،مخرجها من أدنى الحلق إلى الفم[٥]، لم يرد إبداله إلى صوت آخر ولا إبداله من صوت آخر ، فلم يكن من الأصوات المميزة للهجات القبائل بعضها عن بعض، ومن هنا لم تنفرد قبيلة ما بنطقه بدل صوت آخر ، ولا نطقه صوتا آخر، أما قولهم : خمص الجرح يخمص خموصا، وحمص يحمص حموصا ، والخمص الخماصا ، إذا ذهب ورمه [٥]، فلا يكون

---

(١) الكتاب ٤ /٤٥٠.

(٢) الآية ١٨٥ من سورة آل عمران.

(٣) " النشر في القراءات العشر" ابن الجزري، تصحيح ومراجعة علي محمد الضياع، دط، دت، ص ١ ٢٩٠.

(٤) ينظر الكتاب ٤ /٤٣٣

(٥) القلب والإبدال لابن السكيت ٩٩.

فيه الحاء بدلا من الخاء، ولا الخاء بدلا من الحاء ، ألا ترى أن كلا المثالين يتصرف في الكلام تصرف صاحبه ، فليست لأحدهما مزية من التصرف والعموم في الاستعمال يكون بها أصلا ليست لصاحبه، ومع هذا فإنك تجد لكل واحد منها وجها يحقق له حرفه ، وذلك أن خمص بالخاء من الشيء الخميص: الضامر ، وهذا واضح ، لأن الجرح إذا ذهب رمه فهو كخمص البطن وأما الحمص بالحاء فهو من الحمص، ألا ترى أن الحمصة صغيرة مجتمعة ضامرة ، فهذا يشهد بأن الحرفين أصلان ، وأنه ليس أحدهما أصلا لصاحبه ، و لا بدلا منه [١].

٦- الغين:

الغين صوت مجهور مخرجه من أدنى الفم [٢]،يكون أصلا لا بدلا ولا زائدا [٣] . أما قولهم : خطر بيده يخطر، وغطر يغطر ، فالغين كأنها بدل من الخاء لكثرة الخاء وقلة الغين، وقد يجوز أن يكونا أصلين إلا أن أحدهما أقل استعمالا من صاحبه[٣] .

والظاهر أن إبدال الغين من الحاء قد يكون يخص لهجة قبيلة معينة لعدم شيوع الاستعمال ، وقد يكون أصلا كما ذكر ابن جني. وتبدل الغين من العين في لهجة قبيلة معينة ، كما أشار إليها أبو الفتح قائلا : "فأما قولهم في لعل : لعني ، ولغني، ورغني، فينبغي أن تكون الغين فيه بدلا من العين لسعة العين في الكلام ، وكثرتها في هذا المعنى وقلة الغين. وأما ارمعل وارمغل فلغتان ، وكذلك قولهم : علث الطعام وغلثه * ، والنشوع والنشوغ ، كلها لغات لاستوائها في الاطراد والاستعمال. أما قول زهير ابن أبي سلمى:

حتى إذا ما هوت كف الغلام لها ** طارت وفي كف من ريشها بتك

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ١٨٤.

(٢) ينظر الكتاب ٤/٤٣٣.

(٣) سر صناعة الإعراب ١ /٢٤٣.

فقد روي هذا البيت بالغين معجمة، وبالعين مهملة" أما الغلام فمعروف، وأما العلام بالعين غير معجمة:...الصقر. وهذ من طريف الرواية وغريب اللغة".[١]

٢- أصوات الفم:

١- القـــــاف:

القاف في وصف النحاة واللغويين العرب القدامى صوت مجهور، ينطلق: "من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى" [٢].

فضل التميميون صوت القاف على الكاف فقالوا : "قشطت الجل عن الفرس " بدلا من كشطته ، قال أبوا عبيدة :" وقريش تقول كشطت ، وتميم وأسد وقيس تقول قشطت ، وفي مصحف عبد الله بن مسعود " قشطت " "[٣]وليست القاف هنا بدلا من الكاف بل هما لغتان لقبائل مختلفة، قال الفراء :" قريش تقول : كشطت، وقيس وتميم تقول قشطت ، بالقاف. وليس القاف في هذا بدلا من الكاف لأنهما لغتان لأقوام مختلفين. فأما ما حكاه الأصمعي من قولهم :" امتك الفصيل ما في ضرع أمه وامتق ، وتمقق وتمكك إذا شربه كله، فالأظهر فيه أن تكون القاف بدلا من الكاف"[٤] . كما يلحق أهل تميم القاف بالكاف حتى تغط جدا فتنطق كافا ، فيقولون : (الكَوم) بدلا من القوم، قال أبو الأسود الدؤلي. الشاعر التميمي:

ولا أكَول لكَدر الكَوم كَد نضجت ** ولا أكَول لباب الدار مكَفول[٥]

إن اختيار التميميين خاصة والبدويين عامة لصوت الكَاف دون القاف والقاف دون الكاف ، ناتج لحرصهم على الشدة والتغليظ في الأصوات تماشيا مع

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٤٤.

(٢) الكتاب ٤ /٤٣٣.

(٣) القلب والإبدال لابن السكيت ١١٣-١١٤.

(٤) سر صناعة الإعراب ١ /٢٧١.

(٥) جمهرة اللغة ١/ ٥٠.

طبيعتهم الجافة والقاسية التي تتطلب الأصوات الأكثر سماعا ، في حين فضل أهل الحجاز الأصوات المهموسة والرخوة والمرققة لملاءمتها نفسيتهم وطبيعتهم المسقرة.

٢- أصوات أقصى الحنك:

الكاف:

الكاف صوت مهموس يخرج " من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا، ومما يليه من الحنك الأعلى "[١] ، وتبدل الكاف من التاء ، وهو إبدال جائز للقرابة الصوتية التي تجمع بين هذين الصوتين ، فقد أنشد أبو علي الشاعرقوله:

يا بن الزبير طالما عصيكا*** وطالما عنيتنا إليكا **

لنضربن بسيفينا قفيكا

وكان سحيم إذا سجع شعرا جيدا قال : أحسنك و الله، يريد أحسنت [٢]

وقد أراد بعصيكا: عصيت.

وتبدل الكاف شينا إذا كانت مؤنثة " فأما ناس كثير من تميم وناس من أسد فانهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث شينا ، وذلك أنهم أرادوا البيان في الوقف ، لأنها ساكنة في الوقف فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث؛ وأرادوا التحقيق والتوكيد في الفصل؛ لأنهم إذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف كان أقوى من أن يفصلوا بحركة.. وجعلوا مكانها أقرب ما يشبهها من الحروف إليها ، لأنها مهموسة كما أن الكاف مهموسة ، ولم يجعلوا مكانها مهموسا من الحلق لأنها ليست من حروف الحلق. وذلك قولك: إنش ذاهبة ، وما لش ذاهبة، تريد: إنك، ومالك"[٣] .

---

(١) الكتاب ٤/ ٤٣٣.

(٢) سر صناعة الإعراب ١ /٢٨٠-٢٨١.

(٣) الكتاب ٤ /١٩٩

شاع هذا الإبدال عند قبائل معينة ، ولما كان ذائعا أصبح مظهرا مميزا لها . لقبه اللغويون والنحاة القدامى بالكشكشة ، ودرسوها تحت هذا العنوان، ونسبوها إلى قبيلة ربيعة[١] .فقد أورد الحريري ما نصه:" أما كشكشة ربيعة فإنهم يبدلون عند الوقف كاف المخاطبة شينا فيقولون للمرأة: ويحك ومالش "[٢] ذلك لأن الكسرة الدالة على التأنيث تخفى في الوقف، فاحتاطوا للبيان بأن أبدلوها شينا فقالوا : عليش ومنش ، ومررت بش[٣].

وذكر المبرد قولهم للمرأة "جعل الله البركات في دارش . وقولهم:ويحك مالش"[٤].

و أورد اللغويون بعض الشواهد على إبدال كاف المؤنث شينا في الوقف، منها قول رؤبة:

تضحك مني إن رأتني أحترش
ولو حرشت لكشفت عن حرش
عن واسع يغرق فيه القنفرش[٥]

وكاف حرك أبدلت في هذا الرجز إلى شين لضرورة القافية ومن ذلك أيضا ما أنشده ابن جني لأعرابي[٦]:

على فيما أبتغي أبغيش
بيضاء ترضيني ولا ترضيشي
حتى تنقى كنقيف الديش

فجاء قلب الكاف شينا في غير كاف الضمير [٧]في "الديك" لضرورة القافية، حيث شبه كاف الديك لكسرتها بكاف ضمير المؤنث[٨] .

---

(١) الخصائص ١/١١.

(٢) " ذرة الغواص في أوهام الخواص" للحريري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دط، نهضة مصر، ١٩٧٥، ص ١٨٣.

(٣) سر صناعة الإعراب ١ /٢٠٦.

(٤) " الكامل في اللغة والأدب" المبرد، دط، مكتبة المعارف، دت، بيروت، لبنان، ص ٣٧١/١.

(٥) الإبدال لأب الطيب اللغوي ٢/ ٢٣٠.

(٦) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٠٧.

(٧) مجالس ثعلب ١١٦/١.

(٨) سر صناعة الإعراب ٢٠٧/١.

لم يقتصر إبدال الكاف شينا على الوقف فقط ، بل أجروا الوصل مجرى الوقف ، وأبدلوا الكاف شينا . من هذا قول المجنون:

فعيناش عيناها وجيدش جيدها ** سوى أن عظم الساق منش دقيق [١]

وفي المثال السابق« ويحك ومالش» تظهر فيه كافان للمؤنث ، إحداهما في ويحك في الوصل ، وقد بقيت كاف والأخرى في مالك في الوقف ، قلبت شينا .يبدوا هذا في قولهم أما الأولى فيدرجونها " ويدعونها كافا ، والتي يقفون عليها يبدلونها شينا" [٢].لكن هناك شواهد أخرى تفيد قلب الكاف شينا في الوصل أيضا من ذلك قولهم:" إذا أعياش جاراتش فأقبلي على ذي بيتش*[١]، كما رووا أن أعرابية نادت جارية فقالت:" تعالي إلى مولاش يناديش"[٣].

وقال أحدهم:

أي غلام لش علود العنق*** ليس بكياس ولا جدهمق

لش: لك، وهي لغة لبعض العرب [٤]، وعليها قرأ بعضهم ﴿قد جعل ربش تحتش سريا ﴾ لقوله تعالى:﴿ قد جعل ربك تحتك سريا﴾ [٥].

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/٢٠٧.

(٢) الكامل ٢/٢٢٣.

* هذا المثل من أمثال العرب وهو في مجمع الأمثال ١/ ٧٨(رقمه ٤٠٢) ومفاده أن رجلا قال لامرأته : إذا أعياك الشيء من قبل غيرك فاعتمدي على ما في ملكك.

(٣) تاج العروس" كشش" .

(٤) تهذيب اللغة ٢/٢١٦

(٥) سورة مريم آية ١٩.

ونسب اللغويون هذا الإبدال-كما رأينا- إلى أسد تميم ، ونسبها ابن فارس إلى أسد وحدها[١] ، ونسبها المبرد إلى تميم وحدها [٢]وبعضهم نسبها إلى ربيعة ومضر [٣].

إن ابن دريد ذهب مذهبا متميزا في هذه اللهجة ، فهو يرى أن الكاف لا تبدل شينا خالصة، لكن إلى صوت بين الشين والجيم، ويعبر عنها بقوله:"و إذا اضطر الذي هذه لغته، قال: جيدش وغلامش، بين الجيم والشين، إذا لم تتهيأ له أن يفرده "[٤].

وإبدال كاف المخاطبة شينا وجد في لهجة "صنعاء " وكذا في "يريم" ، وفي الجهة الشمالية من "صعدة" ك"ابن قم" و"بني منبه" يقلبون كاف الخطاب للمذكر والمؤنث شينا شديدة التعطيش[٥].

أما إبدال الكاف شينا مطلقا بعيدا عن كاف المخاطبة ، وكذا التمييز بين المذكر والمؤنث في حالة الوقف أو الوصل كذلك خصه اللغويون بمصطلح آخر هو الشنشنة ، وهو عند السيوطي: "جعل الكاف شينا مطلقا ، فقد سمع بعض أهل اليمن في عرفة يقولون : "لبيش اللهم لبيش " [٦] أي لبيك اللهم لبيك.

ونسب الرجل الجرمي، الذي كلم معاوية عن أفصح العرب ، هذا الإبدال إلى قبيلة ثغلب حين قرر أن أفصح العرب" قوم تيامنوا عن شنشنة ثغلب"[٧] ،

---

(١) الصاحبي ٢٤.

(٢) الكامل ١ /٣٧١.

(٣) المزهر ١ /٢٢١.

(٤) جمهرة اللغة ١/ ٥٠

(٥) لهجات اليمن قديما وحديثا ٤٨.

(٦) المزهر ١/٢٢٢.

(٧) " العقد الفريد لابن عبد ربه ،دط، ١٢٩٣هـ، القاهرة ، مصر، ص ٢/٤٧٥، ٣ ٣٢٠.

ونسب أيضا إلى بكر بن وائل وإلى حمير [١]، لكن هذه اللهجة أو هذا الإبدال الذي ميزها دون سوها اختص به اليمنيون[٢].

وتبدل الكاف سينا في لهجات بعض القبائل العربية حين يقولون: أبوس وأمس يريدون: أبوك وأمك، لكن بعضهم يزيد السين بعد الكاف في الوقف نحو: مررت بكس، أي بك[٣] .

هذه الظاهرة اللهجية نعتها اللغويون بالكسكسة ، وهي لغة من لغات العرب تقارب الكشكشة[٤]. ووردت في كلام الرجل الجرمي حين سأله معاوية عن أفصح النلس ؟ قال : قوم تياسروا عن كسكسة بكر ، وهذا دليل على وجود هذا الإبدال، أو إلحاق كاف المخاطبة سينا عند قبيلة بكر ومنهم من أضاف إلى هذه القبيلة ربيعة ومضر[٥]، إلا أن الحريري رفض نسبتها إلى ربيعة ومضر[٦] ، ومنهم من نسبها إلى تميم[١] ، كما نسبها آخرون إلى هوازن.[٧]

إن تضارب اللغويين في نسبة هذه الظاهرة إلى ناطقيها ، يثبت أنهم سمعوها في أكثر من قبيلة ، وكل واحد منهم تحدث عنها وعزاها إلى المكان الذي سمعها فيه ، ومع ذلك تبقى هذه الظاهرة دون الكشكشة شيوعا .

---

(١) جمهرة اللغة ١/٢٣٨.

(٢) المزهر ١/٢٢٠.

(٣) الكتاب ٤/ ١٩٩.

(٤) تهذيب اللغة ٩/ ٤٣٠.

(٥) الكامل ١/٣٧١.

(٦) درة الغواص في أوهام الخواص ٣٥.

(٧) الخصائص ١/١٢.

٢- الأصوات الشجرية:

الجيـــــــم :

الجيم صوت مجهور ، مخرجه كما وصفه سيبويه :" من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك [١] " ويكون على ضربين أصلا وبدلا " فإذا كان أصلا وقع فاء ، وعينا ولاما وإذا كانت بدلا فمن الياء لا غير"[٢] . ولما كان هذا الإبدال شائعا في العديد من القبائل حتى جعل منها مجموعة متميزة ، اصطلحوا على تسميته تسمية خاصة "العجعجة". ثم راحوا يدرسون هذا الإبدال ويخصونه بالشواهد اللازمة ومفسرين حقيقته ومعللين مسوغه.

وتبدل الياء المشددة جيما. كما يبدو في قول بن فارس:" الياء المشددة تحول جيما في النسب، يقولون : بصرج وكوفج "[٣] أي بصري وكوفي. وأورد السيوطي أن" العجعجة لغة قضاعة يجعلون الياء المشددة جيما فيقولون في تميمي تميمج"[٤].

وفى حديث ابن مسعود – رضي الله عنه -:" فلما وضعت رجلي على مذمر أبي جهل قال:أعل عنج أي تنح عني [٥] .

آثرت قبيلة قضاعة في كلامها صوت الجيم عن الياء فالعجعجة في قضاعة كالعنعنة في تميم ، يحولون الياء المشددة جيما"[٦] .

ونسب سبويه هذا الإبدال إلى ناس بني سعد ، وأضاف إلى أن هذا الإبدال في الوقف دون الوصل،فقال:" وأما ناس من بني سعد فانهم يبدلون الجيم مكان الياء في الوقف لأنها خفية ، فأبدلوها من موضعها أبين الحروف ، وذلك قولهم : هذا تميمج ،

---

(١) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٢) سر صناعة الإعراب ١ /١٧٥.

(٣) الصاحبي ٣٧.

(٤) المزهر ١/ ٢٢٢

(٥) " النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير' تحقيق الزاوي والطناحي، دط، ١٩٦٣، القاهرة، مصر، ص ٣ /٢٩٤.

(٦) تهذيب اللغة ١/٦٨.

يريدون تميمي ، وهذا علج ، يريدون : علي وسمعت بعضهم يقول : عربانج يريد : عرباني"[١] وحدثني من سمعهم يقولون :

خالي عويف وأبو علـــــج

المطمعان الشحم بالعشـــج

وبالغداة و فلق البرنـــــج

يريد : بالعشي ، والبرني فزعم أنهم أنشدوه هكذا [١]

إن اختيار صوت الجيم المجهور دون الياء كان شائعا بين لهجـــات القبـائل البدوية ، فابن جني لم ينسب هذا الإبدال إلى قبيلة بعينها ، بل عم رجلا من البادية ، لكنه أشار إلى قبيلة حنظلة من خلال قول ابن العلاء ، كذلك اختلفت الأبيـــات عما رواها سيبويه فقال : " وإذا كانت بدلا -أي الجيم فمن الياء لا غـــير. قـال الأصمعي حدثني خلف قال : أنشدني رجل من أهل البادية. وقرأتها عليه في الكتاب:

عمي عويف وأبو علج

المطعمان اللحم بالعشج

وبالغداة فلق البرنـــج

تقلع بالود وبالصـــيصج

يريد : أبو علي ، وبالعشي ، والبرني ، وبالصيصية، وهي قرن البقرة. قال:" وقـــال أبو عمرو بن العلاء : قلت لرجل من بني حنظلة : ممن أنت ؟ فقال : فقميج. قـلل : قلت: من أيهم ؟ قال: مرج ، يريد : فقيمي ، ومري. وأنشد:

يطير عنها الوبر الصهابجا

يريد الصهابي من الصهبة*[٢] .

---

(١) الكتاب ١٨٢/٤.

(٢) سر صناعة الإعراب ١٧٥/١

* الصهبة في الشعر :حمرة يعلوها السواد.

ولعل في الرجز الأخير نسبة إلى بني سعد –لأن الشاعر سعدي– التي أسند إليها سوية هذا الإبدال قبلا [١] ونسبها إلى بعضهم أيضا وبعض بني سعد يبدلون الياء مشددة كانت أم خفيفة في الوقف [٢]، وكذلك من غير إشارة إلى الوقف في قول أحدهم :"بعض العرب إذا شددت الياء جعلتها جيما "[٣].

ونلمس في هذا الكلام [٢] أن إبدال الجيم من الياء يكون في الخفيفة أيضا، وفي هذا قول آخر :"ويبدل ناس من بني تميم الجيم مكان الياء في الوقف شديدة، كانت الياء أو خفيفة "[٤]. من ذلك قولهم مثلا: خرج معج، يريدون خرج معي، و مما جاء بهذا المعنى قولهم :" أبدلت من الياء الجيم في التشديد لقرب مخرجها ، و لا بأس أن تجيء، في الياء المخففة ، مثل حجتج و أنشد:

يا رب إن كنت قبلت حجتج

فلا يزال شاحج يأتيك بـــج

يريد هذا الراجز: حجتي ، و يأتيك بي"[٥].

و أشد ابن الأعرابي:

كأن في أذنابهن الشول من عبس الصيف قرون الأجل

يريد الأيل [٦].وأنشد الفراء :

بكيت والمحترز البكج وإنما يأتي الصبا الصبج

يريد البكي والصبي [٦].

---

(١) الكتاب ٤٨٢.

(٢) "شرح شواهد الشافية" للرضي، دط، مطبعة صبيح، ١٣٤٥هـ، ص ٢١٢/٤.

(٣) سر صناعة الإعراب ١ /١٧٦.

(٤) شرح شواهد الشافية ٢٨٧/٣.

(٥) مجالس ثعلب ١ /١١٧.

(٦) سر صناعة الإعراب ١ /١٧٦.

ويمكن مما تقدم أن يكون "جار " لغة في "يار" كما قالوا : الصهاريج والصواب الصهاري وصهريج :صهري لغة تميم [١].

واشترط بعضهم أن تجمع الياء مع العين حتى تبدل جيما [٢]، لكن ما مر معنا من أمثلة لا يدعم رأيهم : صبج في صبي ، الأجل في الأيل، فقيمج في فقيمي .....

ومما ورد عن إبدال الياء المخففة جيما قوله :"وذلك في بني أسد خاصة، يقولون هذا غلامج ، يريدون : غلامي"[٢] وذهب إلى القول أن الإبدال في صهابي إلى صهابج [٣]كان في ياء واحدة فقط ، فهم لم يبدلوا الياء المشددة جيما، بل حذفوا إحدى الياءين، وأبدلوا الياء الباقية جيما[٤] وقد نسبها إلى طيء[٤].

عد القدماء هذا الإبدال نادرا أو قليلا [٥] أو شائعا[٦] ، كما ذكروا أن بين الياء والجيم علاقة صوتية لأنهما من مخرج واحد هو وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى أو أنهما قريبا مخرج وتشتركان في بعض الصفات كالجهر والاستفال والانفتاح [٧]والجيم أدخل من الياء ولذا كان الانتقال من الياء إلى الجيم سائغا وفي الجيم بعض الشدة التي تتناسب مع البدو ، لذا أجرت الوصل مجرى الوقف [٨].

---

(١) " الأمالي" لأبي علي القالي، ط ٣ ، ١٣١٤ هـ ١٩٢٦م، القاهرة، مصر، ص ٢/ ٢١٧.

(٢) ينظر الإبدال لأبي الطيب اللغوي ١ /٢٥٧.

(٣) سر صناعة الإعراب ١ /١٧٥.

(٤) الإبدال لأبي الطيب اللغوي ١/٢٥٨.

(٥) شرح الشافية ٤ /٢٨١.

(٦) نفسه ١/٢٨٢.

(٧) الكتاب ٤/ ٤٣٣-٤٣٤-٤٣٥.

(٨) شرح الشافية ٢/ ٢٨٤.

كما أن بعض القبائل اختارت الجيم مكان الياء لجهرها و قوتها ، نجد هنـــاك من أبدل الجيم إلى ياء ، فروي أن بعض بني تميم يقولون "شـــيرة" في "شـــجرة " ، وعلى ذلك أنشدت أعرابية:

إذا لم يكن فيكن ظل و لا جنى *** فأبعدكن الله من شيرات

تريد :شجرات [١].

إذا، مالت القبائل البدوية مثل طيء وحنظلة وفقيم وبني ســـعد وتميـــم إلى الصوت المجهور لوضوحه دون المهموس الذي لا يوافق طبيعة هذه القبائل البدويـــة، ولأن الياء خفية فلقد أبدلوا من موضعها أبين الحروف[٢] .

الشين:

الشين صوت مهموس كما وصفه سيبويه :" مـــن وســـط اللســـان بينـــه و بين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم و الشين "[٣].

تبدل الشين من الجيم كما ورد في قول أحدهم:

إذ ذاك إذ حبل الوصال مدمش.

أي مدمج، فالشين بدل من الجيم [٤]، لكنه لم يشر ما إذا خص هذا الإبـــدال قبيلـــة معينة أم أن هذا الراوي فقط أبدل الشين من الجيم ، مع الإشارة إلى أن هذا الإبـــدال جائز وقوعه بحكم القرابة بين الصوتين فهما من الأصوات الشجرية ، أي أصـــوات الحيز الواحد.

---

(١) الإبدال لأبي الطيب اللغوي ٢٦١/١، القلب و الإبدال لابن السكيت ٢٩.

(٢) ينظر الكتاب ٤ /١٨٢

(٣) الكتاب ٤ /٤٣٣.

(٤) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٠٥.

و قد تبدل السين من الكاف كما رأينا ، و هو إبدال شائع ميز بين القبائل البدوية التي كانت تميل إلى التمييز بين المذكر والمؤنث فتبدل الكاف شينا ، و بين أهل الحضر الذين لم يهتموا بهذا التمييز.

٤- الضاد.

الضاد صوت مجهور ، كما وصفه سيبويه " من أول حافة اللسان و ما يليها من الأضراس"[١]، و يكون " أصلا لا بدلا و لا زائدا"[٢].

وأشار ابن جني إلى أن الضاد لا تبدل من الصاد لأنه لا قرابة بينهما -ما عدا في بعض الصفات- و أن" قولهم نضنض لسانه و نصنصه : إذا حركه ، فأصلان ،و ليست الصاد أخت الضاد فتبدل منها "[٢].

أما التميميون فآثروا الصوت الشديد "الضاد" على نظيره الرخو وهو صوت الظاء فمثلا :"فاضت نفسه: خرجت تميمية "[٣]، وتميم من القبائل البدوية، فلا غرابة أن تجنح إلى هذا الصوت المفخم في كلامها ، كما فعلت دوما مع بقيت الأصوات الأخرى حيث كانت دائما تبحث عن الصوت الملائم لبيئتها ومناخها الجاف ، و حياتها غير المستقرة والصعبة ، فاختارت الأصوات ذات الرنين القوي، لكي تكون أوضح في السمع، نحو جنوحها إلى صوت العين دون الهمزة ، و الجيم دون الياء كما رأينا و لهذا قالت العرب : البضر، و قد اشتكى ضهري "[٤].

أما من قرأ قوله تعالى :﴿قال و من كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير﴾[٥] و هو ابن محيصن ﴿ اطره ﴾ بتشديد الطاء، إذ أبدل الضاد طاء من أجل الإدغام ، لكن لغته شاذة و مرذولة، لأن صوت الضاد من الأصوات التي يدغم

---

(١) الكتاب ٤ /٣٣٣.

(٢) سر صناعة الإعراب ١ /٢١٣.

(٣) "المخصص" لابن سيده، دط، طبعة الأميرية، ١٣٢٠هـ ، بولاق، ص ٣٦/١٥.

(٤) لسان العرب ٤/ ٧١.

(٥) الآية ١٢٦ من سورة البقرة.

فيها ما يجاورها ولا تدغم فيما جاورها[١] و أشار ابن جني إلى هذه اللغة الشاذة فقال: تدغم" الضاد في الطاء في بعض اللغات ، فقالوا في اضطجع : اطجع . و هذه لغة شاذة "[٢].

٥- الصاد :

الصاد صوت مهموس. و يتم نطقه كما وصفه سيبويه قديما من " بين طرف اللسان و فويق الثنايا "[٣]. أما عن حالاته فإنه يأتي " أصلا و بدلا لا زائدا"[٤]. و الصاد مثل الضاد من الأصوات المستعلية التي تمنع الإمالة ، و تؤثر في غيرها من الأصوات مما يجاورها ، وتبدل من غيرها كإبدال الصاد من الثاء في قولهم: الفحث و الفحص " فالفحث عن الخبر هو الفحص في بعض اللغات"[٥]،فإبدال الصاد من الثاء عرفته بعض اللهجات، لكن ابن منظور لم يشر إلى اللهجة التي حدث بها هذا الإبدال، بل ذكر ذلك على العموم.

أما إبدالها من الجيم فليس له صلة باختلاف اللهجات فقولهم: رجل مجلجل و مصلصل إذا كان خالص النسب[٦]، لا يعني أنهما لغتان لأقوام مختلفين، بل قد يكونا أصلين في لهجة واحدة . وكذلك الأمر بالنسبة إلى الشيش و الشيص " فالشيش و الشيشاء لغة في الشيص و الشيصاء"[٧]، و مثل هذا قولهم:" أخذ بظوف رقبته: لغة في صوف رقبته "[٨]، ومن نماذج هذا أيضا قولهم :" أوطد الغار وأوصده: سده بالهدم " [٩]، كذلك قولهم: " حفص الشيء: ألقاه، قال ابن سيده : و الضاد

(١) المحتسب ١/ ١٠٦.
(٢) سر صناعة الإعراب ١ /٢١٤.
(٣) الكتاب ٤ /٤٣٣.
(٤) سر صناعة الإعراب ١ / ٢٠٩.
(٥) لسان العرب ١ /٢٠٩.
(٦) الإبدال لأبي الطيب اللغوي ٣٢٠.
(٧) لسان العرب ٦ /٣١١.
(٨) نفسه ٩ /٢٨٢.
(٩) نفسه ٣/ ٤٦١.

أعلى"[١] ، ولا نعلم ما إذا كانت هذه الأمثلة مظهر من مظاهر التمايز اللهجي أم أنه من مظاهر الإبدال الجائز وقوعه ، و لعل في قول ابن سيده :" والضاد أعلى " نوع من الإشارة إلى أن الإبدال بين الصاد و الضاد من ميزات اللهجات ، و أن استعمالهم لصوت الضاد هو المشهور و الأكثر شيوعا. أما جنوحهم نمو صوت الضاد فهو من القلة التي تخص قبيلة بعينها أو جزءا منها.

وهناك نوع من إبدال الصاد زايا، عده ابن جني من باب الإدغام ، لا من باب الإبدال، بل رآه تقريبا صوت من صوت فقال:" و منه تقريب الحرف من الحرف، نحو قولهم في نحو: مصدر:مزدر، و في التصدير :التزدير. و عليه قول العرب في المثل :"لم يحرم من فزد له ، أصله فصد له ...فلما سكنت الصاد فضعفت به و جاورت الصاد- و هي مهموسة - الدال - و هي مجهورة -، قربت منها بأن أشمت شيئا من لفظ الزاي المقاربة للدال بالجهر "[٢].

وتبدل الصاد من السين . و من ذلك ما جاء على لسان طفيل الغنوي [٣]

تنيف إذا اقورت من القود و إنطوت*** بهاد رفيع يقهر الخيل صلهب

فيجوز أن تكون الصاد فيه لغة ، و يجوز أن تكون بدلا من سين سلهب، لأنه أكثر تصرفا من صلهب [٤].

تبدل السين صاد إذا جاورت الغين أو الخاء أو القاف أو الطاء قصد التجلنس الصوتي ، فالذوق العربي يؤثر أن يعمل اللسان دوما على مستوى واحد من الأسفل إلى الأعلى، و يكره من الانتقال من الأعلى إلى الأسفل . من ذلك قراءتهم لقوله

---

(١) نفسه ٧ / ١٦.

(٢) الخصائص ٢ /١٤٤.

(٣) الديوان ٢١.

(٤) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٠٩.

تعالى : ﴿كأنما يساقون ﴾ [١]﴿يصاقون﴾ [٢]و (مس سقر) تلفظ صقر .و قالوا : " في سقت : صقت ، و في سويق: صويق [٢].

و مما ورد عن اختلاف القبائل في صوت الصاد ما أورده الأصمعي فقال:" اختلف رجلان في الصقر فقال أحدهما الصقر بالصاد ، و قال: الآخر السقر بالسين ، فتراضيا بأول وارد عليهما ، فحكيا له ما هما فيه ، فقال لا أقول كما قلتما ، إنما هو الزقر، أفلا ترى إلى كل واحد من الثلاثة كيف أفاد في هذه الحال إلى لغته لغتين أخريين معها، وهكذا تتداخل اللغات "[٣].

و في الحديث إشارة إلى إبدال السين زايا خالصة، لا من باب الإدغام و هذا الإبدال موجود عند بني كلاب الذين يبدلون السين زايا، و سنأتي على ذكر ذلك.

و كما رأينا إبدال الصاد من السين في بعض اللغات ، فكذلك الصاد تبدل إلى السين في بعض اللغات الأخرى " و مصح الأرض مصحا : ذهب، قال ابن سيده و السين لغة"[٤] ، و معنى أن السين لغة، فهي مظهر من مظاهر الفروق الصوتية بين القبائل العربية القديمة.

٦- السين:

السين صوت مهموس ينطلق من " بين طرف اللسان و فويق الثنايا"[٥] ويكون أصلا و زائدا و "من العرب من يزيد على كاف المؤنث في الوقت سينا ليبين كسرة الكاف، فيؤكد التأنيث "[٦] . و لم تبدل السين من الشين في بيت سحيم [٧]:

---

(١) الآية ٠٦ من سورة الأنفال.

(٢) سر صناعة الإعراب ١ ٢١١-٢١٢.

(٣) خصائص ١ /٣٧٤.

(٤) لسان العرب ٢/٥٩٨

(٥) الكتاب ٤/٤٣٣

(٦) نفسه ١٩٩.

(٧) ديوانه ٢٦

غير أعفاء و لا أكـــيات[١]

يريد : الناس و أكياس، فأبدل السين تاء لتوافقهما إياهـــا في الهمـــس و الزيـــادة و تجاور المخارج"[٢] ، و على هذا الأساس راح ابن جني يفسر الإبدال الذي حـــدث في لفظة"ست" حتى أصبحت على هذه الصيغة "و أصلها :سدس لأنها من التســديس، كمـــا أن خمســـة مـــن التخميـــس ، و لذلـــك في تحقيرهـــا : سديســـة، و لكنهم قلبوا السين الآخرة تاء لتقرب من الدال التي قبلها "[٣].

و عد بعض اللغويين هذا الإبدال قبيحا، أو أنه مـــن قبيـــح الضـــرورة [٤]، و نعته بعضهم بالنادر [٥]، لكنه مع ذلك حدث عند بعض العرب " فقالوا في طـس : طست، و قالوا في معنى خسيس: ختيت، فأبدلوا السين تاء[٣]، و نسبه أبو عمـــروا إلى قضاعة، و من ذلك قراءة أحدهم لقوله تعالى :﴿ قـــل أعـــوذ بـــرب النـــاس﴾ [٦]﴿النات﴾ ومن هذا كذلك قولهم:" الكرم من توسه و سوسه أي مـــن خليقتـــه، ورجل حفيتا و حفيسا : أي ضخم البطن قصير" [٧].

ومن صور هذا الإبدال أيضا ما أورده ابن جني في نحو قولهم: طست في طس، لكن ابن منظور عد الطس كلمة فارسية ، وانطلاقا من كلام ابن منظور لا يوجد أي إبدال بين السين و التاء في هذه الكلمة ، مع أن لهذا الإبدال ما يسوغه، فكـــل مـــن الســـين و التـــاء و إن اختلفـــا مخرجـــا فقـــد تقاربـــا في الصفـــات والطـــس و الطسة بفتح الطاء و كسرها لغة في الطست، فمن العـــرب مـــن يثقـــل الطســـة

(١) الرجز لعلياء بني أرقم كما في النوادر ٣٤٥.

(٢) سر صناعة الإعراب ١ /١٥٥.

(٣) شرح الشافية ٣/ ٢٢١.

(٤) " النوادر في اللغة " لأبي زيد الأنصاري، دط، ١٨٩٤، بيروت، لبنان، ص ٣٤٥-٤٢٣.

(٥) سر صناعة الإعراب ١ /١٥٦.

(٦) الآية ١ / من سورة الناس.

(٧) " الأمالي" لأبي يعلي القالي، ط ٣ ، ١٣٤٤هـ- ١٩٢٦م ، القاهرة، مصر، ص ٢ /٦٨.

فلو كنت وردا لونه لعسقتيني *** و لكن ربي سانني سواديا

فإنما إبدل هاهنا الشين سينا لسواده و ضعف عبارته عن الشين و ليس ذلك بلغة، و إنما هو كاللثغ [١]، و مع ذلك فإبدال السين من الشين لغة في قولهم شمت و سمت " شمت العاطس و سمت عليه : دعا له، والسين لغة عن يعقوب ، و الشين أعلى و أفشى في كلامهم"[٢].

و مثل ذلك إبدال السين زايا عند بني كلاب إذا جاورت القاف :" فيقولون : زقر ، في سقر و في ﴿مس سقر﴾ [٣] ﴿مس زقر﴾، و شاة زقعاء في صقعاء *. و مثله من الصاد : أزدقني في أصدقني و زدق في صدق"[٤] ، و مثل قولهم الهجز لغة في الهجس [٥]. وتبدل السين صادا كذلك " و مصح في الأرض مصحا: ذهب ، قال ابن سيده : و السين لغة " ، و هذا الإبدال منتشر مشهور ، شأنه في ذلك شأن إبدال السين تاء و الذي خصه اللغويون بمصطلح يضبط هذه الظاهرة الصوتية اللهجية ، لكنهم لم يهتموا به كثيرا ، و هذا دليل على عدم شيوع الظاهرة . و هذا الإبدال منسوب إلى اليمن [٦]،و " أبدلوا التاء أيضا من السين في موضع آخر :

يا قاتل الله بني السعلاة

عمرو بن يربوع شرار النات

---

(١) سر صناعة الإعراب ١ /٢٠٢.

(٢) لسان العرب ٢ /٥٠٢.

(٣) الآية ٤٨ من سورة القمر.

(٤) سر صناعة الإعراب ١/ ١٩٥.

(٥) لسان العرب ٥ /٤٢٣.

(٦) المزهر ١ /٢٢٢.

و يظهر الهاء"، و رآها أبو عبيدة من الكلمات الدخيلة وفدت على العربية من الفارسية فقال: " مما دخل في كلام العرب الطست و الثور و الطاجن و ي فارسية كلها"[١]، و عندما وجد من تكلم بالتاء ، ومن تكلم بالسين حكم بأن التاء بدل من السين ، و عدهما لغتين مختلفتين.

ويؤكد ابن جني وجود الإبدال ومن ثم راح يفسر صيغتي استخذ و اتخذ، مع أن الإبدال في هذه الصيغة حدث عكس ما جرى في الطس، أي إبدال التاء سينا، لا إبدال السين تاء" و التاء تقلب سينا في قول العرب" استخذ فلان أرضا بمعني اتخذ"[٢] . ويعلل ابن جني هذا الإبدال فيقول :" يجوز أن يكون أصله اتخذ بوزن افتعل من قول عز و جل: ﴿ لو شئت لتخذت عليه أجرا﴾ [٣]، ثم إنهم أبدلوا التاء الأولى التي هي فاء افتعل سينا كما أبدلوا التاء من السين في ست لأن أصلها سدس ، فلما كانت التاء و السين مهموستين جاز إبدال كل واحدة منهما من أختها "[٤].

٧- الزاي:

الزاي صوت مجهور ، يكون أصلا و بدلا لا زائدا [٥]، أما عن مخرجه فيقول سيبويه :"مما بين طرف اللسان و فويق الثنايا مخرج الزاي "[٦]. يبدل الزاي من السين كما رأينا في لغة بني كلاب، و بعض العرب. و قد لا يكون إبدالها من باب اللغات ومثله قول بعضهم :"يقال: شزب و شسب و شسف بمعنى، أي :ضمر"[٧]و ليست الزاي في هذا لغة عند بعض العرب و لا السين أيضا لتصرف الفعلين فيها معا " الشازب: الذي فيه ضمور و إن لم يكن مهزولا، و الشاسب

---

(١) لسان العرب٧ /٤٢٨-٤٢٩.

(٢) سر صناعة الإعراب ١ /٢٠٩.

(٣) الآية ٧٧ من سورة الكهف.

(٤) سر صناعة الإعراب ١/٢٠٩.

(٥) نفسه ١ /١٩٥.

(٦) الكتاب ٤ /٤٣٣.

(٧) سر صناعة الإعراب ١/ ١٩٥.

و الشاسف: الذي قد يبس "[١]. أما قولهم :" تقوض البيت و تفوز إذا تهدم" [٢]، فلا نعلم إذا كانت الزاي بدلا من الضاد أم هما أصلان.

٨- الطاء:

أدرجه سيبويه ضمن مجموعة الأصوات المجهورة ، أما عن مخرج فإنه " من بين طرق اللسان و أصول الثنايا "[٣]. أبدل بعضهم الطاء من التاء فقالوا:" أفلطني الرجل إفلاطا، عوضا عن أفلتني إفلاتا ". وورد استعمالها على لسان شاعر هذلي في قوله:

بأصدق بأس من حليل ثمينة و أمضى ، إذا ما أفلط القائم اليد [٤]

وتبدل التاء طاء في صيغة "فعلت" لفظا لا خطا إذا كانت بعد صوت من أصوات الإطباق " و هي لغة تميم ، قالوا:فحصط برجلك يريدون: فحصت، و حصط يريدون: حصت" [٥]، مثل هذا الإبدال حدث مع صيغة افتعل " فأما قوله:

و في كل حي قد خبط بنعمة *** فحق لشأس من نداك ذنوب

فإنه أراد" خبطت" و لو قال"خبطت" لكان أقيس اللغتين . و ذلك أن هذه التاء ليست متصلة بما قبلها اتصال تاء افتعل: بمثالها الذي هي فيه ، و لكنه شبه تاء خبطت بتاء افتعل من حيث أذكره لك : فقلبها طاء لوقوع الطاء قبلها ، كقولك: اطلع واطرد، و على هذا قالوا: فحصط برجلي، كما قالوا: اصطبر"[٦] وقالوا دوما :" خبطه حفطه، يريدون: خبطته و حفظته"[٧] .

---

(١) الإبدال لأبي الطيب اللغوي ١٣١.

(٢) لسان العرب٧ /٢٢٤

(٣) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٤) لسان العرب مادة "فلط".

(٥) "المخصص:" لابن سيده، دط، طبعة الأميرية، ١٣٢٠هـ ، بيروت، لبنان، ص ١٣/٢٧٠.

(٦) سر صناعة الإعراب ١/ ٢١٩.

(٧) الكتاب ٤ /٤١٧.

كما يحدث العكس ، بأن تبدل الطاء تاء من أجل التجانس الصوتي الـــذي يســبق الإدغام و مما أخلصت فيه الطاء تاء سماعا من العرب قولهـــم : حتـــهم، يريـــدون: حطتهم"[١]. و لعل قولهم بج الجرح يبجه ، و بطه يبطه إذا شقه [٢]من باب الإبدال لا من باب اختلاف اللهجات وتبدل الطاء ظاء في مثل قولهم: " مشطت يده بمشـط مشطا: خشنت من عمل ... :مشظت يده بالظاء المعجمة لغة أيضـــا"[٣] في هـــذا القول تلميح على أن مشظ لغة و مشط لغة مختلفة عنها ، وبذلك ، فقد يكون تبـادل الظاء و الطاء من بين أهم الفروق الصوتية بين القبائل العربية

٩- الدال:

الدال صوت مجهور يصدر" مما بين طرف اللسان، و أصول الثنايا" [٤] .ومـــن الظواهر التي تعتري الدال في التشكيل الصوتي إبدالها من التاء في صيغة افتعـــل ، إذا جاورت الزاي لأنه لما كانت الزاي مجهورة وكانت التاء مهموسة ، و كانت الـــدال أخت التاء في المخرج ، و أخت الزاي في الجهر ، قربوا بعض الصوت مـــن بعـــض، فأبدلوا التاء أشبه الحروف من موضعها بالزاي، و هي الـــدال فقـــالوا : ازدجـــرا، ازدار"[٥] .ومن شواهد هذا الإبدال في الفصيح قول الشاعر:

ألا كعهدكم بذي بقر الحمى***هيهات ذو بقر من المزدار

---

(١) الكتاب ٤ /٤٦٠.

(٢) الإبدال لأبي الطيب اللغوي ٢٣٣.

(٣) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٤) الكتاب ٤ /٤٣٣.

(٥) سر صناعة الإعراب ١/ ١٨٥

و كما التاء دالا عند مجاورتها للزاي كذلك يفعل بها عند مجاورتها للجيم يبدوا هذا في قول ابن جني إذ" تقلب تاء افتعل أيضاً دالاً مع الجيم في بعض اللغات ، قالوا :اجدمعوا في اجتمعوا،و اجدزَّ في اجتزَّ و أنشدوا:

فقلت لصاحبي: لا تحبسانا*** بترع أصوله ، و اجدزَّ شيحا

و لا يقاس إلا أن يُسمع، لا تقول في اجترأ: اجدرأ ، و لا في اجترح: اجدرح"[١]

و لعل في قوله – إلا أن يسمع– دليل على أن هذا للإبدال من باب التنوع الصوتي الذي يميز بين اللهجات العربية.

وتبدل الدال من الذال في قولهم :"دحجه يدحجه دحجاً: عركه عركا كعوك الأديم، يمانية، و الذال المعجمة لغة ، و هي الأعلى "[٢] ، كذلك من الجيم في قولهم :"الدش : اتخاذ الدشيشة، و هي لغة في الجشيشة"[٣] وممكن أن تكون لكنه لا لفة على حد زعم الأزهري [٣].

١٠ – التـــاء:

التاء صوت مهموس ينطلق" مما بين طرف اللسان و أصول الثنايا"[٤] و تأتي على ثلاثة أضرب أصلية و مبدلة و زائدة. و أما إبدالها فكان من ستة أصوات هي: الواو، والياء، والسين، والصاد، والطاء، والدال[٥] .

أما إبدالها من السين ، فهو ما اصطلح عليه بالوتم كما رأينا ، و كذلك على ما مر معنا من إبدالها من الدال و السين و الصاد و الطاء، فإبدالها من الصاد قول بعضهم في لصّ:لصت. ومن شواهد هذا الإبدال الشعرية قول الشاعر:

فتركن لهدا عيّلا أبناؤها ***و بني كنانة كاللّصوت المرَّد

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/١٨٥-١٨٦.

(٢) لسان العرب ٢ / ٢٦٥

(٣) نفسه ٦ /٣٠٢.

(٤) لكتاب ٤ /٤٣٣.

(٥) سر صناعة الإعراب ١ /١٤٥.

و أما قولهم في فسطاط : فستاط، فالتاء فيه بدلٌ من الطاء لقولهم في الجمع: فساطيط، و لم يقولوا فساتيط فالطاء إذن أعم تصرفا.

و قالوا: أستاع يُستيع، أي: أطاع يطيع ، فالتاء بدلا من الطاء لا محالة . وقالوا: ناقة تربوت، و أصلها: دربوت، و هي :فعلوت من الدّربة ، إلى هي مدللة فالتاء بدلا من الدال[١] ، كما تبدل عند بعض الناطقين ثاءً نحو قولهم :" الخبيث لغة خير في الخبيت"[٢].

١١- الظاء:

الظاء كما وصفت قديما فهي " من بين طرف اللسان و أطراف الثنايا العليا " [٣]. هذا الصوت و لخواصه الصوتية المتمثلة في الجهر والتفخيم اختارته بعض القبائل البدوية ، فقالوا في :" تركته وقيذا * ووقيظا "[٤] ، وقولهم في:" خظرف البعير في مشيه إذا أسرع و وسع الخطو"[٥]، فخظرف لغة في خذرف بالذال. و يؤكد ابن جني هذا الإبدال فيقول :" والوجه عندي و القياس أن تكون الظاء بدلا من الذال لقوله عز اسمه:﴿ و الموقوذة ﴾[٦] بالذال ، و لقولهم: وقذه يقذه ، و لم أسمع وقظه، و لا موقوظة ، فالذال إذن أعم تصرفا ، فلذلك قضينا بأنها هي الأصل"[٧].

١٢- الذال:

الذال صوت مجهور يخرج من " بين طرف اللسان و أطراف الثنايا"[٣]، وهو من الأصوات التي تتبادل معها الذال نذكر الثاء في" قولهم جذوث

---

(١) سر صناعة الإعراب ١ /١٥٧.

(٢) لسان العرب ٢ /٢٨.

(٣) الكتاب ٤ / ٤٣٣.

(٤) الإبدال لأبي الطيب اللغوي ١٤٤.

(٥) لسان العرب ٩ /٧٩.

(٦) الآية ٣ من سورة المائدة.

* الوقيذ من الرجال: الشديد المرض الذي أشرف على الموت.

(٧) سر صناعة الإعراب ١ /٢٢٨.

و جثوث، إذا قمت على أطراف أصابعك فليس أحد الحرفين بدلاً من صاحبه ، بل هما لغتان"[١]. ومن أمثلة هذا الإبدال أيضا قولهم " قرأ فما تلعثم و ما تلعذم، وكذلك قولهم : قرب حذحاذ و حثحاث : إذا كان سريعا ، و هو طلب الماء، ليس أحدهما بدلا من صاحبه ، لأن حثحاث من قول تأبط شرّاً:

كأنما حثحثوا حصًّا قوادمه *** أو أم خشف بذي شثّ و طبَّاق

أي أسرعوا به، و حذحاذ : من معنى الشيء الأحذّ"[١] ، لكنه يبدل من الجيم في قوله : " لمذ لغة في لمج "[٢].

و تبدل الذال من الضاد أيضا في قولهم: " نبذ العرق ينبذ نبذاً ،إذا ضرب ، لغة في نبض [٣].

١٣- الثاء:

الثاء صوت مهموس مخرجه من " بين طرف اللسان و أطراف الثنايا "[٤].

اختار التميميون صوت الثاء في حين آثر الحجازيون صوت الفاء، فتميم تقول : لثام ،و الحجاز لفام ، قال أبو زيد : و بنو تميم تقول في هذا المعنى : تلثمت تلثماً[٥].و لعل من ذلك قولهم : ثلغ رأسه يثلغه ثلغا، و فلغه يفلغه فلغا: إذا شدخه [٦]. و بلغة أهل الحجاز نزل قوله تعالى :﴿ فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها و فومها وعدسها وبصلها﴾[٧].

كذلك قولهم: " فروغ الدلو و ثروغها، فالثاء إذن بدل من الفاء لأنه من التفريغ .

---

(١) سر صناعة الإعراب ١٨٩-١٩٠.

(٢) لسان العرب ٣ /٥٠٧.

(٣) نفسه ٣ /٥١٣.

(٤) الكتاب ٤ /٤٣٣.

(٥) لسان العرب ١٦/٥٠.

(٦) الإبدال لأبي الطيب اللغوي ١٨٢.

(٧) الآية ٦١ من سورة البقرة.

فأما قولهم في أثاف ، أثاث* بالثاء فمن كانت عنده أثفية، أفعولة ، و أخذها من ثفله يثفوه ، فالثاء الثانية في أثاث بدل من الفاء في يثفوه ، ومن كانت عنده أثفية: فعلية، فجائز أن تكون الثاء بدلا من الفاء لقول النابغة :

لا تقذفني بركن لا كفاء له *** و إن تأثّفك الأعداء بالرّفد"(١) .

كما تبدل الثاء إلى فاء في قولهم:" قام زيد فمّ عمّرو، الفاء بدلا من الثاء في ثمّ"(٢).

١٤- الـــــراء:

الراء صوت مجهور " من مخرج النون(٣) .غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليـــلا لانحرافه إلى اللام"(٣) ،و يكون أصلاً لا بدلاً و لا زائد(٤) أما قولهـــــم :" جربّانـــة و جلبّانة إذا كانت صخّابة ، فليـــس أحـــد الحرفـــين فيـــه بـــدلا مـــن صاحبـــه ، ويدلك على ذلك أن "جلبّانة" و " جربّانة " أصلان غير مبدل أحدهما مـــن الآخـــر وجودك لكل واحد منهما أصلا متصرفا و اشتقاقا صحيحا ، فأما جلبّانة فمن الجلبـــة و الصياح لأنها الصخّابة، و أما جربّانة فمن جرّب الأمور و تصرفا فيها . و أما قولهم في الدرع: نثره و نثله فينبغي أن تكون الراء بدلا من اللام ، لقولهم: نثل عليه درعه ، و لم يقولوا نثرها ، فاللام أعم تصرفا فهي الأصل"(٤).

ويأتي إبدال الراء من اللام في لغة بعضهم و مما يثبت ذلك قولهم:" ســـــدرت المرأة شعرها فانسدر، لغة في سدلته فانسدل"(٥).

---

(١) سر صناعة الإعراب ١ /١٧٣.

(٢) الخصائص ٢ /٨٤.

(٣) مخرج النون كما يصفها سيبويه "من طرف اللسان بينه و بين ما فويق الثنايا" الكتاب ٤٣٣/٤

(٤) سر صناعة الإعراب ١ /١٩١.

(٥) لسان العرب ٤/ ٣٥٥.

١٥ - الـــــــلام:

اللام كما وصف قديما :" من حافة اللسان من أدناهـــا إلى منتـــهى طـــرف اللسان، من بينها و بين ما يليها من الحنك الأعلى ، مما فويق الضـــاحك و النـــاب والرباعية و الثنية "[١].

من مظاهر إبدال اللام في اللهجات العربية القديمة، إبداله من الضـــاد ومـــن شواهده الشعرية قول الراجز – و هو منظور بن مرثد الأسدي–:

لما رأى أن لادعه و لا شبع*** مال إلى أرطاة حقف فالطجع

حيث أبدل الضاد لاما ، لأنه أراد فاضطجع [٢]. و لعل الإبدال هنا من أجل الإدغام، لاسيما أن الشاعر من بني سعد ، إحدى القبائل البدوية التي تميل إلى الإدغام . كمـــا أبدلت اللام من النون في أصيلان ، فقالوا :أصيلال [٢]،و مثله قولهم : "و القلّف لغـــة في القنف، و هو الغرين إذا يبس " [٣] .

وأبدلت اللام ميما في لغة حمير اليمانية، ونعت هذا الاستخدام بالطمطمانيـــة نحو " طاب امهواء يريدون ،طاب الهواء "[٤] ، و منه ما روي عن النبي صلى الله عليه و سلم من مخاطبة كل قوم بلغتهم، فمما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم بلهجـــة حمير فرده على سائل منهم: "ليس من امبر امصيام في امسفر، يريد ليس مـــن الـــبر الصيام في السفر"[٥]. ومن شواهد هذا الإبدال الشعرية قول بجير بن عنمه الطـــائي ، أحد بني بولان:

ذاك خليلي و ذو يعاتبني *** يرمي ورائي بامسهم وامسلمه[٦]

---

(١) الكتاب ٢.

(٢) سر صناعة الإعراب ١ /٣٢١.

(٣) لسان العرب ٩ /٢٩١.

(٤) مجالس ثعلب ١ /٧٣.

(٥) ذرة الغواص في أوهام الخواص. ١١٤.

(٦) مغني اللبيب

وقديما سمع هذا الإبدال في اليمين ، من ذلك قول أحدهم :" و كُبَّار في وزن فُعَّال، و هي لغة يمنية ، أهل اليمن يسمون الرجل الكبير كبَّاراً و ذو كبَّار رجل منهم. و سمعت رجلاً يقول : أم شيخ أم كبَّار ضرب رأسه بالعصو ، أي بالعصا"[١]. كما روي عن شمر أنه سأل امرأة حميرية عن بلادها فقالت : النخل ، قال و لكن عيشتنا امقمح -امفرسك- امعنب [٢]، فالإبدال حدث فعلا في لغة حمير، حتى أصبح مميزا لهجيا لها " و قد روي عن حمير أنهم يجعلون آلة التعريف (أم) فيقولون: طاب امضرب. يريدون: طاب الضرب، و جاء في الآثار فيما رواه النمر بن ثولب أنه صلى الله عليه و سلم نطق بهذه اللغة" [٣].

و مثل هذا الإبدال حدث في لهجة الأزد ، فقد سمع الأخفش قائلا يقول : "قام امرجل ، يريد قام الرجل ، و علق عليها ثعلب بأنها لغة للأزد مشهورة [٤]، و قوله مشهورة إنما يدل على انتشارها بين أوساط كثيرة حتى عرفت ، و أنها غير غريبة و لا شاذة.

و الإبدال مثله حدث في قبلية طيئ، فقال أحدهم:" مثل (ال) (أم) في لغة طيئ"[٥].

إن الأمثلة التي مرت معنا تفيد أن إبدال اللام ميماً لغة قائمة عند اليمنيين، سواء وقعت لام التعريف شمسية(امصيام...) ،أو كانت قمرية (امرجل...) فالإبدال حادث مطلقا[٦]. لكن ابن جني أنكر هذا الإبدال بقوله :" و يقال أن النمر بن ثولب لم يرو عن النبي (صلى الله عليه و سلم) غير هذا الحديث، إلا أنه شاذ لا يوسغ عليه"[٣] ، فبنى رأيه هذا على عدم مقاربة الصوتين مما يسوغ إبدالهما" القلب

---

(١) جمهرة اللغة ١ /٢٧٤.

(٢) المزهر ١ /٢٣٩.

(٣) سر صناعة الإعراب ١ /٤٢٣.

(٤) مجالس ثعلب ١ /٥٨.

(٥) شرح الأشموني ١ /٥٩.

(٦) " همع الهوامع شرح جمع الجوامع " جلال الدين السيوطي، دط ، طبعة السعادة، ١٣٢٧هـ، ص ١ /٢٧٩.

في الحروف إنما هو تقارب منها " [١]، لكن الحديث الشريف روي فعلا بهذه الصيغة و بلهجة حمير" و هو حديث ابن عاصم الأشعري : حدثنا عبد الله عن كعب بن عاصم الأشعري و كان من أصحاب السّقيفة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول:" ليس من امبر الصيام في امسفر "[٢].

يعد إبدال اللام ميما ، من أهم الفروق الصوتية التي ميزت القبائل العربية قديما، حتى أنهم خصوها بمصطلح يشرحها و يفسرها« الطمطمانية » ، وهو فرق ميز بين القبائل اليمنية الجنوبية وبين القائل العربية الشمالية خاصة ، فقد نسب كمارأينا إلى طيئ والأزد، وهي قبائل يمنية جنوبية [٣]، لكنها انتشرت وتكلم بها عرب الشمال فيما بعد ، بدليل أن الرسول عليه الصلاة والسلام خاطب القوم بهذه اللغة .

١٦- النـــــون:

النون صوت خيشومي ،مخرجه "من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنّايا"[٤]، ومن التغيرات التي تصيب النون على ألسنة أبناء العربية على اختلاف لهجاتهم إبدالها من الجيم، نحو قولهم :" الإجّار: السطح بلغة الشام والحجاز وجمعه الأجاجير، والإنجار بالنون لغة فيه ، والجمع أناجير "[٥] إلا أننا لا نعرف أي القبائل العربية أبدلت النون من الجيم لكننا نستنج أنها لغة قائمة بذاتها عند بعضهم ، أما أهل الحجاز والشام فكانوا ينطقون الجيم دون النون ، لكن هذا الإبدال يبدوا غريبا فلا قرابة تجمع الصوتين ، ولا نعلم لماذا اختاروا صوت النون على الجيم، لأنه لم يرد الحديث عنه في كتب اللغة. ومثله أيضاً الذّين اختاروا النون على صوت الميم

---

(١) سر صناعة الإعراب ١ /١٩٧.

(٢) " مسند أحمد بن حنبل " دط، طبعة بيروت، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م ، ص ٥ /٤٣٤.

(٣) البيان والتبيين ٣ /٢١٣.

(٤) الكتاب ٤/ ٤٣٣.

(٥) لسان العرب ٤ /١١.

،لكن هذين الأخيرين يحملان من الصفات وقرب المخرج ما يسمح بإبدالهما فقد ورد في قول بعض العرب :" النسط : لغة في المسط ، و هو إدخال اليدين في الرحم لاستخراج الولد " [١] .

أما أهل اليمن [٢]وسعد بن بكر وهذيل ، والأزد ، وقيس ، والأنصار[٣] فإنهم يبدلون النون من العين إذا جاورت الطاء، وبه قرأت الآية الكريمة﴿ إنّا أنطيناك الكوثر ﴾ في قوله تعالى ﴿ إنّا أعطيناك ﴾ [٤] التي أداها الحسن وطلحة وابن محصين وغيرهم . والتي رووها عن الرسول صلى عليه وسلم. ومن أمثلة هذا الإبدال أيضا ما جاء في الحديث " لا مانع لما أنطيت ولا منطي لما منعت "[٥] ، ومن صور هذا الإبدال قوله صلّى الله عليه وسلم " اليد العليا المنطية واليد السفلى المنطاة "[٦]، وقوله صلى الله عليه وسلم كذلك" اليد المنطية خير من اليد السفلى"[٦] وكتب صلّى اللّه عليه سلم إلى أحدهم:" وأنطوا البثجة "[٦] وقال عليه الصّلاة والسلام لرجل " أنطه كذا " يريد أعطه [٥]، ومنه قول الأعشى:

جيادك في القيظ في نعمة *** تصان الجلال وتنطى الشَّعيرا [٧]

ممّا تقدم من الأمثلة نلاحظ أن هؤلاء الناطقين ، اقتصروا على إبدال العين نوناً إذا جاورت الطاء فقط، وفي الفعل "أعطى" لا غير، مع أن القرابة بين الصوتين غير موجودة ، ولا يمكن الإبدال إذا لم يكن هناك مسوّغ " القلب في الحروف ، إنما هو تقارب منها ، وذلك الذال والطاء والتاء والذّال والظاء ، والثاء ، والهاء والهمزة، والميم والنون ، وغير ذلك ممّا تدانت مخارجه. فأما الحاء فبعيدة عن الثاء ، وبينهما

---

(١) نفسه ٧ /٤١٣.

(٢) نفسه مادة " نطي"

(٣) المزهر ١ /٢٢٢.

(٤) الآية ١. من سورة الكوثر.

(٥) نهاية غريب الحديث والأثر ٥ /٧٦.

(٦) البحر المحيط ٨ /٥١٩.

(٧) الديوان الأعشى ٩٩.

تفاوت يمنع من القلب إحداهما إلى أختها"[١]، لكنهما مع ذلك متقاربان في الصفات: الجهر والتوسط ، الاستفال ، الانفتاح، وهذا كاف لحدوث الإبدال، أضف إلى ذلك انتشاره بين قبائل عديدة : سعد بن بكر، هذيل ، الأزد ، قيس ، الأنصار [٢].

٣- أصوات الشفة:

أ – الأصوات الشفهية الأسنانية:

الفـــــاء:

الفاء صوت مهموس ، يتم إخراجه "من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى"[٣].وورد إبدال الفاء من الياء ، وهو جائز للقرابة الصوتية التي تجمع بينهما، وذلك في قول الأزهري:" سمعت أعرابيا من بني حنظلة يسمي المصطبة المصطفة بالفاء "[٤]، وأبدلت من الميم في لغة من اختار الفاء على الميم قال ابن منظور:" الأقصف لغة في الأقصم ، وهو الذي انكسرت ثنيته من النصف"[٥] ، إلا أنه لم يعين القبيلة التي حدث فيها هذا الإبدال لكن يبدو أنه لغة من اختار الفاء على الميم التي هي الأصل بدليل قوله : الأقصف لغة في الأقصم ، فظاهر القول هنا أن الأقصم هي الأصل، وأنّ الأقصف بالفاء لغة لبعض العرب.

وتبدل كذلك الفاء من الباء ، وحدث هذا الإبدال في قبيلة حنظلة. وعلى الرغم من أنّ هذه القبيلة بدوية إلا أنها اختارت هذا الصوت المهموس دون نظيره المجهور ، وهذا دليل على تأثر القبائل بعضها ببعض، فكما نجد الجهر عند القبائل البدوية نجد ميل بعضها إلى الهمس، وكما اختارت القبائل الحضرية الهمس والإمالة

---

(١) سر صناعة الإعراب ١ /١٩٧.

(٢) البحر المحيط ٨ /٥١٩.

(٣) الكتاب ٤ /٤٣٣.

(٤) لسان العرب ١٩٣/٩

(٥) نفسه ١/ ٢٨٣.

والفك فنجد في كلامها الجهر والتفخيم والإدغام ، وهذا راجع لعامل المجاورة والتفاعل بين أبناء القبائل العربية القديمة، التي كانت تمثل رقعة واحدة.

كذلك تبدل الفاء من الثاء وهي لغة التميميين كما رأينا ، إذ يقولون فوم في ثوم . أما ابن جني فانه لا يرى أن الفوم هنا بمعنى الثوم وبالتالي لا إبدال بينهما " وذهب بعض أهل التفسير في قوله تعالى﴿ فومها﴾ إلى أنه أراد الثوم فالفاء على هذا بدل – عنده – من الثاء ، والصواب عندنا أن الفوم : الحنطة وما يختبز من الحبوب، يقال فوّمت الخبز : أي خبزته ، وليست الفاء على هذا بدلاً من الثاء "[١].

ب – الأصوات الشفهية:

١– البـــــاء:

الباء صوت مجهور يصدر من"بين الشفتين"[٢]

تبدل الباء من الميم ، ولهذا ما يسوغه للقرابة الصوتية التي تجمع بين الصوتين (مخرجاً وصفةً) فقد نقل الأصمعي عن أبي سوّار الغنوي قوله :" با سمك ؟ يريد ما اسمك "[٣] فهذه الباء بدل من الميم ومن نماذج هذا الإبدال قولهم:" بعكوكة ،وأصلها معكوكة ، فالباء بدل من الميم ، لأنها من الشدّة ، وهي من المعك*" [٣]، لكننا لا ندري إذا كان هذا الإبدال شائعا ، حيث ميز بين لهجات قبائل معيّنة ، أم انه متعلق بأشخاص مختلفة قبائلهم.

٢– الـميـــم:

الميم صوت مجهور ينطلق " من بين الشفتين" [٤]، ويكون أصلاً ،وبدلاً وزائداً. وأما إبداله فمن أربعة أحرف ، هي:" الواو والنون ، واللاّم ،

---

(١) سر صناعة الإعراب ١ /٢٥١.

(٢) الكتاب ٤ /٤٣٣.

(٣) سر صناعة الإعراب ١ /١١٩.

* المعك : شدة الدلك.

(٤) الكتاب ٤ /٤٣٣.

والباء "[١]. تأتي الميم بدلا لأحد الأصوات بحيث يكون شائعا فيميز بين لهجات القبائل العربية ومنه إبدالها من اللام ، ويكون أقل انتشاراً من الأول ، بحيث لا يمكننا اعتباره فرقا من الفروق الصوتية بين اللهجات العربية ومنه إبدالها من النون، كقولهم عمبر في عنبر وشمباء في شنباء[٢].

أما إبدالها من الباء ، فيحوز أن يكون من باب الفروق الصوتية بين اللهجات العربية ، ويحوز أن يكون كلّ صوت أصل في صيغته ، ومن صور إبدال الميم باءً ما أورده أبو عمرو الشيباني فقال:" مازلت راتما على هذا وراتبا ، أي مقيما "[٣] ، ويعلق ابن جني على هذا الإبدال فيقول:" فالظاهر من أمر هذه الميم أن تكون بدلاً من باء راتب ، لأنّا لم نسمع في هذا الموضع رتم مثل رتب. وتحتمل الميم في هذا عندي أن تكون أصلاً غير بدل ، من الرَّتيمة"[٣].

ومنه نرى أن إبدال الميم حدث فعلاً ، حيث فضّلته بعض القبائل العربية، على نظيره اللاّم ، وبعضهم وإن لم نعرفهم قد فضله على صوت النون ، وبعضهم فضله على صوت الباء وهكذا ، كما أننا نلاحظ أنّ هؤلاء قد اختاروا للميم الصوت الأنسب له سواء في المخرج أو في الصفات، حيث لم يرم بالشذوذ ولا بالقدح كما كان الأمر مع اللاّم

هكذا ننتهي إلى القول، إن أهم ما ميز اللهجات العربية القديمة يعود حتما إلى الجانب الصوتي، فقد تختلف قبله عن أخرى في طريقة نطقها لصوت معين ، أو إبداله صوتا معيناً يوافق طباعها و سجيتها ، أو حذفه أو تحقيقه. و حسبنا بهذا القدر الضئيل مما وصلنا في الفروق الصوتية التي ميزت بين القبائل العربية على اتساع أرجاء الجزيرة العربية و امتدادها و الذي حملنا على تشكيل صورة نموذجية لحالة اللهجات

---

(١) سر صناعة الإعراب ١ / ١١٩.

(٢) ينظر سر صناعة الإعراب ١/٤٢١-٤٢٢

(٣) نفسه ١/ ٤٢٤.

العربية القديمة قبل نزول القرآن الكريم ، وامتدادها من بعده، و لعل هـــذا القـــدر الضئيل الذي عثرنا عليه فيما وصلنا فقط من الكتب الغوية القديمة لكاف بكل تأكيد ، مما لا يدع أي مجال للشك في نباهة و فطنة اللغويين القدامى ، الذين راحوا يجمعون المادة اللهجية السائدة في تلك الفترة، باذلين كل ما في وسعهم من أجـــل شـــرحها وتفسيرها و وصلها باللغة النموذجية الفصحة إن أمكن ذلك ، و إن خـــالفت هـــذا القالب النموذجي المصفى تركوها جانبا مشيرين إليها على أنها مظهر مـــن مظـــاهر الاختلاف في لغات القبائل ناسبين إياها تارة و مهملينها تـــارة أخـــرى ، و هـــم معذورون كل العذر ، لأنهم انشغلوا بجمع و تقعيد اللغة العربية التي كانت مـــهددة آنذاك بالانحراف والزيغ على ألسنة الأعاجم فكان مهجهم في دراســـة اللـــهجات، السّماع المباشرة من الأعراب – وهم ثقة - أو عن طريـــق الروايـــة، فوجدنـــا في مؤلفاتهم ما يدل على ذلك: سمعت بعض العرب،بعض العرب الموثوق بهم ، قيـل لي ، رويت عن ، أخبرني [١]. كما لاحظ أحد الدارسين [٢] أن ابن جني كان يعتمـــد على مصادر موثوقة في الوصول إلى هدفه ، وهي مشافهة الأعراب فقال " أبا الفتح كان يدرك ما للمصدر البشري من قيمة كبيرة في استقاء اللغة ، هذا المصدر الـــذي يعتمد عليه دارسوا اللهجة في المقام الأول والذّي يسمّونه The informer وفـــرق بين المشافهة لصاحب اللهجة وبين روايتها بطريق السّماع عنه [٣].

تميل اللغة إلى التغير، سواء خلال الزمان، أو عبر المكان، بشـــكل لا يمكـــن إيقافه، فتتغير اللغة وتحل أخرى مكان أخرى وهذه طبيعة اللغات في العالم، فهل الأمر نفسه يتعلق بالعربية؟، وهل ابتعدت لهجاتها عنها عبر هذا الفاصل الزمني؟ وما علاقة اللهجات العربية المعاصرة باللهجات العربية القديمة؟.

---

(١) كان سيبويه أميناً جداً في نقل الروايات عند تعرضه للهجات، فكان يورد المثال وينسبه إلى نفسه إذا سمعه مباشرة من ذلك ما جاء في الكتاب ٤ /٤٦٠ قوله :" ومما أخلصت فيه الطاء تاءً سماعاً من العرب قولهم". وكان ينسبه إلى أصحابه إذا سمعه عنهم ومن ذلك أيضا ما جاء في المصدر نفسه ٤٤٤ قوله:" وحدثني الخليل وهرون أن ناسا". هذه الأمانة العلمية لم تكن موجودة عنده فحسب بل كانت عند غيره أيضاً.

(٢) إنه د/ عبده الراجحي في كتابه " اللهجات العربية في القراءات القرآنية"، دط ، دار المعارف ، ١٩٦٩، ص ٦١.

(٣) اللهجات العربية في القراءات القرآنية عبد الراجح ٦١.

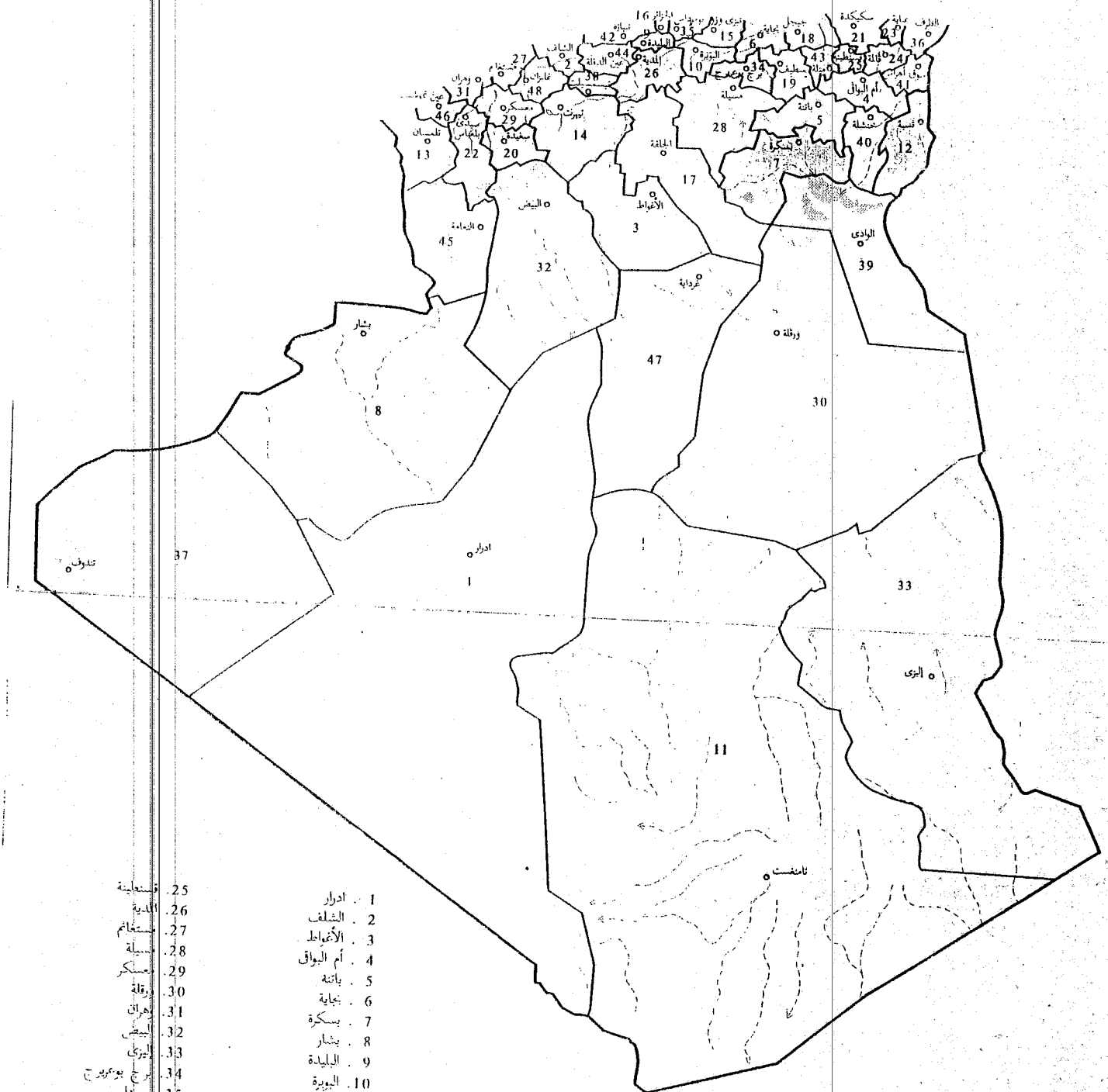
1 . ادرار
2 . الشلف
3 . الأغواط
4 . أم البواقي
5 . باتنة
6 . بجاية
7 . بسكرة
8 . بشار
9 . البليدة
10 . البويرة
11 . تامنغست
12 . تبسة
13 . تلمسان
14 . تيهرت
15 . تيزى وزو
16 . الجزائر
17 . الجلفة
18 . جيجل
19 . سطيف
20 . سعيدة
21 . سكيكدة
22 . سيدى بلعباس
23 . عنابة
25 . قسنطينة
26 . المدية
27 . مستغانم
28 . مسيلة
29 . معسكر
30 . ورقلة
31 . وهران
32 . البيض
33 . اليزى
34 . برج بوعريريج
35 . بومرداس
36 . الطرف
37 . تندوف
38 . تيسمسيلت
39 . الوادى
40 . خنشلة
41 . سوق أهراس
42 . تيبازه
43 . ميلة
44 . عين الدفلة
45 . النعامة
46 . عين تموشنت
47 . غرداية
حدود الولاية
مركز الولاية
مقياس الرسم 1 : 3 000 000

الفصل الثاني

الخصائص الصوتية
للهجة سيدي بلعباس

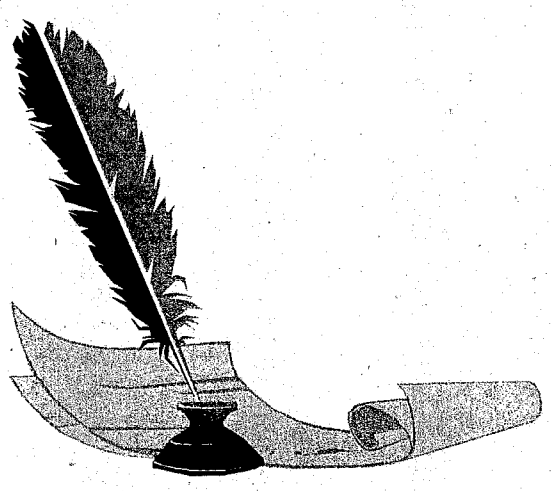

اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث، فهماً يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات. وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات، هي التي اصطلح على تسميتها باللغة. فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام و الخاص ، فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها. وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية ، و العادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات [1].

و معروف أن تعدد اللهجات وشيوعها بين المواطنين في البلاد العربية واتخاذها وسيلة للاتصال في البيوت و الحياة العامة ، و في الكثير من المؤسسات الفاعلة والمؤثرة في التواصل اللغوي كأجهزة الإعلام و الثقافة.

و اللغة العربية واحدة من هذه اللغات ، تشعبت إلى لهجات مختلفة وتباعد بعضها عن بعض، منذ أن امتد انتشارها ، حتى تباينت عن اللغة الأم في كثير من المظاهر الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية،إذ سلكت كل لهجة منها في تطورها منهجا يختلف عن منهج غيرها ، تحت تأثير الظروف المحيطة بها، و هذا أمر طبيعي مما يقتضيه قانون اللغات أنه متى انتشرت" اللغة في مناطق واسعة من الأرض و تكلم بها طوائف مختلفة من الناس، استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمدا طويلا، بل لا تلبث أن تنشعب إلى لهجات. وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات في

---

[1] في اللهجات العربية د إبراهيم أنيس ١٦.

سبيل تطورها منهجاً يختلف عن منهج غيرها ،و لا تنفك مسافة الخلف تتسع بينها حتى تصبح كل لهجة منها لهجة متميزة غير مفهومة إلا لأهلها ... و لكنها تضل مع ذلك متفقة في وجوه أخرى ، إذ يترك الأصل الأول في كل منها آثارا تنطق بما بينها من صلات القرابة و لحمة النسب اللغوي"[١] .

إن من بين العوامل التي أدت إلى تباين العاميات العربة المعاصرة اختلاف اللغات التي اصطدمت بها اللغة العربية أثناء انتشارها ، لأن اللغة العربية التي حملها العرب الفاتحون وصلت في صورتين" إحداهما موحدة منسجمة وتلك هي لغة الآثار الأدبية و القرآن الكريم ، تلك اللغة النموذجية التي نمت و ازدهرت قبل الإسلام في بيئة مكة و الحجاز، و الأخرى تشتمل على تلك الصفات الكلامية التي امتازت بها لهجات القبائل المتباينة إبان الفتوح الإسلامية " [٢]، و هذه اللهجات المختلفة التي انتقلت مع المسلمين من شبه الجزيرة العربية ، اصطدمت بأخرى مختلفة عنها تماما، مما أدى إلى اصطدامها و احتكاكها بها، و هنا كان لابد من صراع بين اللهجتين- لهجة السكان الأصليين، ولهجة الفاتحين- أدى إلى سيادة إحداها وسقوط الأخرى. لكن هذه الأخيرة لم تفن إلا بعد أن تركت بعض الآثار في اللهجات العربية. على الأقل من الناحية من الصوتية والمعجمية.

فلقد دام صراع القبطية مع العربية ثلاثة قرون،أدت في الأخير إلى انتصار العربية، لكنها خرجت من هذه الاحتكاكات ممثلة بالآثار القبطية ، الأمر نفسه مع الآرامية في معظم بلاد العراق الشام ، و الأمازيغزية في شمال إفريقيا ، حيث تأثرت العربية ولهجاتها في كل منطقة من هذه المناطق بلهجاتها القديمة، و انحرفت في ألسنة أهلها انحرافا خاصا اقتضته عاداتهم الصوتية المتأصلة و مناهج ألسنتهم القديمة ، أما هذه

(١) " علم اللغة" د علي عبد الواحد وافي، دط، دار النهضة، ١٩٤٥، القاهرة، مصر، ص ٤٧

(٢) في اللهجات العربية د إبراهيم أنيس ٢٦.

الصفات الصوتية التي أثرت في اختلافات اللهجات العربية الحديثة ، لم تتعد:

-١ الاختلاف في مخرج بعض الأصوات .

-٢ الاختلاف في وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات.

-٣ الاختلاف في مقياس بعض أصوات اللين.

-٤ التباين في النغمة الموسيقية للكلام.

-٥ الاختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض.[١]

إن تأثر اللهجات العربية الحديثة بالبيئة الجديدة والظروف المحيطة الأخرى أدى إلى تباينها، فمجموعة لهجات سوريا مثلا تختلف عن لهجات الجزائر، و هذه الأخيرة تختلف عن لهجات العراق وهكذا ، وبعضهم يعتقد أن " مجموعة اللهجات المغربية أبعد اللهجات العامية جميعا عن العربية الفصحى. و يرجع السبب في ذلك إلى شدة تأثرها باللهجات البربرية التي كان يتكلم بها معظم السكان قبل الفتح العربي، فقد انحرفت من جراء ذلك انحرافا كبيرا عن أصولها الأولى في الأصوات والمفردات وأساليب النطق و في القواعد نفسها "[٢]، ومع هذا الاختلاف والانفصال عن أصول اللغة النموذجية ، نجد أن هذه اللهجات الحديثة احتفظت ببعض الآثار القديمة التي يمكن أحيانا إرجاعها بسهولة ويسر إلى لهجات عربية قديمة، وهناك ما يمكن إرجاعها بعد بحث دقيق و دراسة عميقة.

ومن المظاهر التي لازالت لها آثارها في اللهجات الحديثة ، إبدالهم اللام ميما. فهذا الإبدال ما يزال مستخدما في تعريف الأسماء في بعض جهات حاشد، وأرحب، وبني حشيش، وسحار من صعدة، و بالأخص في قرية الطلح، و في معظم مناطق

---

[١] في اللهجات العربية د إبراهيم أنيس ١٩.

[٢] علم اللغة د علي عبد الواحد وافي ١٥٠.

تهامة، و لكنهم ينطقونها(إِمْ) بكسر الهمزة[١]، كما أنه شائع في اللهجة المصرية في كلمة واحدة فقط هي (اِمْبَارِحْ) بدلا من البارحة و قد تنطق (اِنْبَارح) [٢]، كما نجد هذا الاستخدام في سوريا أيضا[٣].

كذلك إبدال الهمزة عينا، فلا شك أن بعض صور النطق الآن في صعيد مصر، وفي الجيزة، و في بادية الجنوب-العربي- في مثل هذا الإبدال من قبيل ما تأصل فيهم من العربية القديمة ، حين ينطقون (اِسعل سعال) يريدون (اِسأل سؤال)، و يقولون (لع) في (لأ)[٢]،و منه كذلك في بعض نواحي سيدي بلعباس-كما سنرى.

ومن قبيل التوافق بين اللهجات العربية القديمة والحديثة إبدال الياء من الجيم، فله ما يناظره في لهجة الكويت و الجنوب العربي الحاليتين فهم يقولون" أنا ياي" في "أنا جاي"و"دياية " في "دجاجة" و "ريال" في "رجال".[٣]

و لهذا الإبدال ما يناظره أيضا في لهجة الجزائر العاصمة، حيث سمعتهم يقولون"مسيد"في المدرسة، و لعل هذه الكلمة ما هي إلا مسجد، حيث استُعمل المسجد إبان الثورة التحريرية كمدرسة يلقن فيها الجزائريون أصول الدين و اللغة العربية . و لما اقترن عمل المدرسة بعمل المسجد، أصبحوا يسمون المدرسة بالمسجد، و هم يبدلون صوت الجيم ياءً، فيقولون مسيد و لم نسمع هذا الإبدال في غير هذه الكلمة.

إن بعضا من هذه التنوعات الصوتية التي تمايزت بها اللهجات العربية قديما، لا يزال مسموعا إلى يومنا هذا، و هو ما سنقف عليه من خلال دراستنا للخصائص

---

(١) لهجات اليمن قديما وحديثا ٦٤.

(٢) في التطور اللغوي د عبد الصبور شاهين ٦١.

(٣) سماعا من التلفزيون من خلال برنامج

الصوتية للهجة سيدي بلعباس، كما أنني قد ألجأ إلى لهجات أخرى لمناطق من الغرب الجزائري ، استقر أصحابها بالولاية (أي س.ب.ع)، ولا يزالون محافظين على خصائص لهجتهم، وذلك قصد استكمال بعض المظاهر اللهجية القديمة، على أن لا يكون هذا الربط قيدا أضعه أثناء الدراسة ، فإنني سأدرس لهجة سيدي بلعباس في إطار عالمي بعيد عن المقابلات و فكرة الربط بين هذه اللهجة وغيرها من اللهجات الأخرى، حتى تكون النتائج فيها بعد أكثر موضوعيةً ، فلكمال الكشف عن أسوار اللهجات الحديثة، لابد من دراستها دراسة علمية تقوم على الاستقصاء والتسجيل لنماذج منها تسجيلا صوتيا، لنتبين أولا ما تتصف هذه الهجة من خصائص. وستكون دراستنا لها وصفية، تتناول أصواتها كما هي جارية على ألسنة أصحابها، دون التعرض في البدء إلى أي نوع من الموازنات، أو الحكم على أي صلة لها لهجة قديمة" فإذا فرغنا من الدراسة الوصفية التحليلية ...نكون قد خدمنا أغراضا جليلة : منها تسجيل لهجاتنا التي تكون مرحلة تاريخية من حياتنا الاجتماعية، ومنها إشباع رغبة العلماء منا في الدراسات الأكاديمية البحتة للهجات الحديثة ، ثم بعد هذا و فوق هذا تصبح تلك الدراسة نواة أو مادة نستغلها في دراسة اللهجات العربية القديمة"[1].

ولما كانت لهجة سيدي بلعباس واحدة في مختلف مناطقها، لم ألجأ إلى تسميتها -أي أسماء المناطق - ، وكنت أذكرها أحيانا فقط فيما انفردت به من خصائص صوتية.

---

[1] في اللهجات العربية مقدمة الطبعة الأولى.

الخصائص الصوتية للهجة سيدي بلعباس:

الإبدال بمعنى إبدال صوت من كلمة بصوت آخر، وهو كثير في اللغة ويقع بين الأصوات المتقاربة في الحيز والمخرج وبين المتباعدة أيضا، حيث التفت اللغويون إلى إمكان تفسير الإبدال بأن تكون إحدى صورتيه لغة قبيلة والأخرى لغة قبيلة ثانية [١]. هذا الإبدال الذي يحدث في اللهجات غير مطرد ولا يخضع لشروط خاصة هذا ما حدث فعلا في اللهجات العربية قديماً وحديثاً، وهو ما سنقف عليه في لهجة سيدي بلعباس.

١ – أصوات الحلق:

١– الهمزة:

الهمزة من الأصوات العربية التي لقيت عناية خاصة من النحاة واللغويين العرب القدامى حتى أفردوه بمؤلفات خاصة*، فهي في عرف الدارسين العرب القدامى صوت شديد مجهور[٢] في حين هي صوت لا هو بالمهموس ولا هو بالمجهور في رأي الدارسين المحدثين [٣]، و يبدو أن هذا الأخير أخذ من وصف أحد الدارسين الأوروبيين الذي يصف صوت الهمزة بقوله:"it is neither breathed nor voiced" [٤] أي أنه ليس بصوت مهموس ولا مهجور.

و على هذا يمكن تمثيل مراحل النطق بصوت الهمزة كما يأتي[٥]:

المرحلة الأولى ← قطع النفس

---

(١) ينظر العين ١ /١٦٨. المزهر ١ / ٥٥٦، القلب والإبدال لابن السكيت ١٠.

(٢) ينظر ص ٢٩من الفصل الأول

* من هذه الكتب كتاب عبد الله بن اسحاق الحضرمي، وكتاب الهمز لأبي زيد.

(٣) " الأصوات اللغوية" د إبراهيم أنيس، دط، ١٩٩٥م، القاهرة، مصر، ص ٩١.

(٤) Daniel Jones, "An outline of English Phonetics", Cambridge, ١٩٥٧, p ١٣٨.

(٥) "علم اللغة العام والأصوات" د كمال بشر، دط، مكتبة الشباب، دت، ص ١١٢.

المرحلة الثانية ← الانطباق
المرحلة الثالثة ← الانفجار
⇐ مرحلتان متداخلتان و لا يمكن الفصل بينهما أو النظر إلى إحداهما دون الآخر

يمكن التمثيل لصوت الهمزة كالآتي:

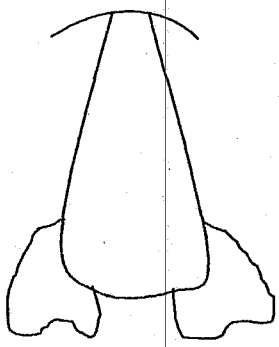

حالة الهمس

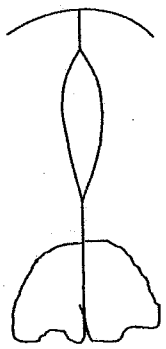

حالة الجهر

في حالة الهمس لا يقترب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر مما يؤدي إلى عدم الجهر اهتزازهما عكس حالة الجهر التي يتذبذب فيها الوتران الصوتيان، ونلاحظ أن كلتا الحالتين ، لا يمثلان المخرج الصحيح لصوت الهمزة ، فشرط النطق بها أن ينطبق الخطان الغشائيان و الغضروفيان انطباقا كاملا، بحيث لا يسمح للهواء بالمرور مطلقا[1]، وبهذا يكون وضع الوترين في حالة النطق بالهمزة على الشكل الآتي:

(1) من كتاب" GENERAL PHONETICS" ، طبعة ميدسون ، ١٩٦٠، ص٢٢

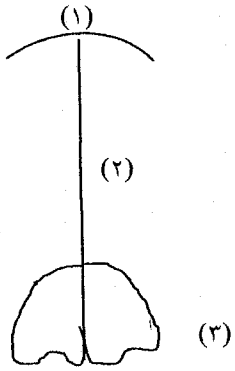

١- الغضروف الغطائي.
٢- الوترين الصوتيين.
٣- الغضروف الهرمي.

إن أي تغير في وضع الحنجرة خلاف هذا الوضع لا ينتج الهمزة، و إنما يؤدي إلى إحداث أصوات أخرى غيرها.(١)

إن عدم استقرارية وثبات صوت الهمزة يعد من العوامل الرئيسية في تفشي ظاهرة الإبدال التي تلحق بهذا الصوت، و هو أمر شائع في لهجة سيدي بلعباس، فلا نكاد نسمعها محققة أبدا، فهي إما مبدلة إلى واو أو ياء أو أنها محذوفة.

وتبدل الهمزة هاءً في كلمة واحدة مما سمعته و هي (هراق) في قولهم أراق، إذ يقول بعضهم : (اهرق) الماء عليَّ، أي انقلب عليه ، فبلل ملابسه. ومن غريب ما سمعت في هذه الكلمة قولهم:(اهرقت)، و يريدون بهذه الكلمة أنهم أصيبوا بالإسهال، فكأنهم شبهوا الإسهال لحدة جريانه بالماء.

وعدا هذه الكلمة لم أسمع همزة أخرى مبدلة إلى هاء.

وما عدا هذه الكلمة، فإن الهمزة إما أن تسقط تماما و إما أن تبدل إلى أحد حروف العلة، ونستطيع تقسيم إبدالها من أصوات العلة إلى:

١- إبدال الهمزة الابتدائية، أو حذفها وذلك نحو قولهم:

(لِيْبَرَه) = في إبرة ، و هي وسيلة تستعمل لخياطة الثياب.

---

(١) " أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي- أبو عمرو بن العلاء- " د عبد الصبر شاهين، ط١، مكتبة الخانجي، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧ م ، القاهرة، مصر، ص ١١٦.

(لُخْره) = في الأخرى.

(لَحْمَرْ) = في الأحمر ، أي اللون الأحمر.

كذلك قولهم

(لَرْبعى) = في الأربعاء، و هناك حذف أو سقوط الهمـــزة في آخـــر الكلمة.

(يَامس) = في أمس، حيث أبدلوا الهمزة ياءً، ثم أشـــبعت الفتحـــة القصيرة . ومن نماذج هذا الإبدال قولهم:

(لَبْيضْ) = في الأبيض، أي اللون المعروف.

كما يقولون: (وْمَ) = في أومأ إذا أشار إلى الشيء من دون حركة، بل مجرد إشـــارة بهز الرأس نحو الشيء المقصود، أو توجيه البصر نحوه.

ونلاحظ في هذه الكلمة إسقاط الهمزة الأولى وكذلك الأخـــيرة .أمـــا في الإمـــام فيقولون: (لِيمَام)، فيبدلون الياء من الهمزة أيضا من باب التخفيف ، و سرعة الكـــلام التي تقتضيها عادات وطبائع العباسيين في كلامهم. كما تسقط الهمـــزة كذلـــك في قولهم: (لْبْريقْ) = في الإبريق، و هو نوع من الأواني يحضر فيه الشاي أو القهوة.

أما في الإبط، فإنهم يقولون (لَباطْ)، فيسقطون الهمزة، و يغيرون حركة الصوت الذي يليها من الكسرة إلى الفتحة، ثم يشبعونها فتصبح بَاطْ.

و مثل إسقاط الهمزة في أول الكلمة قولهم:

(لْبَلْ) في الإبل.

(بْليسْ) في إبليس.

(لثم) في الإثم.

(لرْض) في الأرض.

(بْتَر) في الأبتر.

و يقولون: (الوْدْنْ) في الأذن، فكأنهم بعد أن أسقطوا الهمزة أشبعوا الضمة التي هي في الأصل حركة الهمزة، حتى أصبحت واواً. و من قبيل هذا قولهم :(رَوْزْ) في الأرز، كلما حذفت الهمزة نقلت حركتها إلى الصوت الذي يليها و هو الراء، فأصبح مفتوحاً، أما حركته، التي هي ضمة أُشبعت حتى صارت واواً. ومثلها ما حدث في كلمة (أخي) التي ينطقها سكان المنطقة (خَيِّ)، فإن الهمزة حذفت ثم نقلت حركتها إلى الخاء بعدها، ثم تسقط الألف (هذه الألف صورة للهمزة حسب الإملاء العربي، تسقط بسقوط الهمزة) لأنها صوت ساكن، و العربية لا تبدأ بساكن، وقد يشمل هذا العاميات في بعض الأحيان، ثم في الآخير انتقلت حركة الخاء إلى الياء بعدها فكُسرت.

ومن أمثلة إبدال الهمزة واواً على لسان العباسيين في بداية الكلمة قولهم :(وِيْنْ) في أين؟، (يآجور) في آجور، أبدلوا الهمزة الأولى ياءً.

٢ إبدال الهمزة أو حذفها إذا وقعت وسطا:

تحذف الهمزة في اللهجة العباسية إذا وقعت وسطا ، لكن هذا نادر الوقوع. أما إبدالها فهو الشائع، فتبدل ياءً أو واواً أو ألفاً، هذا حسب حركتها أو حركة الحرف الذي يليها فيقولون:

(ذيب) في ذئب

(بير) في بئر

(راس) في رأس

(فار) في فأر

(توام) في توأم

(عَيْشه) في عائشة

(الطبايع) في الطبائع

(فايده) في الفائدة

(شايع) في شائع

(عبايه) في عباءة

(ريّه) في رئة

(حديّه) في الحدأة ، و هو عبارة عن طائر جارح صغير ،

ونلاحظ أنهم استثقلوا تتابع الفتحتين (فتحة الحاء و فتحة الدال) فكسروا الثانية ، ولما كانت الكسرة أصعب في المخرج من الفتحة، أبدلوا الألف ياءً من أجل المماثلة الصوتية والتجانس والانسجام.

و يقولون أيضا: (فال) في الفأل، بمعنى إذا كانوا يتحدثون على شيء ما ثم سمعوا في هذه اللحظة صوتاً أو نغماً، أو كلاماً أو أي شيء كان مطابقاً لما كانوا يتحدثون عنه، فيقولون هذا فالك أي فألك.

ومثله أيضا قولهم: (يَسْتَاهل) في يستأهل أي يستحق ما لحقه سواء كان خيرا أو شرا.

وسمعت من أهل هذه اللهجة من يقول(نْسوْلَكْ) أي نسألك، سقطت الهمزة ونقلت حركتها إلى الساكن قبلها فأصبحت (نْسَالُك) وعن طريق المماثلة الرجعية أثرت الضمة في الفتحة فأبدلت الألف واواً لمجانسة الضمة بعدها فقالوا (نْسوْلك).

و مثل ذلك قولهم: (ثّاوب) في تثاءب، فقد أبدلت الهمزة واواً، مع أنها لم ترد مضمومة و لم تجاورها ضمة، لكن لو أبدلت ألفاً، لتجاور سكانان فتصبح الصيغة كالآتي:

تثاءب تثااب تثاوب ثّاوب

إذن كرهوا تجاور الساكنين، و عوض أن يحذفوا الألف الثانية أبدلوها واواً، لأنهم لو حذفوا الألف الثانية لقالوا ثاب فكأنهم لم يمدوا طويلا، ثم إن من طباع أهل المنطقة مد الحركات و إشباعها، و هذا ما حدث مع هذه الكلمة لتصري (ثّاوب).

٣- إبدال الهمزة أو حذفها إذا تطرفت:

تحذف الهمزة أو تبدل إذا وقعت في آخر الكلمة كقولهم:

(بْرَا) في بَرِأَ إذا شفي من علّته، فيقولون: (بْرِيتْ) في بَرِئت، (برا) في برأ، (برات) في بَرِأت و في هذه الحالات التصريفية و غيرها لا يحققون الهمزة أبدا.

كذلك قولهم : (قرا) في قرأ، فكذلك لا تحقق الهمزة حتى لو صرفناه مع جميع الضمائر كان يقولون: (قرينا) في قرأنا، (قرات) في قرأت، (قْراوْ) في قرأوا، و(يقرو) في يقرأون مع حذف النون إلى غير ذلك.

ومنه قولهم : (الضّوو) في الضوء فتحذف الهمزة الأخيرة .

كذلك قولهم (لثلاث) في الثلاثاء فتسقط الهمزة الأخيرة، و منهم من يشبع حركات الثاء الأخيرة (لثلاثا) ومن لا يشبعها، فتصير عنده (لثلاثَ).

ويقولون (توضّى) في توضأ، و (توضيت) في توضأت. (بنا) في البناء، و (بنّاي) في بنّاء، و هو العامل الذي يقوم بعملية البناء.

(صفرى) في صفراء (اللون الأصفر)

(حمرى) في حمراء (اللون الأحمر)

(صحرى) في صحراء

(اللّبا) في اللّبأ (هو ما يستخلص من الحليب، و طعمه لذيذ جداً)

(لْمَا) في الماء

(جاب) بمعنى أحضر في جاء بكذا.

(كريه) في كراء فيبدلون الهمزة ياءً، و يقوفون على هاء السكت

(حما) في الحمأ (و ليس الحما الذي يسمون به أخو الزوج ، فتقول المرأة لأخي زوجها (حْمَايَ)، و أخت زوجها (حماتي)، ولا هي بمعنى سخن، بل (الحما) من الحمأ هذا الغدير المتسخ الأسود المملوء بماء وسخ، لهذا يسمون ما يتبقى من الشيء الذي يبقى من الحريق الأسود الذي يلطخ أي شيء يصطدم به فيترك فيه آثار (بالحموم) فلعل هذا من (الحما) أي الحمأ بعد أن حذفوا الهمزة الموجودة في آخر الكلمة.

أيضا (الدّفا) في الدفء ، و اشتقوا منها (الدفّاية) ، كذلك:

(السّما) في السماء

ونستطيع أن نجزم أن كل الكلمات المهموزة إلا وحذفت همزتها أو أبدلت من إحدى الأصوات الثلاثة، عدا صوت الهاء. ومع ذلك نجد بعضهم يحقق الهمزة في كلمة واحدة مما سمعته وأحصيته في أجل، فيقولون :(جا أجله)، أي حان وقت رحيله إلى جوار ربه، فحذفوا الهمزة الأولى في الفعل جاء وأبقوا الهمزة الثانية حتى لا تلتقي الهمزتان، ويحدث الاستثقال، والذي تخلصوا منه بحذف الأولى وترك الثانية على حالها.

وإذا كانت الهمزة قد أبدلت إلى هاء في كلمة(هرقت) فقد سمعت بعضهم أبدل الهمزة من الهاء، فقالوا: (أيّا) في هيّا بمعنى هلما معي وتعالى نذهب.

وسمعت بعضهم يضيف الهمزة المفتوحة إلى بعض الكلمات، ولما أمعنت فيها النظر وجدتهم أضافوها حتى لا تبدأ تلك الكلمات بالسكون مثل قولهم:(أرواح) بمعنى تعالى إلى هنا، فلم يقولوا (رواح) بل قالوا (أرواح)، مع أن بعضهم يفخم الواء

وفتحة الواو حتى لا تكاد تسمع هذه الهمزة، ولا الحاء الموجودة في الأخير.

كذلك قولهم: (أنّص) إذا أرادوا الأمر بالشيء وطلب القسمة مناصفةً.

كذلك قولهم: (أُمُّك) في أُمّكْ لكن منهم من يحذفها فيقول : (مّك) من دون همزة، وغير هذه الكلمات مما حققت فيها الهمزة، لكن الطابع الغالب عليها هو الأمر، لأننا مقابل ذلك نسمعهم يقولون :

(كتب) في اكتب

(رفد) في ارفد بمعنى ارفع إلى أعلى.

(رصم) في ارسم

(كَلب) في اقلب

(نُوض) في انهض وما إلى ذلك من الكلمات.

ومنهم من لا يحقق الهمزة، ومثل ذلك قولهم (مْرَ) فحذفوا الهمزتين الأولى و الأخيرة

(مْرَ) في امرأة.

و مما سمعته أيضا إبدال الهمزة عينا حين يجهر بها لاسيما في لهجة (قايد بالعربي) و ما يسمى عند العامة (بودانس)، وهي بلدية تبعد عن مدينة سيدي بلعباس بحوالي ١٠كلم، فإنهم يبدلون الهمزة عينا فيقولون:

(عَلْفَ) في ألف و هي قيمة نقدية (١٠ دينار جزائرية)

(قرعان) في قرآن

(للعان) في للآن (أي لحد الساعة)

(لتعمني باله) في قولهم إذا تؤمنين بالله، أي أنهم عندما يبررون كلامهم يقسمون بالله حتى يُصَدَّقُوا، فيقولون: (والله لتعمني بالله). ومن أمثلة إبدالهم الهمزة عينا قولهم: (عنسان) في إنسان، وأذكر أني طلبت من الشيخ أن يعيد الكلمة

ويقول: إنسان ، فلم يستطع و كان يكرر (عنسان).
كذلك جدة والدي تجاوزت التسعين سنة ، تبدل الهمزات عينا، فتقول مثلا (عومو) في أومو ، و هي كلمة فرنسية OMO ، أي تلك المادة المنظفة التي تستعمل لغسل الثياب و الأواني و غيرها ، و كلما طلبت منها أن تعيد الكلمة بأومو، تنطقها في المرة الأولى و لما طلبت منها التكرار لا تعيد إلا ب (عومو)، فهي و على ما يبدو متأصلة في كلامهم، كما تقول (عسمى) في أسماء ، وقولهم : (يسعل) في يسأل، (عجله) في أجله أي حتفه.
ولعلهم اختاروا العين من دون الهمزة، لأنها صوت مجهور وقريب من مخرج الهمزة ، و لما كانت هذه الأخيرة صعبة المخرج والتحقيق، ولما تتطلبه من جهد ومشقة في إخراجها وتحقيقها، جنحوا إلى الأقرب منها مخرجا وصفةً، و الذي باستطاعتهم تحقيقه دون تكلف أو صعوبة، فوجدوا صوت العين.

ولكثرة مبالغتهم في الجهر قلبوا أماكن الأصوات في كلمة (مْعَايَ) أي معي و برفقتي ، فقالوا (عْمَايَ)، هذا القلب يسمى في عرف الدارسين بالقلب المكاني، لأن الأصوات تغير مكانها فيما بينها في الكلمة الواحدة.

أما قولهم (عُوقْ) أي تقيأ وقول بعضهم الآخر (أُق) فلا نعرف أيهما أصح ، هل الهمزة هي الأصل و أبدلت عيناً، أم هل العين، المهم أنهما مسوغتان صوتياً، لأن الكلمة معناها إفراغ ما بداخل البطن(المعدة) إلى الخارج، وإذا أصيب بأوجاع وتعذرت عملية الهضم عليه، و كل من الهمزة و العين يوافق هذه العملية (من الداخل إلى الخارج)، فالهمزة من أقصى الحلق، و العين من وسطه و بالتالي فالكلمة فعلاً تدل على هذه الحركات (داخل - خارج).
و بهذا نستطيع القول إن الهمزة صوت أصابه الكثير من التغيير، و قد حذف

أكثر مما أبدل، حتى لم نعد نسمع هذا الصوت تقريبا في عاميتنا.

٢- الهاء:

الهاء صوت حنجري احتكاكي (رخو) مهموس مرقق، مخرجه من أقصى الحلق [١]، حيث يتم نطقه بتضييق فتحة المزمار قليلا، فينطلق الهواء محتكا ليشكل الهاء [٢].

والواقع أن الفم يتخذ في صناعة الهاء وضعا مماثلا للذي يتخذه مع الصوائت. والفارق هو ذبذبة الوترين الصوتيين، التي تميز الصوائت عن الهاء فيترتب عليه صوت الحفيف مختلطاً بذبذبة الوترين الصوتيين. هذا الصوت مهموس يجهر به في بعض الظروف اللغوية الخاصة، و في هذه الحالة يتحرك معها الوتران الصوتيان ، كما نسمع لهذه الهاء المجهورة نوع من الحفيف[٣].

إن هذا الصوت المهموس قد يجهر به في بعض الكلمات في لهجة سيدي بلعباس لاسيما إذا جاور صوتا مجهورا آخر ، وسمعت هذا في مناطق بدوية خارج المدينة أيضا، فيقولون مثلا:

(بّاهَا) في أَبَاهَا

(مّْها) في أُمّها

(كتابها)

(هاك) في خذ.

ومع ذلك نجدها أقل جهراً في قولهم (رزْقْها)، مع أنها جاورت صوتا فيه بعض القيمة التفخيمية " صوت القاف" ، لكن ربما يعود ذلك إلى الكسرة التي تحركت بها الراء

---

(١) ينظر ص ٣٢ من الفصل الأول.

(٢) " دراسة الصوت اللغوي "د أحمد مختار عمر، ط ٣ ، توزيع عالم الكتب، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م ، ص ٩٤.

(٣) الأصوات اللغوية د إبراهيم أنيس ٩٠

فمع أنها مختلسة وغير واضحة إلا أنها أثرت في قيمة الراء التفخيمية " للـــراء بعـــض القيمة التفخيمية كاللام تماما، هذه القيمة لا تحقق له مع حركة الكســـرة"، و هـــذا الأخير أثر في صوت القاف ، فلم يرد الصوتان بقيمتهما التفخيمية الموقعية مما أثـــر في صوت الهاء فكان هو الآخر مهموسا.

وتبدل الهاء من الهمزة، فكما ذكرنا أن بعضهم يحقق همزة فعل الأمر، فـــإن بعضهم يبدلوها هاءً فيقول: (هَرْواحْ) في أَرواحْ بمعنى تعال إلى هنا.

ومما لفت انتباهي (هَليكْ) بمعنى أنظر إلى ما يفعل، و أضن أن الهاء هنا مبدلـــة مـــن الهمزة و الأصل في الكلمة إليك، لأن المعنى واحد، فكأنه يقول لك: إليك ما يفعلـــه ذلك الإنسان.

وتحذف الهاء في بعض الكلمات مثل قولهم : (فاكيه) في فاكهة ، فأســـقطوا الهاء من الكلمة و أبدلوا تاء التأنيث بهاء السكت.

ومن ذلك أيضا قولهم (منَّا) إذا أشار إلى جهة معنية، و الكلمة قبل أن تحـذف هاءها كانت من هنا أي في هذا الاتجاه، فحذفت الهاء، و بعد ذلك التقـــت نونـــان إحداهما ساكنة (مِنْ) و أخرى متحركة (نَا)، فَأُدْغِمَ المثلان فأصبحت للكلمة صيغـــة جديدة (منَّا). ومثله أيضا قولهم (ساريج) ، و هو كذلك المكان الذي يجمع فيه المـــاء و تكون سعته كبيرة، و لعل الكلمة كانت عبارة عن صهريج، فأبدلت الصـــاد إلى نظيرها المهموس صوت السين بعد أن فُتِح و حذفت الهاء بعدها، ثم أشبعت حركـــة السين المفتوحة حتى أصبحت ألف المد، و صارت (ساريج)، و ربما أبدلت الهـــاء إلى حرف اللين.

كما أن الهاء تدغم في الصوت الذي يجاورها، فسمعتهم يقولون في:

(يكرهّا) في يكرهها

(جرحّا) في جرحها.

(باحّا) في باعها (حيث أبدلت العين حاءً، ثم أدغمت في الهاء)

(كَـلعّا) في قلعها

(نتاحّا) في نتاعها أي ملكها.

(صوالحّا) في صوالحها أي أغراضها و الأشياء التي تملكها، و نلاحظ تقريبا أن أصل الهاء في هذه الكلمات هاء الضمير. و التي جاورت صوتاً مجهورا لأن الهاء من الأصوات التي تصبح مجهورة في لهجة سيدي بلعباس تقريبا إذا جاورت أصواتاً مجهورة.

و هكذا نرى أن الهاء أصابها الكثير من التغير في عاميتنا، إما بحذفها أو إبدالها من الهمزة أو إدغامها

٣- الحاء:

الحاء صوت حلقي [١] احتكاكي (رخو) مهموس مرقق" تتألف بنيته حين يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة دون أن تتحرك الوترين الصوتيين و حين يصل إلى وسط الحلق يضيق المجرى ويكون معه نتوء لسان المزمار صوب الحائط الخلفي للحلق، ويرتفع الطبق، و يسد المجرى الأنفي ، فينتج هذا الصوت [٢].

هذا الصوت المهموس يكسب قيمة تفخيمية تقريباً مطلقاً، سواء جاور الأصوات المجهورة أو لم يجاورها ، فنجدهم يقولون مثلا:

(صْوَالَحْ) أي الأغراض بحاء مفخمة، و الحاء هنا جاورت صوتا مفخما الصاد، فأثر في الحاء، كذلك اللام المفتوحة مفخمة، مما جعلهم يعملون لسانهم في اتجاه واحد وهو إلى العلو ونستطيع أن نمثل هذه العملية بـ:

---

(١) ينظر ص ٣٨ من الفصل الأول

(٢) " الأصوات اللغوية " د عبد القادر عبد الجليل، ط١،دار الصفاء للنشر والتوزيع، ١٩٩٨، ص ١٨٢.

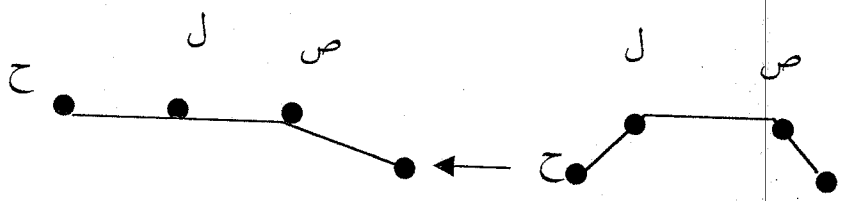

أي أنهم أعملوا لسانهم على مستوى واحد، و مثله أيضا قولهم:
(مصّلْحه) و يريدون بها المكنسة ، فخموها لأنها وليت صوتين مفخمين الصاد-اللام ذو القيمة التفخيمية. و يجهر إذا جاور صوت الباء المجهور فيقولون (حبوبه) و هي كلمة للذم، و يفخمونها أيضا في قولهم:(حبِيب)، فالحاء هنا جاورت صوتا مجهورا لكن مرققا خاصة أنه مكسور، لكنهم مع ذلك يفخمون الصوتين معاً و هذا التفخيم لمسته عند سكان المناطق البدوية الذين يقطنون في البلديات المجاورة للمدينة .
أيضا يفخمونه في قولهم (حُمّان) حيث جاورت أصوات غير مفخمة.
إن هذا التفخيم و الجهر من طبائعهم التي جبلوا عليها و اعتادوها، فلم نعد نسمع الترقيق في صوت الحاء (وهو أصله) إلا نادراً، كقولهم :(لْحَسْ) يسمع صوت الحاء من دون تفخيم، مع أنه جاور صوت اللام الذي يعد التفخيم من صفاته التشكيلية، لكن العلة هنا أن اللام بدوره ورد مرققا، لأنه سبق بكسرة غير واضحة، إلا بعد التدقيق، وتكرار السماع (اِلْحَسْ) .
و لم أسمع إبدال الحاء إلا من العين (كما سنرى مع صوت العين)، و ما عدا ذلك فقد تدغم في العين، و مع هاء الضمير، و قد يبدلونها من الهاء في قولهم:
(دحسته) في دهسته (أي صدمته)

٤- العين:

العين صوت حلقي [١] احتكاكي (رخو) مجهور مرقق" عند النطق بهذا الصوت تندفع كمية الهواء من الرئتين مرورا بالحنجرة حيث تتحرك معها الوترين الصوتيين، وحين يصل إلى وسط الحلق يضيق المجرى عند لسان المزمار، حيث نتوؤه إلى الخلف حتى ليكاد يلامس الحائط الخلفي للحلق، و في هذه الأثناء يرتفع الطبق سادا المجرى الأنفي، فيندفع مؤلفاً بنية هذا الصوت" [٢]

يفخم هذا الصوت في عامية سيدي بلعباس كنظيره الحاء، فيقولون مثلاً:

(كل صْبُعْ بصَنعه) أي كل إصبع بعمل مختلف.

(مِيلْعَه) و يقصدون بها اجتماع الناس للأكل في الولائم و الأعراس.

(ربعه) (العدد أربعة)، و قد فخمت هنا لمجاورتها هنا صوتا مفخما آخر هو صوت الراء المفتوح، بعكس المثال الأول أين فخم من غير علة ، فمع أنه وَلِيَ صوت اللام الذي يكتسب التفخيم في بعض المواقع إلا أنه ورد هنا مرققا بسبب الكسرة التي تسبقه. و مع ذلك نسمعهم يفخمون صوت العين، مع عدم وقوفهم على صوت اللام كما يجب، لأنهم لو وقفوا عليه كما ينبغي لرققوا العين حتماً. و قد يرققونه أحيانا إذا سبق بمد، كقولهم : (رْبَاعَه) بمعنى الجماعة أو الرفقة، لكن مع التدقيق في سماع هذه الكلمة لاحظت أنها مكسورة الراء، لكن هذه الكسرة غير واضحة، و هذا ربما ما منع تفخيم العين هنا، فالراء المرققة أثرت في الصوت الذي يليها، و هو الباء الذي كانت حركته مشبعة (ـَـا)، مما منع تفخيم صوت العين.

إذن فللعين حالات تفخم فيها و هي كثيرة جداً، و نادرا ما نسمعها مرققة

---

(١) ينظر ص ٣٣ من الفصل الأول.

(٢) الأصوات اللغوية د عبد القادر عبد الجليل ١٨١.

وهذا بمجاورة الكسرة، لكن سكان المدينة يرققون في بعض الكلمات التي فخم فيها البدو، و هذا راجع إلى تأثرهم بسكان الولايات المجاورة الذين يقطنون المدينة كأهل تلمسان الذين يرققون دوما، و تعتبر هذه السمة من أهم مميزات لهجتهم، و هذا بحكم التعامل اليومي معهم، و الاحتكاك بهم في الأمور المختلفة، لكنني لاحظت أن هذا التأثير صقل به نقط الجيل الجديد، أما كبار السن فلم يتأثروا بذلك مطلقا -و لهذا استقينا مادتنا منهم- .

والظاهر أن عامية سيدي بلعباس تحافظ على جهر العين و تفخمه، إلا أنني وجدتهم أبدلوا هذا الصوت إلى نظيره المهموس في بعض الكلمات كقولهم:

(بحض) في بعض

(الحسل) في العسل

(تْنَحَشْ) في نتعش (أي نم ، فإذا ضايق الأمّ وليدُها قالت له (تنحش) أي نم، و هي كلمة مشتقة من النعش، أي المكان الذي يوضع فيه الميت كي ينقل إلى المقبرة، فكأن الأم ترى في مرقد طفلها نعشاً، و كأنها عندما تقول : (تنحش)، إنما تقول له : مت في هذا المكان، و هي لا تقصد من ذلك إلا نم، فالنوم واهدأ ، فالنوم كالموت إلا أننا في النوم نستيقظ، و في الموت لا).

(يفحس) في يفعس ، و أصل هذه الكلمة يعفس بالعين كما أنهم قاموا بقلب مكاني في هذه الكلمة (يفحس – يحفس)، ثم أبدلوا العين حاءً من أجل المماثلة الصوتية، لأن العين بعد أن قلبوها مكان الفاء جاورت السين مباشرة ، والسين صوت مهموس فأبدلوا العين صوتا من مخرجها و يماثل السين في صفتها، وهو صوت الحاء فقالوا: (يَفحس)، و مع أنهم تعودوا على الجهر و التفخيم غالبا في كلامهم إلا أنهم جنحوا إلى العكس في مثل هذه الكلمات ، لكنها قليلة نادرة.

كذلك نجدهم أبدلوا العين حاء إذا وليها ضمير الهاء، و لعل هذا الإبدال من باب الإدغام، فالإدغام لا يكون إلا بين المتجانسين و المتماثلين، و هما متجانسان لأنهما من مخرجين متقاربين إلا أنهما غير متماثلين، فأبدلوا العين صوتا يجانسه في المخرج ويماثل الهاء في الصفات، فكانا هذا الصوت هو الحاء، فقالوا في:

(نتاحّا) في نتاعها بمعنى ملكها.

(باحّا) في باعها.

(وسحّا) في وسعها (فيقولون مثلا:(يا رب وسحّا عليَّ)، أي وسعها علي في الدنيا ، و (وسحّا)عليه ، و (وسحّا) عليهم...).

(صبُحّا) في إصبعها

إن صوت العين يدغم في كل الكلمات الأخرى إذا اتصل بضمير الهاء، بعد أن يبدل إلى صوت الحاء.

و مما سمعته أيضا إبدالهم العين إلى الدال في كلمة واحدة هي:

(ارفد) في ارفع بمعنى الرفع إلى الأعلى، مع أنه لا علاقة بين الدال و العين في المخرج وإن التقيا في بعض الصفات إلا أن هذا الإبدال حدث مطلقا في هذه الكلمة، فلم أسمع هذه الكلمة إلا بالدال في كل مناطق سيدي بلعباس (المدينة و البلديات المجاورة لها).

ومن مثل هذا الإبدال قول بعضهم:

(كاعط) في (كاغط).

أما معنى هذه الكلمة هو ورقة ، و ربما سموها بـ(كاغط) لأننا حين تمزيقها نسمع لها صوتا ممزوجا بين الغين و الطاء، فلقبت بذلك، لكن منهم من يبدل الغين عيناً مطلقا في الكلمة فلا يستطيعوا أن يقول إلا (كواعط ، كواعطي ، الكواعط) لكن

الإبدال هنا مقبول، فالعين و الغين صوتان متماثلان في كثير من الصفات، ومخرجهما متقارب.

هذه هي أهم الظواهر التي تعتري صوت العين في عامية سيدي بلعباس.

٢- أصوات الفم:

١- الأصوات اللهوية (القاف):

القاف واحدة من الأصوات التي أصابها التطور، فبعد أن كان صوتا مجهورا[١]، أصبح اليوم صوتاً مهموساً، و فوق ذلك فهو صوت لهوي، شديد (انفجاري)، شبه مفخم يتشكل هذا الصوت بارتفاع أقصى اللسان حتى نقطة التقائه بأدنى الحلق واللهاة. ثم يرفع مؤخر الطبق حتى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق حيث يسد المجرى الأنفي. يحدث هذا دون تذبذب للوترين الصوتيين ثم يطلق سراح الهواء محدثا انفجاراً مسموعاً هو القاف[٢].

يعد هذا الصوت شبه مفخم Semi. Emphasis [٢] ، و هو فعلاً كذلك في لهجة سيدي بلعباس، و تفخيمه مطلق دوما إلا في كلمات قليلة جداً، كقولهم:

(قليل) في قليل (بمعناها المعروف)

و أغلب الظن هنا أنهم لم يفخموا القاف، لأن المقام أو المعنى لا يحتاجه، فالمعنى يدل على القلة و الندرة، ففضلوا صوت القاف مع هذا المفهوم (أي القلة)، كما فعلوا مع (قَفْلَهْ) في الزّر، الذي يوضع للثوب حتى يقفل و يكون مظهره ملائما. فمع أن هذه اللهجة تميل إلى تفخيم هذا الصوت بالذات دوماً، إلا أنهم لم يفخموا هنا لأن شكل الزّر دائرة صغيرة جداً، و لما استقلوها لم يفخموها لحجمها.

---

(١) ينظر ص ٤٢ من الفصل الأول .

(٢) ينظر الأصوات اللغوية در عبد القادر عبد الجليل ١٧٩.

إن تفخيمهم لصوت القاف لم يتوقف عند هذا الحد بل أنهم يفخمونه إلى حد إبداله صوتاً آخر أكثر جهراً ، هذا الصوت هو الگاف، فإن السامع في لهجة سيدي بلعباس (المدينة و البلديات المجاورة لها) يلمس بوضوح هذا الصوت لأنه عام تقريبا في قاف تنطق بها، هذا إن دل على شيء، فإنما يدل على طباعهم البدوية الخشنة فتجدهم و تسمعهم يقولون:

(الگمر) في القمر مع أن شكل القمر يبدو لناظره صغيراً، فتعامل الكلمة معاملة (القفله) فترقق قافه إلا أننا نلمس العكس.

(الگمح) في القمح

(گلع) في قلع

(ارگد) في ارقد (أي نم)

(اگعد) في اقعد (أي إجلس)

(گصعه) في قصعة.

(گال) في قال

(نگز) في نقز (بمعنى قفز)

(گدام) في قدام (أي أمام)

(گدره) في القدر (من الأواني التي يطبخ فيها)

(گدها) في القد (بمعنى تلائم قدها تماما)

(الگشبه) ، (الگشره) في القشرة التي تصيب شعر الرأس.

(البرگ) في البرق

(رشگ) في رشق (يقولون (رشگت ليبره) ، إذا رشقوها في الثوب أي ألصقوها به و تركها من دون نزعها).

(ركَب) في راقب (في الفصحى يقولون: راقبتك بعيني: إذا رأيتك ثم تتبعنك بعيني إلا أبعد حد).

(عنكَ) في عنق

(فكَع) في فجع (فيقولون: فكَعني، إذا فجعني، فأخبرني بكلام أقلقني، و عكر مزاجي. إما أن يكون هذا الكلام ثابتا وصحيحا ، و إما أن يكون من باب المزاح، وبعد أن يضطرب ذلك الشخص، يخبره الذي حمل النبأ بعدم صحة كلامه فيقول له(افكَعتني) ، ونلاحظ أن الكَاف هنا إما تفخيم لقاف و تصبح الكلمة بالتالي (فقع)، وإما أن أصل الكلمة فجع، ثم أبدلت الجيم قافا و بعد ذلك فخمت حتى صارت كَافاً، و غالب الظن أن القاف مبدلة من الجيم، ففجع هي التي تناسب المعنى المراد لأننا وجدنا في القاموس:

فَجَعَ – فُجِعَ " ألَّم به مصاب"

فَقَعَ – فَقُعَ لونه إذا صفا، و فقع فلان : مات من شدة الحر [1].

إذن الاختلاف بين المعنيين، يقودنا حتماً إلى أن أصل الكلمة فجع، و بالتالي نقول: إما أن سكان المنطقة حافظوا على صفة الجيم السامية في هذه الكلمة.

وإما أن الجيم أبدلت إلى قاف، و بعد ذلك فخمت. واختاروا صوت القاف قبل أن يفخموه، لأنه صوت انفجاري و هو أقوى تعبيرا وإبلاغا من صوت الجيم لهول المصيبة.

و يقولون أيضا : (تبزكَ) في تمزق

(كَاع) في قاع (يقولون: (كَاع البير)، إذا أرادوا قاع البئر وعمقه.

---

[1] لسان العرب مادتي (فجع) فقع.

(صاكَـــ) في ساق

(كَشطته) في كشطته (إذا صلّحت هيأتـــه و مظهره فنزعت عنـــه ما لا يلائمه، و الأصل في هذه الكلمة، كشط، لكن المعنى نفسه، فأبدلت القاف من الكاف قبلا ثم فخمت جداً فصارت كَافاً)

(دكَّ) في دقَّ

(بكَره) في بقرة

(طرطكَ) في طرطق أي انفجر

(فكَاع) في فقاع و يقصدون تلك الكرات الهوائية التي تسبح في الفضاء، ثم إنهم يطلقون هذا الاسم على ذلك النبات الذي ينمو في الطبيعة تلقائيـــاً، من دون عناية ولا غرس و المعروف بالفطر(Chompinion) ، ربما استعاروا له هـــذه التسمية لشكله الدائري الذي يشبه الفقاعات.

(الكَربه) في القربة

والظاهر أنه لو حاولنا حصر هذه الكلمات لن نستطيع، لأن إبدال القاف كَافاً كثـــير في لهجة سيدي بلعباس، وذلك لملاءمته سكان المنطقة التي تتميز بالجفاف، والخشونة. وأثناء تتبعي لهذه الكلمات وجدت أن واحدة منها تنطق مرة بالكَاف و مرة بالقاف، وقد ربطت ذلك بالمعنى ، حيث يقولون:

(كَـــليت) الزرع ، الفرينة، الذرى...

قليت الحوت ، اللحم ، البيض...

ويبدو أنهم خصوا الأولى للحبوب الجافة كما رأينا، بحكم أنها تحتاج إلى جـــهد لأن فيها دق لصلابتها فيعطي صوت مسموعا كما أنها تستغرق وقتا أطـــول لتنضـــج، فاختاروا لها صوتا قاسيا يناسبها هو الكَاف .أما الثانية فإنها أقل صلابة من الحبـــوب،

تنضج بسرعة، لهذا لم يحتاجوا إلى صوت أكثر قوة من القاف فتركوه على حاله.

وكما أبدلوا صوت الكَاف من الكاف في (كُشك و كشك)، فإنهم أبدلوا في بعض الكلمات الكاف من القاف كقولهم :

(نكتلك) في نقتلك حيث أبدلوا الكاف من القاف، و هذا إبـــدال مطلق في هذه الكلمة، فلم أسمع هـــذه الكلمـــة إلا بالكـــاف (كْتلَـــهْ، نكتلـــك، كتلوه...)، و مثل هذا الإبدال أيضا قولهم:

(كدّيد) في قدّيد

(كشور) في قشور

(كفا) في قفا.

(ارْكْصِي) في ارقصي (أما الكاف هنا فإنها تسمع كافاً في هـــذه الصيغة فقط، و في غيرها تسمع كَافاً (رَكَصَتْ).

و مثله في كلمة (كَاع) (بمعنى الكل)، فقد سمعت بعضـــهم – و هـــم كثـــيرون – ينطقون (كاع) بكاف خالصة، و هو إبدال ممكن وقوعه بحكـــم صَلَـــة الكـــاف والكاف، فهما من مخرج واحد والفرق بينمهما في الجهر والهمس، لذا يمكن إبـــدال أحدهما من الآخر.

إذن رأينا كيف تطور صوت القاف إلى صوت مفخم جدا (كَاف) في لهجـــة سيدي بلعباس، و هذا دليل على طباعهم البدوي الخالص الذي يتمـــيز بالخشـــونة وعدم الانصياع للآخر.

٢ -الخاء:

الخاء صوت طبقي، رخو، مهموس، شبه مفخم، يشترك والغـــين في مخـــرج واحد. و فيه يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة دون أن يحرك الوترين الصوتيـــين،

ثم يجري جهة الحلق، إلى أن يصل الطبق ثم يمر الهواء محتكا بينه وبين أقصى اللسان[١].

وأول ما يلاحظ على هذا الصوت، بقاؤه سالماً من الانحراف في لهجة سيدي بلعباس، فهو صوت مهموس إذا جاور أصواتاً مهموسة مثل:

(خميس) يوم الخميس حيث يسمع صوتاً مهموساً.

(خروف)، لكن أهل البادية يفخمون الخاء هنا لأنهم يفخمون صوت الراء أيضاً، فيعاملون هذا الصوت المهموس معاملتهم لصوت الراء .

و مثل ذلك تفخيمهم للخاء في كلمة (خرشف)، كذلك في قولهم (خَصْلَهْ)، فتأتي كل الأصوات مفخمة هنا، و قد أعملوا لسانهم على مستوى واحد بدل أن ينتقلوا من الأسفل إلى الأعلى، لأن صفة صوت الصاد التفخيم مطلقا، و اللام هنا وردت مفتوحة، إذن هي مفخمة، ولما كان صوت الخاء في بداية الكلمة ، و هو صوت مهموس، كرهوا الانتقال من الأسفل إلى الأعلى، ففخموا الخاء أيضا، و معنى قولهم (خَصْلَه) أي صفة حميدة (دير خصله أي تحلى بصفة حميدة)، و هكذا فالخاء من الأصوات التي حافظت على صفاتها و مخرجها إلا إذا اضطرت إلى غير ذلك داخل بعض الكلمات، كتفخيمها وترقيقها، مع أن التفخيم هو الغالب، فهي صوت شبه مفخم، و في لهجة سيدي بلعباس نجد هذه الصفة هي الغالبة عليه -كما رأينا- أما ترقيقه فنادر مثلا قولنا : (خْدِيجَه) في خَديجة

فالخاء في هذا الاسم وردت مرققة، لأنها ساكنة وقد جاء الصوت الذي يليها مرققاً بسبب انشغاله بحركة الكسرة حتى لا ينتقلون من الأعلى إلى الأسفل عملوا في اتجاه واحد.

---

[١] ينظر الأصوات اللغوية د عبد القادر عبد الجليل ١٧٩.

و لم أسمع إبدال الخاء من صوت آخر، لكنني سمعت إبدالها من صوت الغين كما سنرى، و عدا ذلك إبدالها إلى هاء فقط في كلمة (هْمْدَتْ) بمعنى خمدت.

٣ – الغين:

الغين صوت طبقي [١]أي (حنكي قصي) احتكاكي (رخو) مجهور شبه مفخم، يتكون حين يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة فيتحرك الوترين الصوتين، ثم يتخذ مساره إلى الحلق حتى منطقة أدنى الحلق إلى الفم، فيرتفع أقصى اللسان، حتى يقترب من أقصى الحنك، و في نقطة الالتقاء يسمح للهواء بالمرور ليحدث احتكاكا مسموعا. فهو يمثل النظير المجهور لصوت الخاء[٢]

حافظ هذا الصوت أيضا على بعض صفاته، و عومل كالأصوات الأخرى يرقق في مواضع الترقيق، و يفخم في مواضع تستدعى تفخيمه ، لكن تفخيمه هو الأكثر انتشاراً في لهجة سيدي بلعباس، فقد يضطرون إلى إبدال الصوت المجاور له كنتيجة لمبالغتهم في تفخيمه كقولهم مثلا (غلم) في غنم .

فإن السامع لهذه الكلمة يلاحظ مدى مبالغتهم في تفخيم الغين ، حتى اضطروا إلى إبدال النون إلى صوت آخر هو اللام، هذا الصوت أيضا له قيمة تفخيمية في سياق معين فاختاروه لملاءمته ذلك.

و من مظاهر إبدال هذا الصوت، جعله مكان نظيره المهموس الخاء فقالوا : (يخسل) في يغسل، فاختاروا لصوت السين المهموس صوتاً يشبهه في هذه الصفة، ويكون من مخرج الغين ، فوجدوا صوت الخاء، حتى يعمل لسانهم – أي تكون حركته– في اتجاه واحد .

كذلك إذا جاورت صوت الهاء، (هاء الضمير) فإنك تسمعها خاءً

---

(١) ينظر ص من الفصل الأول.

(٢) الأصوات اللغوية د عبد القادر عبد الجليل ١٧٨-١٧٩.

كقولهم: (فرخّا) أي فرّغها، في قولهم: أفرغها من حمولتها.

هذه أهم المظاهر التي تلحق صوت الغين في لهجة سيدي بلعباس، من تفخيم، وإبدال تجيزه الدراسات الصوتية.

٤- الكاف:

الكاف صوت طبقي [١] (حنكي قصي) انفجاري، (شديد)، مهموس مرقق، لإحداثه يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين، ثم يسلك طريقه إلى الحلق والتجويف الفمي إلى نقطة اتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى (الطبق اللين)، حيث لا يمنح الهواء مجالا للمرور. و حين تأتي لحظة إصدار الصوت ينفصل العضوان انفصالا مفاجئاً، يتم معها اكتساب الصوت الانفجارية[٢].

هذا الصوت لم يصبه التطور أيضاً و التغير في عامية سيدي بلعباس بخلاف ما أصابه مثلا في لهجة مسيردة و الغزوات أين يصبح عبارة عن صوت عبارة مركب من تاء و شين، فيقولون مثلا: (تشلب) في كلب، (نتشبر) في نكبر.

و مما سمعته أيضا قولهم : (تشان بيط و فكص) أي كان بيضاً ثم فقّس، حتى أنه يمكننا القول أن كل كاف تقريباً في لهجة مسيردة أصبحت صوتاً مزدوجاً.

أما في لهجة سيدي بلعباس فلم أسمع إلا إبدالها من القاف(كْفَا في قفا ، كْتل في قتل ...) أو إبدالها من الجيم في كلمة واحدة في قولهم : (يكر) في يجر، و ربما أخذت الكلمة كما هي من لهجة مشرية ، لأنها غير شائعة عندهم، فقد سمعتها من باب المصادفة على لسان سكان المنطقة الأصليين، و ليس من سكان مشرية المقيمين في ولاية سيدي بلعباس. أضف إلى هذا الإبدال جهرهم بهذا الصوت في الكثير من الكلمات كقولهم:

---

(١) ينظر ص ٤٣ من الفصل الأول.

(٢) الأصوات اللغوية د عبد القادر عبد الجليل ١٧٨.

(نْكْرَهّا) في نكرهها (جهروا الكاف و فخموها، و أدغموا الهاء الأولى في الهاء الثانية، و لتفخيمها في هذه الحالة ما يسوغه حيث جاورت صوتاً مفخماً، و هو صوت الراء المفتوح).

(الكرمه) أي شجرة التين.

(الكرافص) أي الكرافس (نوع من النبات يستعمل في الطبخ)

(كراع) بتفخيم الكاف والعين، لأن الراء جاءت مفتوحة ومفخمة، فلو كانت الراء مكسورة لمنعوا أو لتعذر عليهم تفخيم الكاف، كما لم يستطيعوا في قولهم:

(كريه) في الكراء ، فحركة الكاف هنا الكسرة، و مع أنها غير مسموعة مباشرة إلا أن المتمعن في هذه الكلمة يحس بهذه الكسرة المختلسة، و التي منعت تفخيم الكاف.

إذن فالكاف مرققة في مواضع تستدعي الترقيق، و مفخمة في مواضع تستلزم ذلك، وذلك تسهيلا للنطق و حتى يكون وضع ألسنتهم في اتجاه واحد. وهناك كلمة أخرى غير مقتبسة - ككلمة يكر في يجر- وإنما هي كلمة أصلية في لهجتهم، فيها إبدال الكاف من الجيم ، في قولهم :(يكرّع) في يتجرع أي يشرب الماء قليلا قليلا، فيقولون لشارب الماء إذا أخذ في إصدار أصوات معينة نتيجة شربه بطريقة غير منظمة :(برك ما تْكرع فلما) أي توقف عن تجرع الماء بهذه الطريقة، و شربه بهذا البطء، وكأنهم مترعجون من ذلك .

الأصوات الشجرية:

١ -الشين:

صوت غاري احتكاكي (رخو) مهموس مرقق. يتكون حيث يلتقي طرف اللسان بمؤخر اللثة و مقدم الحنك الأعلى ، حيث يندفع الهواء مارا بالحنجرة دون أن يحرك الوترين الصوتيين . و عند الالتقاء في نقطة المخرج يسمع هذا الصوت متفشياً، لأن درجة التضييق أقل منها عند إخراج صوت السين[١].

تتغير صفة هذا الصوت في لهجة سيدي بلعباس إلى الجهر مع بعض الكلمات كقولهم:

(خرشف) هو نبات يطهر ثم يأكل.

(تنحش) في تنعش (من النعش)، بشين مفخمة أيضا

(شدّي) أي امسكي ، كذلك بشين مفخمة، مع أن الصوت الذي يليها ورد مكسوراً لكنه لم يؤثر فيها، و كانت مفخمة.

(خشّاب) وردت بشين منبورة و (الخشاب هو مكان كثير الأعشاب، كان يختبأ فيه المجاهدون، و كان المكان الذي يخبؤون فيه المؤونة والأشياء التي بإمكانها أن تكون سندا للمجاهدين قبل أن يحملوها إليهم، لأن الأخشاب تكون كثيفة فلا يمكن رؤية ما تحتها كما أنها غليظة و مسننة أطرافها تؤذي من يدخل فيها مهرولا أو من دون انتباه.

والخشّاب في اللغة بائع الخشب ، وهو بهذا المفهوم في عاميتهم، مع العلم أن هذه الكلمة الآن لا تسمع إلا في روايات الشيوخ الكبار حول الاستعمار و المجاهدين و الكفاح و غير ذلك من الأمور التي عاشوها إبان الثورة التحريرية.

---

[١] ينظر الأصوات اللغوية د عبد القادر عبد الجليل ١٧٨.

كقولهم: (شكون) بتفخيم الشين إذ أرادوا الاستفسار عن هوية إنسان، و هي بمعنى من يكون؟ أو أي شيء يكون؟، حذف حرف الاستفهام (من؟) و بقيت كلمة يكون، و لما كرهوا البدء بصوت اللين أبدلوه صوتاً آخر من مخرجه، فلم يجدوا إلا الشين التي تناسبه في الصفات من دون الجيم.

(الكشور) أيضا تنطق بشين منبورة، و هي بمعنى القشور.

أيضاً جهرهم بصوت الشين وتفخيمهم له حتى إن جاء مكسورا في قولهم : (خشين) ، (شيره) (بمعنى فتاة)، وغيرها فإن الشين في الكلمتين نطقت مفخمة، من غير علة، لاسيما في الكلمة الثانية مع ورود صوت الراء المفخم فيما بعد لكن قبل وجدت الشين مكسورة و يليها صوت لين (الياء وهو عبارة عن كسرة طويلة)، ومع ذلك فخمت الشين هنا . كذلك في مثل قولهم: (سمش)، حيث حدث لهذه الكلمة قلب مكاني و أصلها شمس ، و مع أن هذه الكلمة بعد تغيرها بدأت بصوت مهموس إلا أنهم فخموا الشين *.

أما عن إبدالها فقد سمعت ذلك في كلمة واحدة هي الشجرة ، فهم ينطقونها: (السّجره)، فإبدال الشين سيناً، لكنهم مع ذلك في كل عامية المدينة يفخمون هذه السين حتى كأنك تسمعها قريبة من صوت الصاد، فالصاد هو النظير المفخم للسين، وقد تبدل تاءً في قولهم: (لتاي) في الشاي.

وتبدل من الجيم ، هذه الأخيرة التي تعطش في عاميتهم – كما سنرى ذلك – أما عن إدغامها،في غيرها، فلم أسمعه ، لكنني سمعت إدغام السين و اللام فيها ، كقولهم:

(منلبشّ) في ما (نلبسش) أي لا ألبس (حيث أبدلت السين

* هذه الكلمة سامية وأصلها شِمِشْ كما هي في العبرية وغيرها من اللغات السامية، إلا أنها في العربية عن طريق المخالفة أبدلت الشين الثانية سيناً للمخالفة بين المثلين، وفي لهجة سيدي بلعباس تبدل الشين الأولى سيناً.

شيناً، فالتقى المثلان وحدث الإدغام).

(منكش) في (ما نكلش) أي ما آكل شيئاً (حيث أبدلوا اللام شيناً لما استطال مخرجه لما فيه من التفشي حتى لامس مخرج اللام ولهذا أدغمت اللام في الشين لقرب المخرج، والاشتراك في بعض الصفات كالانفتاح والاستفال والترقيق).

ومقابل من يدغم اللام في الشين في هذه الكلمة ، نجد بعضهم الآخر يفك هذا الإدغام ، وهكذا هي أهم الخصائص الصوتية للشين في لهجة سيدي بلعباس ، كما سمعته من الناطقين بها.

٢ -الجيم:

الجيم صوت غاري (وسط الحنك) مركب (انفجاري – احتكاكي)مجهور مرقق، يتكون هذا الصوت بأن يندفع الهواء إلى الحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مساره عبر الحلق و التجويف الفمي حتى يصل إلى نقطة الإنتاج (المخرج) وهي التقاء وسط اللسان بما يقابله من وسط الحنك الأعلى و معه ينحبس التيار الهوائي، و عند انفصال العضوين انفصالا متباطئا يولد هذا الصوت الانفجاري الاحتكاكي [1].

تنطق الجيم في عامية سيدي بلعباس معطشة أي كثيرة الرخاوة، ولدينا نوعان من التعطيش :

أولهما: تحولها إلى صوت مزدوج مركب من دال مغور وشين مجهورة ، و كأنك تسمعهم يقولون في :

(تشاج) في الدجاج (بشين مجهورة جدا حتى لا تكاد تميزها

[1] الأصوات اللغوية د عبد القادر عبد الجليل ١٧٦-١٧٧.

شيناً، فالتقى المثلان وحدث الإدغام).

(منكش) في (ما نكلش) أي ما آكل شيئاً (حيث أبدلوا اللام شيناً لما استطال مخرجه لما فيه من التفشي حتى لامس مخرج اللام ولهذا أدغمت اللام في الشين لقرب المخرج، والاشتراك في بعض الصفات كالانفتاح والاستفال والترقيق).

ومقابل من يدغم اللام في الشين في هذه الكلمة ، نجد بعضهم الآخر يفك هذا الإدغام ، وهكذا هي أهم الخصائص الصوتية للشين في لهجة سيدي بلعباس ، كما سمعته من الناطقين بها.

٢ -الجيم:

الجيم صوت غاري (وسط الحنك) مركب (انفجاري – احتكاكي)مجهور مرقق، يتكون هذا الصوت بأن يندفع الهواء إلى الحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مساره عبر الحلق و التجويف الفمي حتى يصل إلى نقطة الإنتاج (المخرج) وهي التقاء وسط اللسان بما يقابله من وسط الحنك الأعلى و معه ينحبس التيار الهوائي، و عند انفصال العضوين انفصالا متباطئا يولد هذا الصوت الانفجاري الاحتكاكي [1].

تنطق الجيم في عامية سيدي بلعباس معطشة أي كثيرة الرخاوة، ولدينا نوعان من التعطيش :

أولهما: تحولها إلى صوت مزدوج مركب من دال مغور وشين مجهورة ، و كأنك تسمعهم يقولون في :

(تشاج) في الدجاج (بشين مجهورة جدا حتى لا تكاد تميزها

[1] الأصوات اللغوية د عبد القادر عبد الجليل ١٧٦-١٧٧.

من الجيم. وقد نطقوا الجيم الأولى بتعطيش كبير، مما سمح بترك الثانية على حالها).

(تشيه) في دجيه (أي على قدّه تماما ، و هكذا سمعتها بعد دقة و تركيز، و سؤال متكرر لبعض الناطقين من إعادة هذه الكلمة).

(اشتمعوا) في اجتمعوا

ومما زادني معولا على نطق الجيم المعطشة (دال وشين) قولهم:

(شحا) في جحا (اسم علم لرجل خرافي له نوادر متعددة).

حيث لم أسمع هذه الكلمة إلا بهذا النطق، فلعل الجيم هنا، وكما نطقت دالاً و شيناً مهجورة جدا، بعد ذلك كرهوا أن يبدءوا بالدال فأسقط من هذه الكلمة من غير قصد، كنتيجة للسرعة في كلامهم . كما سقطت أصوات كثيرة أثناء الحديث لأن هدفهم إبلاغ معاني لا تحقيق النطق كقولهم : (نوض) في انهض، حيث سقط صوت الهاء ههنا من غير قصد، لكن اختصاراً للكلمة و تيسيراً للنطق. وبذلك سقط صوت الدال و بقي الشين، و صارت الكلمة (شحا) مطلقاً ، لكن هذه الشين وافقت الحاء في هذه الصيغة ، مما ثبت قانون السهولة الذي تجنح إليه كل العاميات.

أما ثنيهما صيرورتها إلى صوت مزدوج مركب من دال و جيم، و هذا واضح في بعض الكلمات الموجودة و المتداولة بيننا إلى اليوم، و الملاحظة على هذه الكلمات أن صوت الجيم فيها جاور صوتا مجهورا كقولهم : (ادْزَّاير) في الجزائر، فعند نطقهم لصوت الجيم المعطشة هنا التقى صوتان مجهوران أُبدل أحدهما من الآخر، جنوحا نحو التسهيل، ثم أدغم المثلان فهذا حل الكلمة كما نتصورها كالتالي:

جزائر دجزائر دزْزَائر دزّائر

وسقطت الهمزة من الكلمة، أيضا لصعوبة تحقيقها فأصبحت الكلمة كما هي في صورتها الأخيرة وهي متداولة في لهجتهم العامية.

وقولهم أيضا : (بزّاف) ، أصلها بالجُزَاف أي بالمبالغة، فقالوا : (نبغيك بـــزّاف)، أي أحبك كثيرا إلى حدّ قد يعتقد أنني أبالغ في حبك، فبعد نطقهم الجيم دالاً و جيمـــاً، التقت الأصوات فيما بينها، فأبدلت الجيم إلى زاي ثم أدغمت بعد ذلك، و التقـــت الباء و الدال، فسقط أحدهما و بقي الآخر (الباء).

بالجزاف ← بالدجزاف ← بالدزْزَاف ← بالزّاف ← بزّاف .

و هذه هي أهم مميزات صوت الجيم في عاميتهم، و التي يمكـــن ملاحظتـــها ولمسها ميدانيا، و إن تطلب ذلك تركيزا و دقة في السمع، و الإحصاء، كما حـــدث مع تحول نطقها في حالة (د- ش) : أما الآخر فهو واضح .

الأصوات اللثوية:

١- الراء:

يتكون هذا الصوت باندفاع الهواء من الرئتين مما يـــؤدي ذبذبـــة الوتريـــن الصوتيين ثم يشق الهواء طريقه إلى التجويف الفمي، حيث يصادف اللسان مسترخيا Relaxed فيضرب طرفه اللثة ضربات متكررة عدّها البعض مـــن ٢-٤ ذبذبـــات. وهذا معنى التكرير Trill في هذا الصوت.

فالراء صوت لغوي مكرر مائع مجهور مفخم و مرقـــق ويفخـــم في بعـــض السياقات الصوتية[١]. الراء من الأصوات التي لم يصيبها التطـــور و الاختـــلاف في عاميتهم، فهو صوت مفخم مع الفتحة : كقولهم :(رَب) في ربي ...، و مرقق إذا كان مكسوراً (رِيح) ...، لكن الملاحظ أن تفخيم الراء و ترقيقه، قد يكون ممـــيزا لبعض المعاني المختلفة كقولهم للبيت (الدّارْ)، و للذي قام بعمل فأنجزه و أتمه (دارْ). فـــ: دال، ألف، راء فونيمات واحدة لم تتغير و مع ذلك تغير المعنى ، فلـــو قمنـــا

[١] الأصوات اللغوية د/ عبد القادر عبد الجليل ١٧٥.

بالمقابلة الفونولوجية لهذا الصوت نجد:

دار / دار

ر(راء مرققة) / ر(راء مفخمة)

فونيم واحد لمعنيين مختلفين

أو فونين مختلفين لفونيم واحد (باعتبار الراء المرققة فون، والراء المفخمة فون أيضا).

و المقابلة مثلها نلمسها في كلمتي (بْرَدْ ، بْرْد) فتصبح العملية كالتالي:

بْرَد / بَرْد

رَ (مفخمة) / رْ (مرققة)

بمعنى برد الخشب أو غيره باستعمال المبرد

بمعنى برد من شدة البرد

إما أن نقول لدينا

فونان مختلفان(راء مفخمة، وأخرى مرققة) لفونيم واحد(الراء).

فونيم واحد (الراء) لمعنيين مختلفين

و مثله أيضا:

رَاب (إذ أوشك على السقوط)

رَاب (إذا تغير طعمه إلى طعم آخر ، راب الحليب أي تخثر)

رَاب / رَاب

ر (راء مرققة) / رَ (راء مفخمة)

فونيم واحد لمعنيين مختلفين.

أو فونان مختلفان لفونيم واحد.

و إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة. فهذا الصوت قادر على تمييز المعاني في بعض الكلمات -كما رأينا- و أظن أنه أكثر الأصوات الأخرى تميزا و تفرداً بهذه القيمة الفونولوجية.

أما عن إبداله فلم أسمع ذلك الآتي كلمة واحدة في نحو قولهم:

(نواشه) بدل نوارة أي الزهرة حيث أبدلوا الراء شيناً، فنلاحظ أنهم لجؤوا إلى

صوت يقارب الراء مخرجا.

و أما إبداله من صوت اللام فمن باب الإدغام – كما سنرى – .

٢– اللام:

اللام صوت لثوي جانبي مائع مجهور مرقق، ومفخم أحياناً، يتشكل هذا الصوت عن طريق اتصال طرق اللسان باللثة . ويحدث حين يندفع الهواء من الرئتين فالحنجرة حيث تهتز الوتران الصوتيان مرورا بالحلق و التجويف الفموي فيمر الهواء من أحد جانبي اللسان، لاتصال طرف اللسان باللثة و عدم سماحه للهواء بالمرور من وسط الفم.

فاللام مفخمة – Dark-l– و مرققة– Bright-l– و الأصل فيها الترقيق. و لا يجوز تفخيمه إلا بمجاورته أحد الأصوات المستعلية و لا سيما الصاد، الطاء، الظاء والضاد ساكناً كان أم مفتوحا، أو أن تكون اللام نفسها مفتوحة [1] .

حافظ هذا الصوت أيضا على هذه الخصائص في عاميتهم فنجده مفخما في قولهم : (لوطُو) و هي كلمة أجنبية أصلهاL ' automobile، و تنطق هكذا بلام مفخمة و السبب مجاورتها لصوت الطاء المفخم. فأبدلوا التاء (T) من الكلمة الفرنسية إلى صوت مجهور مفخم(ط)، و لم يتركوه تاءً مع التاء نع أن التاء موجودة أيضا في الألفبائية العربية، و هذا من باب تفخيم الكلام لا غير.

(لِطْرُ) و هي كلمة أجنبية أيضا نطقت بلام مفخمة، مع أنها مكسورة إلا أن حركة اللام لم تعقهم في نطقها مفخمةً و هي مجاورة لصوت الطاء، و أصل الكلمة litre ، و مثله نطقهم اللام مفخمة مع أنها مكسورة و في كلمة (ليموناد)، بدال مفخمة أيضا قريبة من الضاد .وترد مرققة كذلك في عامية سيدي بلعباس كقولهم:

---

[1] الأصوات اللغوية د/ عبد القادر عبد الجليل ١٧٤.

(ليبره) في الإبرة (أداة تستعمل للخياطة).

(لبلاد) في البلاد و يقصدون بذلك المكان الـــذي تكـــثر فيـــه المحلات التجارية ، أين يذهبون للتسويق، و قد رققت هنا للكسرة التي سبقتها.

(لمال) أي المال و تطلق هذه الكلمة في عاميتهم على الرجـــل الذي يملك الغنم و الأبقار و غيرها فيقولون : (عنده لمال) أي عنده هذه الحيوانـــات التي سبق ذكرها، لأنهم يربطونها بالعملية النقدية، فمتى أراد هذا الفلاح بيـــع هـــذه الحيوانات فإنه يصبح غنيا.

(كْمْلْتِ) ، (كَمْلْتْ) ... كلها تنطق بلام مرققة.

(سلاكّه) و هي المشط في عرف العباسيين، تنطق كذلك بلام مرققـــة، وهكذا بتراوح سكان المنطقة فيما بينهم بين تفخيم اللام و ترقيقها . أما عن إبدالها، فإنها تبدل من النون في كلمات كثيرة نتيجة لقرب المخرج أولا و لاشتراكها معـــها في الكثير من الصفات ثانيا ، و من أمثلة إبدالهم اللام من النون قولهم :

(غالم) في غانم (و يطلقونه اسما علم على أبنائهم ، و هو مشتق من الغنيمة أي المكسب ، و هو غانم أي كاسب و محظوظ، لكن هذه الكلمـــة أي اسم العلم هذا ، لا ينطق في عاميتهم إلا باللام.

(فنجال) في فنجان.

(سنسله) في سلسلة (إما التي توضع حول الرقبة كالعقد، أو تلك التي تخاط بها الملابس ليحكم أقفالها، فإنهم يبدلون اللام – هنـــا إلى نـــون و ليـــس العكس – الأول إلى نون و يتركون الثانية على حالها.

كذلك قولهم: (زنزله) في زلزلة.

كذلك شاع بينهم اسم بلعباس– و منه تسمية المدينة باسم الولي الصـــالح –

وأصل هذا الاسم : ابن عباس فأبدلوا النون هنا إلى لام ثم وصلوها بالاسم فصارت اليوم لا تنطق و لا تسمع غير هذه الكلمة بلعباس.

أما إبدالها إلى الراء فمن باب الإدغام و منه قولهم:

(دخّل روحك) فتصبح هكذا (دخّروحك)

(دخّل راسك) (دخرّاسك) بسين مفخمة كأنها صاد أي تدخل فيما لا يعنيه.

(ندير لك) (نديلك) أي أفعل لك كذا.

(دبّرلي) (دبّلّي) أي ساعدني في تدبير هذا الأمر، أو في اقتناء هذا الشيء.

(نجّرلي) (نجلّي) أي قم بتنجير هذا الشيء لي (قلم ، قطعة خشب ، خضر).

(عصّر لك) (عصلّك) يقولون: (عصلك الخل فللعينين) إذا ووجه هذا الإنسان من طرف آخرى ، حيث أسكته هذا الأخير بالحجة ، و الدليل القاطع ، حتى لم يستطيع الآخر الدفاع عن نفسه، ثم يخرج من هذه المواجهة مكسوراً مغلوبا.

والملاحظ ههنا أن الأمثلة كثيرة ، و لا يسع المقام لذكرها كاملةً غير أن الثابت لديهم هو إدغام كل راء جاورت اللام.

أما إبدالها لغير إدغام فقد سمعت ذلك في كلمة واحدة قولهم:

(ثرث لْخالي) و لعلهم يقصدون بذلك الثلث الخالي الذي لا يرجع منه أحد، و هو المثلث الأسود أو مثلث الموت، و ما زادني معولا على القول بهذا الإبدال أنهم يقولون هذه الكلمة للإنسان إذا كرهوا منه و اشمأزوا لوجوده معهم

فكأنهم يريدون الخلاص منه، فيقول : (روح لثرث الخالي)، أي اذهب أينما تريد حتى و لو كان مثلث الموت ، المهم أن لا ترجع.

هذه أهم مميزات صوت اللام في العامية العباسية من حيث تفخيمه ، ترقيقه ، إدغامه ، وإبداله وما إلى ذلك من الظواهر الصوتية التي تعتريه.

٣ -النون:

النون صوت لثوي أنفي مائع، متوسط بين الشدة و الرخاوة مجهور مرقق، يتكون حين يندفع الهواء من الرئتين مروراً بالحنجرة حيث تتذبذب الوترين الصوتيين معه، ثم يتخذ الهواء مساراه عبر الحلق، حيث يهبط أقصى الحنك اللين ليسد بهبوطه فتحة الفم ، مما يجعل الهواء يتسرب عبر المسرب الأنفي. و في صناعة هذا الصوت يعتمد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا مع اللثة [١]

حافظ هذا الصوت على مخرجه و صفاته و الكثير من خصائصه التشكيلية في لهجة سيدي بلعباس ، فهو صوت مجهور في أصله فكما قالوا :

(بنك) من (Banque) الكلمة الفرنسية و يعني المقعد الصغير الذي يجلس عليه ، أما الكرسي فيسمونه كرسياً، و إلى غير ذلك من الكلمات التي تحوي أصواتا مجهورة فيحافظ النون على جهره معها.

و في مقابل ذلك نجد النون إذا جاور صوتا مهموسا همس بها كقولهم:

(نيفك) في أنفك بنون مهموسة.

(نسيم) في النسيم

كذلك تفخم إذا جاورت صوتاً مفخماً كقولهم :(قنطان) أي قانط من القنوط، وهنا تتغير صفة النون بحكم المجاورة جنوحا نحو السهولة، فترقق في مواطن تلزمها

---

[١] الأصوات اللغوية د عبد القادر عبد الجليل ١٧٣-١٧٤.

الترقيق، و تهمس في مواضع تفرض عليها الهمس ، و هكذا.

أما إبدالها فإن تبدل من اللام ، و تبدل إلى لام(سنسلة في سلسلة – بلعباس في ابن عباس...) ثم إنها تبدل ميما إذا جاورت صوت الباء كقولهم:

(ممبعد) في من بعد و قصدهم فيما بعد.

(ممبكر) في من بكرأي منذ وقت مبكر.

(عمبر) في عنبر

(ممبر) في منبر

(جمب) في جنب و إذا قالوا بالجمع أعادوا النون (جنابي).

لكنهم لا يقولون: (عمب) في عنب بسبب مجاورتها لصوت العين الحلقي ، هذا الصوت منع إبدالها من غيرها لأنها تظهر معه مع أنها جاورت الباء ، إلا أن هذه مجاورة لم تحدث إبدالها ميما يسبب العين.

أما إدغامها ففي الراء كقولهم:

(وِرّاحْ) في (أين راح) ؟ أي أين ذهب؟ .

و في القاف كقولهم : (بقدّور) في ابن قدور (و هو اسم علم).

و مع الدال كقولهم : (مِدّارْ) أي من الدار ، و غير هذه الكلمات، أما قولهم: (مَلْهِيهْ) و يقصدون بها من هناك ، فلعل اللام هنا مبدلة من النون.

٤ -الضاد :

بعد أن كان الضاد الصوت الوحيد المطبق الذي لم يقابل بنظيركما هو في وصف النحاة واللغويين العرب القدامى[١] أصبح اليوم صوت الدال نظيره المرقق في عربيتنا الفصحى المعاصرة. فقد أصابه تغير في مخرجه وصفته فهو" صوت أسناني –

---

[١] ينظر ص ٥٣ من الفصل الأول

لثوي انفجاري (شديد) مجهور مفخم. و هو الصوت المناظر للطاء المهموسة المفخمة- كذلك لا فرق بين صوت الدال و الضاد سوى أن الدال صوت مرقق[1].

مر هذا الصوت بتغيرات كثيرة في النطق الفصيح و العامي وهو في لهجة سيدي بلعباس ظاء مرة ودال مرة أخرى، لكنه مفخم دوما في معظم الكلمات، فسكان المنطقة البدو يجنحون نحو نطقه مفخما- نطقه الحالي- أما سكان المدينة فإنهم أميل إلى نطقه بدال مفخمة.

أما تفخيمها فمثل قولهم : (ضو) في ضوء

(نوض) في انهض

(لرض) في الأرض

(ضرب) في ضرب

ثم إنهم يبدلون من الدال لأجل التفخيم كقولهم:

(ضُرْك) في (دروك) أي الآن

أما أهل المدينة فلا تكاد تسمع عندهم إلا صوت الدال فيقولون مثلا:

(دروك) بمعنى الآن.

(درب) في ضرب

(دو) في الضوء

(نود) في انهض

(لرد) في الأرض

(ديق) في ضيق (لباس ضيق أي غير واسع)

---

[1] الأصوات اللغوية د عبد القادر عبد الجليل ص ١٦٤.

(ديف و دياف) في ضيف و ضيوف.

(القاد) في القاضي

وهكذا تقريبا فلا تكاد تسمع عند سكان المدينة إلا الدال و عند أهل القرى المجاورة (عند كبار السن) إلا الضاد.

الأسنانية اللثوية:

١ - الصاد:

الصاد صوت أسناني لثوي احتكاكي (رخو) مهموس مفخم . و في بنائه يتخذ الهواء الخارج من الرئتين مجراه عبر الحنجرة حيث لا يهتز الوتران الصوتيان ومن ثم إلى الحلق والفم يصل إلى مقدم الفم فيقترب طرف اللسان من الأسنان العليا حيث لا يتوفر بينهما إلا منفذ ضيق جداً يمرر منه الهواء محدثا صوت الصاد. كما يرتفع مؤخر اللسان باتجاه الحنك الأعلى (الطبق) و رجوعه قليلا إلى الخلف [١]

حافظ هذا الصوت على تفخيمه في لهجة سيدي بلعباس (لهجة أصحاب المدينة ، و لهجة البدو) على السواء، فقالوا : (الصّهد) ، و قالوا : (الصابون) . . . وغيرها بصاد مفخمة ، و قد بلغ بهم الميل إلى تفخيم هذا الصوت أن فخموا السين بإبدالها صاداً نحو:

(صوك) في سوق

(راص) في رأس.

(الصخط) في السخط (أي سخط عليه بمعنى لعنه أو تذمر من تصرفات مشينة، صدرت منه ، و في اللغة :السخط ، الغضب و النقمة " أثار تصرفه سخط الجميع").

---

[١] ينظر الأصوات اللغوية د عبد القادر عبد الجليل ١٦٤.

(صاكْ) في ساق.

(الرصم) في الرسم (أبدلت السين صاد هنا لمجاورتها الراء المفتوحة ، و الراء متى فتحت و لم تسبق بكسرة كانت مفخمة).

(الصماصري) في السمسار (أي رجل التجارة الذي يبيع ويشتري من الناس في كل الأمور).

(صبَّاط) في السَّبت*) هذه الكلمة أي (الصبّاط) كلمة فصيحة ينكرونها علينا لكنها فصيحة عربية قديمة و أصلها : السبت أي النعل ، و ما ينعله الإنسان إذا خرج إلى العراء، و في عاميتهم أبدلت السين صادً ، والتاء طاءً لأنهم فخموا جميع أصوات الكلمة.

كذلك قالوا : (صُنط) من كلمة فرنسية. Centre

(الصطح) في السطح (سطح البيت).

(الصتير) في الستير (ألم يصيب الرجل. أو هو إحساس بالألم إذا تمشى كثيرا، و هو مستور، لا يرى لأنه داخل الرجل)، و منهم من يبالغ في تفخيم الصاد حتى يقول (صطير) فيبدل التاء طاءا.

(رْصى) في ترسّب.

و يقولون أيضا: (دهص) بدال مفخمة في دهس أي صدم يقولون : (دهصته سيارة)، أي اصطدمت به ، (برك متدهص) أي تمهل حتى لا تضطرب و تصطدم بكل شيئ، موجودا أمامك، و قد سمعت منهم و هم قلة من يقول في دهس – (دحس)، أي أنهم أبدلوا الهاء حاءً ، و كلامها جائز وقوعه، فالسين أخت الصاد في المخرج و في بعض الصفات، و الهاء أيضا أخت الحاء في قرب المخرج و الصفات.

* السبت بمعنى النعل (لسان العرب مادة " سبت").

ويمكن أن يحدث العكس، فتبدل الصاد سيناً و قد سمعت ذلك في كلمة واحدة هي قولهم : (رخيس) في رخيص ، كما تبدل إلى زاي كقولهم :

(رزين) في رصين (أي مهذب، و تصرفاته محكمة و دقيقة غير متسرع و لا متهور).

(الزّدر) في الصّدر

(القزدير) في القصدير.

(الفزدة) في الفصد أي تلقيح يقومون به للأطفال الصغار، فمن أجل المماثلة الصوتية أبدلت الصاد زايا لأنها مهموسة و قد جاورت صوتا مجهورا الراء في الأولى، و الدال و الآخرين، فأبدلت إلى صوت يماثل مجاوريها في الصفة ، ويماثلها في المخرج أو الصفة فكان صوت الزاي، و هذه هي أهم التغيرات التي تعتور صوت الصاد في عاميتهم اليوم.

٢ -السين:

السين صوت أسناني ، لثوي احتكاكي (رخو) مهموس مرقق، يتكون هذا الصوت بأن يندفع الهواء من الرئتين مرورا بالحنجرة دون أن يؤدي إلى تذبذب الوترين الصوتيين ثم يتخذ مساره عبر الحلق و الفم حتى يصل إلى نقطة يقرب فيها طرف اللسان نحو الأسنان العليا تاركا بينهما منفذا ضيقا يمر به الهواء محتكاً محدثا ما يشبه الصفير. و معه يرتفع أقصى الحنك كي يمنع مرور الهواء من الأنف[1]

هذا الصوت يفخم به في عامية سيدي بلعباس حيث يبدل إلى نظيره المفخم الصاد ، (صاك، صوك ...)كما رأينا ، كما أنهم يجهرون به فيحولوه إلى نظيره المجهور كقولهم : (زفيزف) و أصل الكلمة سفيزف، فجهروا السين و أبدلوها صوتا

---

[1] الأصوات اللغوية د عبد القادر عبد الجليل ١٦٤.

آخر يناسب الزاي في الجهر، و يلائم السين في المخرج و الصفات –بعضها- فكان صوت الزاي، و قالوا: (زكّيته) في سقيته.

و دائماً من قبيل التجانس الصوتي أبدلوا السين زايـاً في كلمـة سـفود و قـالوا: (زفّوت)، و كأنهم قاموا بعملية عكسية هنا، حيث جهروا بالأول، و همسوا الثـاني فتحول إلى نظيره المهموس التاء.

كذلك اختيارهم لكلمة زعتر من سعتر(لأن الكلمتين أصلان) و لعلـهم اختـاروا الأولى لجهرها و نصاعتها في السمع، و هذا من طبائع البدو المتأصلة فيهم، فكان هذا و غيره من الأمور الأولى يقودنا إلى حقيقة، واحدة هي بداوة سكان المدينة .

٣- الزاي:

صوت أسناني ، لثوي احتكاكي (رخو) مجهور مرقق، يتكون هذا الصـوت باندفاع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة حيث يتذبذب الوترين الصوتيين ثم يتخـذ مساره عبر الحلق و الفم حتى يصل إلى نقطة يقترب فيها طرف اللسان من الأسـنان العليا، و الزاي واحدة من عائلة الأصوات الأسلية أو الأصوات الصفيرية- Whistles Sibilants لقوة الاحتكاك و لضيق منفذ خروج الهواء معها [١]

وحافظ صوت الزاي على جهره في لهجتهم العامية، حيث أبدل من الصـاد هذا الصوت المفخم (زدر ، رزين...)، و من السين (زفـيزف ، زفـوت ...)، أضف إلى ذلك أنه صوت مرقق لكنه يفخم في كثير من الكلمات كقولهم:

(زَرْكَه) أي زرقاء اللون.

(زَرْبِيَه)

(تزدام) بزاي مفخمة ، و دال أيضا قريبة من الضاد و (التزدام) محفظة

---

[١] الأصوات اللغوية د عبد القادر عبد الجليل ١٦٣.

نقود، يوضع فيها المال).

(زنين) ، وهو ما يتساقط من شجرة الصنوبر، وكما يلاحظ أن تفخيمهم لصوت الزاي ليس له ما يسوغه، فلا يوجد أي صوت مفخم يجاورها حتى نقول أنه أثر فيها، لكنهم فخموا الزاي للمبالغة في جهرها، ولكن لو قمنا بعملية إحصائية لزاي المفخمة لوجدنا أنها مقارنة مع المرققة أقل نسبة، و من ترقيقهم صوت الزاي قولهم : (زرُوديه) في الجزر

(زنزله) في الزلزال

(زيتون)، (زكريا) اسم علم أسقطت همزته الأخيرة فأصل الاسم زكرياء ،(زرِيبه)، (زنقه) (أي الشارع) ...، و هكذا هي أهم خصائص صوت الزاي في عامية سيدي بلعباس.

٤- الطاء:

الطاء صوت أسناني[١]- لثوي انفجاري (شديد) مهموس مفخم (مطبق)، يتكون هذا الصوت حين يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة دون أن يتذبذب الوتران الصوتيان، ومع ارتفاع مؤخرة اللسان باتجاه الحنك الأقصى (الطبق) وتراجعه قليلا نحو الجدار الخلفي للحلق مع تقعر وسطه. أي يرتفع طرفه و أقصاه ويتقعر وسطه [٢]

حافظ هذا الصوت على تفخيمه في لهجتهم العامية فقالوا:

(طْبيب)، (طمبرو) هي تلك العربة التي يجرها حصان، أو حمار تحمل بالخضر ثم يمرون عبر الشوارع لبيعها.

(طريكَ) في طريق.

---

(١) ينظر ص ٦٠ من الفصل الأول.

(٢) الأصوات اللغوية د عبد القادر عبد الجليل ١٦١.

(طرولي) في الحافلة.

(مطرح) (نوع من الأفرشة)

(مطرك) (العصا)

(مصطره) في المسطرة

(طياره) في الطائرة.

(طزّينه) و هي مجموعة من الأشياء المتشابهة. عددها ١٢، و هي مقتبسة من الكلمة الفرنسية. Douzaine

(طوير) في الطائر.

(كرّاطه) و هي نوع معين من المشط صغير الحجم، ومنهم من يبدل كاف هذه الكلمة خاءً و يقول (خرّاطه)، و في الكلمتين تنطق الطاء مفخمة، و هكذا تتباع الكلمات التي تحوي صوت الطاء، و يحافظ فيها على تفخيمه. و قد بالغ سكان المنطقة في بعض الأصوات الأخرى فأبدلوها طاءً كقولهم:

(لميط) و هي كلمة أجنبية Le maitre ، فعند تعريبهم للكلمة و لما كان التفخيم من سماتهم أبدلوا التاء طاءً.

(طرجمان) في ترجمان حيث أبدلوا التاء طاءً أيضا.

(طور) في الثور أين أبدلوا الثاء طاءً.

(بطيمه) وهي كلمة أجنبية أيضا أبدلوا فيها التاء طاء و هي من Bâtiment .

(فرطّ) وأصلها فرطت فأبدلوا التاء طاءً و لما التقى المثلان أحدهما ساكن و الآخر متحرك أدغموا.

(طعرفي) في تعرفي أبدلوا التاء طاءً.

(كاطُو) في عاميتهم بطاء بدل التاء وهي كلمة فرنسية Gateau.

(طفّيه) في السؤال و أصل الكلمة أتطفئنه ؟.

حذفوا همزة الاستفهام ثم أبدلوا التاء طاءً و بعدها أدغموا المثلين، كذلك حذفوا الهمزة الوسطى (أي التي وردت في وسط الكلمة) فأصبحت الكلمة على هذا الشكل بعد هذه التغيرات التي تحدثنا عنها، أما الاستفهام فيستدل عليه بطريقة التنغيم، لأنهم يغيرون نغم الكلمة في هذه الصيغة فيهم منها السؤال. و قد سمعتهم في لهجة مسيردة يبدلون الطاء من الضاد كقولهم : (بيط)، و من الضاد أيضا كقولهم: (مريطه) في مريضة.

وهكذا فإن الطاء حافظ في لهجتهم على تفخيمه، كما أنهم أبدلوا الطاء من التاء و من الثاء كما رأينا و هو إبدال تسوغه الدراسات الصوتية الحديثة ، و فوق ذلك فقد سمعت إبدالهم الطاء قافا مغلظة في ساطع، فإن أهل بلعباس و ما جاورها لا ينطقون هذه الكلمة إلا بالقاف المغلظة أي الكَاف، فيقولون: (صكَعت الشمس) أي سطعت الشمس، (صكَعت في عيني) ، أي سطعت في عيني، و هكذا لا تسمع هذه الكلمة حسب تتبعي لها إلا بهذا النطق (صكَع).

كما أبدلوا الطاء تاءً في قولهم: (بتّيخ) وأصل الكلمة بطّيخ.

٥ - التاء:

التاء صوت أسناني لثوي انفجاري (شديد) مهموس مرقق، يتكون هذا الصوت حين يتصل طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، حيث يأخذا الهواء مجراه من الرئتين عبر الحنجرة دون أن يتذبذب الوترين الصوتيين، فيحبس عند نقطة التقاء

طرف اللسان بأصول الثنايا العليا وحين يتم الانفصال المفاجئ يسمع هذا الصوت [1]

هذا الصوت حافظ على مخرجه في عاميتهم، و على همسه و ترقيقه، لكنه لم يسلم من تفخيمهم له كقولهم مثلا:

(التراويح) فالسامع لهذه الكلمة في لهجة سيدي بلعباس على ألسنة الكبار يحكم بأنها شبه مفخمة لمجاورتها الراء، فتسمع كأنها طاء.

(تصلي) بتاء مفخمة و لعل السبب هنا مجاورتها لصوت الصاد المفخم.

(التصاوير) في الصور.

كما أنهم أبدلوها طاءً كما رأينا (طفيه؟ ، الميط ...)، ثم إنهم أبدلوا تاء التأنيث المربوطة في آخر الأسماء هاءً مطلقاً فلا تسمع في كلامهم تاء التأنيث في الحديث العادي أبدا و مثل ذلك قولهم:

(حماره)	في حمارة
(حجره)	في حجرة
(بكَره)	في بقرة
(كَفه)	في قفة
(كَصعه)	في قصعة...

و هكذا كل الكلمات الأخرى التي تنتهي بتاء التأنيث وقفوا عليها بهاء السكت ، كما أبدلوا التاء من الفاء في قولهم:

(شتّ) و أصل الكلمة شفت، حيث لأبدلوا الفاء تاءً، و لما التقى المثلان أدغموا.

و مما نلاحظه أيضا في عاميتهم خاصة عند سكان المدينة جنوحهم نحو صوت

---

[1] الأصوات اللغوية د عبد القادر عبد الجليل ١٦١.

التاء في الكلمات التي تحتوي أصلا على ثاء ، أي بعبارة أخرى إبـــدال الثـــاء تـــاءً كقولهم:

(تلج) في ثلج

(تريد) في ثريد.

(التوم) في الثوم .

و هكذا فإنهم يجنحون إلى الصوت الأقل جهدا في النطق، فبحثوا عنه ليـوازي صوت الثاء في مخرجه و صفاته فوجدوا التاء، إلا أن البدو لا يزالون يحافظون علـى نطق الثاء و تحقيقه في كلامهم.

ومما لفت انتباهي أيضا قولهم : (مفتّه) في مفككة للدلالة على التعب، إما أنهم أبدلوا التاء من كاف مفككة، وإما أن أصل الكلمة الفتات وهو ما تكسر من الشيء وتساقط، فشبهوا حالتهم بالفتات.

٦ - الدال

الدال صوت أسناني لثوي انفجاري (شديد) مجهور مرقـــق، يتشـــكل هـــذا الصوت عن طريق التصاق مقدمة اللسان باللثة والأسنان العليا. حيث يندفع الهـــواء من الرئتين مرورا بالحنجرة فيتهتز الوترين الصوتيين ، ثم يسلك طريقـــه في الحلـــق و الفم ثم ينحبس برهة لينفجر فجأة، بعد انفصال اللسان عن أصول الثنايـــا العليـــا ليكون هيأة الصوت [1] .

هذا الصوت لم يصيبه التطور كثيرا في لهجة سيدي بلعباس إلا عندما يفخـــم، فيبدل إلى ضاد كقولهم: (ضروك) في دورك أي الآن، و لعل أصل الكلمة دورك الآن وحدث قلب مكاني في الكلمة ثم خصص معناها للوقت، فيقولون: (ســـآتي معـــك

---

(1) الأصوات اللغوية د عبد القادر عبد الجليل ١٦٠-١٦١.

ضروك) أي سآتي معك الآن ، و بهذا تكون الضاد بدلا من الدال. كما يبدل من الضاد في لهجة سكان المدينة كقولهم:(دو) في ضوء، (درب) في ضرب...

ثم إن سكان المدينة يجنحون في كلامهم إلى السهولة و من أجل ذلك فإنهم لا يحققون إلا صوت الدال في كلامهم من دون الذال أي أنهم يبدلون الدال من الذال في مثل قولهم:

(دبانه) في ذبابة

(دبيحه) في الذبيحة

(الدهب) في الذهب...

و هكذا فإنهم يبدلون الدال من الذال إلا نادرا أي سكان البادية فإنهم يحققون الذال في نطقهم إلا قليلا كقولهم مثلا: (مدره) في مذراة، (كنفود) في قنفوذ...

كما يبدل الدال من التاء في بعض الكلمات كقولهم :

(دْجي) أتجيء؟ حيث حذفوا همزة الاستفهام الأولى و الهمزة الأخيرة، ثم أبدلوا التاء دالا حتى يكون عمل اللسان على جهة واحدة فالجيم صوت مجهور، و التاء صوت مهموس، و لكي لا ينتقل اللسان من الأعلى إلى أسفل فأبدلوا التاء صوتاً يوافقها مخرجاً و صفةً و يناسب الجيم في صفة الجهر، و هو صوت الدال المجهور.

كذلك : (فدكْ) في فتق الثوب إذا تمزق . فأبدلت التاء دالا، و غلظت القاف فصارت كافاً.

ويحدث العكس فتبدل الدال تاءً كقولهم: (زغرتّي) في زغردي (وقالوا الزغراتات في الزغرادات) حيث أبدلوا الدال تاءً.

كذلك أبدلوا دال الكلمة الفرنسية Limonade إلى تاء فقالوا: (ليمونات)، و كأنها

جمع كلمة عربية ليمونة، و لعلهم رأوا في هذا السائل شبها بينه و بين عصير الليمون، و هذه هي أهم أحوال الدال في عامية سيدي بلعباس.

الأصوات الأسنانية:

١ -الظاء:

صوت أسناني لثوي احتكاكي (رخو) مجهور، مفخم، لتشكيل هذا الصوت يوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا العليا و السفلى، و تندفع كمية الهواء من الرئتين مرورا بالحنجرة حيث يهتز الوترين الصوتيين وترتفع مؤخرة اللسان باتجاه منطقة أقصى الحنك (الطبق) و يرجع قليلا إلى الخلف مع تقعر وسطه. مما يؤدي إلى تفخمه[١] .

حافظ صوت الظاء على تفخيمه في عامية سيدي بلعباس، حتى في حالة إبداله دالا أو ذالا. فقد نطق مبدل منه مفخما.

أما إبداله إلى دال مفخمة فنحو قولهم:

(دهر) في الظهر

(دفر) في ظفر ، و بعضهم ينطق الظاء كأنها ذال فلا تستطيع أن تجزم أن الظاء أبدلت ذالاً.

(دلمه) في الظلمة من الظلام.

أما أهل المناطق المجاورة و الشيوخ الكبار في المدينة فإنهم يبقون على صوت الظاء لكن في بعض الأحيان ينطقوه كذال فيقولون:

(ذفر) في ظفر.

---

[١] الأصوات اللغوية د عبد القادر عبد الجليل ١٦٠.

(ذلمه) في ظلمه.

(ذليت) في ظليت من ظلّ.

و يعود ارتيابي في ذلك إلى نطقهم هذا الصوت مفخما فهو ظاء و مرة ومرة يرققونه لكنهم لا يبدلوه إلى نظيره المرقق محققين الذال ، لأنه يبقى مفخماً نوعا ما و مع ذلك فمرة يبدو أنه ظاء خالصة و مرة أخرى أنه ذال، و ربما يعود هذا الارتياب إلى حقيقة واحدة هي أن الظاء النظير المفخم لصوت الذال، لذا اختلط علي الأمر عندما رققوا هذه الظاء لكن ليس إلى درجة كبيرة حتى تصبح ذالاً، و لعلها بقيت ظاء خالصة مادام لم يرققوا الصوت ترقيقا خالصا، مثلا نجدهم يفخم الذال في بعض الكلمات حتى تصبح ظاء كقولهم:

(فخظ) في فخذ لمجاورتها الصوت المفخم " الخاء"، فأبدلوا الذال ظاءا حتى يعمل اللسان في مستوى واحد.

و مثله قولهم : (ظوك) في ذوق ففخموا الذال حيث أبدلوه ظاءً، لأنهم فخموا القاف وغلظوه، و لعل هذه هي أهم خصائص صوت الظاء كما سمعتها في عامية سيدي بلعباس *.

٢ - الثاء:

صوت أسناني احتكاكي مهموس مرقق، يتشكل بوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا العليا مع ترك ممرٍ ضيق بينهما، يمر منه الهواء الرئوي مشكلا صوت الثاء. كل هذا يتم دون ذبذبة للوترين الصوتيين، مع اتخاذ اللسان وضعا مستوياً

* أبدلت الظاء زايا في كلمة واحدة هي ظننت، (زنيت) وفي نظن (نزن) وسمعت ذلك من عجوز في منطقة قريبة من تلاغ، وهي تبدل الظاء زايا هنا مطلقاً فلا تقول هذه الكلمة إلا بالزاي المفخمة، وقد طلبت منها أن تعيد الكلمة بالظاء فلم تستطع، وربما اقتصر هذا الإبدال عند هذه العجوز فقط، لأنني لم أسمعه من غيرها.

ويرتفع الطبق ليسد التجويف الأنفي[1]

هذا الصوت أبدل في لهجة المدينة تاءً مطلقا فلا تسمعهم ينطقون إلا بالتاء (توم، تلج...) أما البدو فحافظوا على خصوصيته، بل أن بعضهم يبدل هذا الصوت فاءً و قد سمعت ذلك في قولهم :

(مْفْرد) في مثرد و هو صحن كبير يوضع فيه الكسكسى للولائم

(ممفم) في مِنْ ثُمَّ ، فأبدلوا الثاء فاءً و النون ميما.

هذه أهم التغيرات التي لحقت صوت الثاء في عامية سيدي بلعباس، و هي تغيرات فرضتها الطبيعة الجغرافية والمعيشية في حدود ما سمعته، وساغته الدراسات الصوتية الحديثة.

٣- الذال:

صوت أسناني احتكاكي (رخو) مجهور مرقق، يتكون هذا الصوت بجعل طرف اللسان قريباً من أطراف الثنايا العليا مع ترك منفذ ضيق بينهما لتيار الهواء المندفع من الرئتين والمار بالحنجرة مما يؤدي إلى اهتزاز الوترين الصوتيين ويسمع مع هذا الصوت احتكاك قوي[1].

والأصل في هذا الصوت الترقيق، لكنه يفخم في عاميتهم فينطق ظاءً كقولهم: (فْخَظ) في فخذ، (كَظبه) في القبظة أي الحزمة.

ويبدلونه دالا مطلقاً لسهولة هذا الأخير فيقولون:

(مبدر) في مبذر.

(داب) في ذاب...

لكن الذال إذا جاورت صوتا مفخما لم تقلب ظاءً، وإنما أبقوا مخرجها مع خصائصها

---

[1] الأصوات اللغوية د عبد القادر عبد الجليل ١٥٩.

[1] الأصوات اللغوية د عبد القادر عبد الجليل ١٥٩.

و لم يبدلوها إلى دال كقولهم:

(ذخيره) في الذخيرة أي المؤونة

(ذغينه) في الضغينة أو المكر إذا حقد عليه سرا (حدث هنا إبدال الذال من الضاد).

مذموم من الغريب إنهم لم يبدلوا الدال هنا دالا مع أنها جاورت أصواتا مهموسة ولا يوجد ما يجبرهم على إبقائها صوتا مجهورا (فالجهر كما تتبعنا من سيماهم).

كذلك يقول أهل المنطقة (دّيه) في خذيه، و لعلهم أبدلوا الذال دالا فأصبحت (خديه)، ثم أبدلوا الخاء دالا و بعدها أدغموا المثلين، مع أنه لا وجود لمسوغ إبدال الخاء دالا. و هذه الكلمة تستعمل مطلقا بهذه الصبغة في كل الولاية سواء عند سكان المدينة، أو عند سكان القرى المجاورة لها.

كذلك أبدلوا الذال تاء في كلمة واحدة هي قولهم : (تشحت) في تشحذ.

فالتاء هي النظير المهموس لصوت الدال فكأنهم أبدلوا الذال دالا ثم همست فأبدلت تاءً، أو أبدلوا التاء من الذال مباشرة لقرب مخرجهما أو لاشتراكهما في بعض الصفات ، فكل منها صوت اسناني، مرقق، مستفل، و لعل هذه أهم التغيرات و مميزات صوت الذال في عامية المنطقة.

الأصوات الشفهية الأسنانية:

الفاء:

الفاء صوت أسناني شفهي احتكاكي (رخو) مهموس مرقق، يتكون هذا الصوت حين تتصل الشفة السفلى بأطراف الثنايا العليا، حيث تندفع كمية الهواء الخارجية من الرئتين، مرورا بالحنجرة دون اهتزاز الوترين الصوتيين، و تسلك ممرها

بينها ، بعض أن يضيق المجرى، يسمع نوع من الحفيف أو الإحتكاك، الـــذي يمنـــح الصوت صفة الرخاوة.

إن أهم ميزة نلاحظها في هذا الصوت مهموسة و ترقيقه ، لكننـــا نلمـــس تفخيمه في لهجة سيدي بلعباس كقولهم:

(فوط) و هي كلمة فرنسية Vote بمعنى الانتخاب، و ســـكان المدينة (الجيل الجديد يقولون فوط).

(فوطه) وهي قماش تستر به المرأة نفسها.

(فرار) وهو نوع من القماش تضعه العجائز علـــى رؤوســـها و هو إشتق من كلمة فرنسية. Foulard

(لفول) نوع من البقول.

(لفطيم) هو فطم الطفل أي منعه من الرضاعة.

و هكذا يفخم أهل المنطقة صوت الفاء في باقي الكلمات متى جاور صوتا مفخمـــا آخر، مثل الطاء (فوط) أو الراء المفتوحة التي لم تسبق بكسرة (فُـــراره)، أو الـــلام (لفول).

وكما رأينا مع صوت الفاء فإن بعضهم يبدل الثاء فاءً كقولهم: (مفـــرد) في مثرد...

كذلك أبدلوها تاءً ثم أدغموها في قولهم : (شتّ) في شفت ، و مثله إبدالهـــا صـــادً و إدغامها في قولهم: (نصّ) في نصف، فأبدلوا الفاء المجاورة للصاد صوتا مفخما مثلـــه – و هو نفسه– و بعد ذلك التقى المثلان فأدغموهما :

نصف ← نصص ← نصّ.

وهكذا تبقى هذه المظاهر المتعلقة بهذا الصوت أبرزها في لهجة سيدي بلعباس.

الأصوات الشفهية:

١ -الميم:

الميم صوت شفهي – أنفي مهجور، عند النطق به تنطق الشفتان بشكل تام في وجه التيار الهوائي المندفع من الرئتين حيث يحبس خلف الشفتين و ينخفض الحنك الأعلى، فيأخذ الهواء مساره عن طريق الأنف. و في الزمن ذاته يهتز الوتران الصوتيان لتحقيق صفة الجهر، بينما يبقى اللسان في جانب الحياد [١]

الميم كالفاء من الأصوات التي فخمت في عامية المنطقة مع أنها ليست من الأصوات المفخمة (ص، ض، ط، ظ، ق، غ، خ) و لا من الأصوات التي قد تفخم في بعض الحالات(كاللام و الراء)، فتجدهم يفخموها في مثل قولهم:

(مُّك) في أمك .

(مُصيبه) و فخمت هنا لمجاورتها صوتا مفخما هو الصاد .

(مَنَعْرْف) في ما أعرف؟.

(مزد) و هي كلمة فرنسية تحمل اسم نوع من السيارات يستخدمها كثير الفلاحون في نقل محاصيلهم إلى المدن لبيعها، و مثل هذه الكلمات كثير لكن الملاحظ أنها لا تفخم إلا إذا جاورت صوتاً مفخما أو مجهورا.

أما عن إبدالها فمن الباء و النون كما رأينا في (جمب) أي جنب، و(ممبعد) في من بعد، و (معندك) في من عندك...

و من الباء كقولهم : (رجم) في رجب ، (تبزك) في تمزق.

أما عدا هذين الصوتين فلم أسمع إبدالها من صوت آخر ، أو إلى صوت آخر، ربما لأن طريقة إخراجه سهلة و غير شاقة فلم يحتاجوا إلى إبداله بصوت آخر يحل

---

[١] الأصوات اللغوية د عبد القادر عبد الجليل ١٥٧.

محله، ما عدا صوت الباء الذي يشاركه في المخرج، و النون التي تشاركه في الغنـــة ، و لعل هذه أهم خصائص صوت الميم في عامية سيدي بلعباس.

٢ -الباء:

صوت شفهي انفجاري (شديد) مجهور مرقق، لإحداثه تنطبـــق الشـــفتان بصورة تامة في وجه التيار الهوائي الخارج من الرئتين، حيث يحبس فترة من الزمـــن، ثم يتبعه انفراج الشفتين، ليندفع الهواء محدثا هذا الصوت الانفجاري ، في الزمن الذي يتذبذب فيه الوترين الصوتيين[١]

هذا الصوت المجهور يرد مرققا في عاميتهم كقولهم :

(بيدو) في الدلو.

(بسكره) تنطق مرققة لأنها وردت مكسورة.

(بسينه) إناء كبير يملأ بالماء.

(كبير) ، (باب)، (بكر) أي في وقت مبكر.

إلى غيرها من الكلمات التي يرقق صوت الباء و لعل أكثرها إذا ورد ساكنا، أو كـــان مكسوراً.

أضف إلى ذلك أنه يفخم في بعض المواضع التي تفرض عليه هذه الصفة التشـــكيلية ، كمجاورته لصوت مفخم و منه قولهم :

(طبيب) الباء الأولى مفخمة، و الثانية مرققة لأن الكسرة التي قبلـــها حالت دون ذلك.

(لقبر) في القبر.

(لبط) في البط.

---

[١] الأصوات اللغوية د عبد القادر عبد الجليل ١٥٦.

(بطاطا).

(برنوص) في البرنس حيث فخموا الباء و الراء و السين أبدلوها إلى نظيرها المفخم صوت الصاد .

(بصله).

و هكذا فإن للباء مواقع يفخم فيها، و هذه المواقف كلها تنوعها الدراسات الصوتية، أما عن إبداله فأبدل إلى الميم كما رأينا في (رجم) أصلها رجب و هو من الأشهر الهجرية ، أضف إلى ذلك أنهم يبدلونها راءً في كلمة واحدة ، هي قولهم : (قرقاب) في قبقاب و هو نوع من الأحذية تلبسه المرأة فقط، يحدث صوتا معينا على الأرض. فإبدالهم للباء في هذه الكلمة مطلق فلا تسمع واحدا من سكان الولاية ككل سواء المدينة أو ما جاورها ينطقها بالباء و إنما بالراء دوما.

و من أمثلة إبدالهم الباء نونا كلمة واحدة هي:

(دبّانه) في ذبابة (نوع من الحشرات).

وغريب جدا هذا الإبدال فليس بين النون و الباء أي علاقة، كما أننا لو بحثنا عن معنى كلمة (ذبانه) لوجدناها معنى آخر غير هذه الحشرة ، ففي القاموس :ذبانة (بالذال و النون) سلاح ناري[1] .

لعل هذه الخصائص التي لحقت صوت الباء في عامية سيدي بلعباس هي الأكثر انتشاراً و شيوعا بين سكانها (من أهل المدينة أو البادية)، و عدا هذه الخصائص لم أصادف أثناء التسجيلات ظاهرة أخرى ترتبط بالباء .

لا أزعم أنني جمعت كل الخصائص الصوتية للهجة سيدي بلعباس، بل أقول لقد حاولت الإلمام بالمظاهر الصوتية التي تصيب المنظومة الصوتية العربية في لهجتنا

---

[1] القاموس مادة(ذبن).

اليوم ، و كانت هذه هي النتيجة التي خرجت بها أثناء إعدادي لهذه العملية، و أثناء عملية التصنيف و التحليل، هي أن لهجة سيدي بلعباس في معظم مظاهرها الصوتية ما هي إلا تطور مستمر و طبيعي للهجات العربية القديمة ، و لعل الملاحظ و المتتبع لها يربطها مباشرة بلهجة تميم و من جاورها من القبائل المجاورة لها كأسد و طيئ وقيس و غيرها من القبائل البدوية التي عاشت في شمال الجزيرة العربية و شرقها.

ومن المظاهر اللهجية الأخرى التي اشتركت فيها لهجة سيدي بلعباس مع بعض اللهجات العربية القديمة نذكر:

١ - حذف لام و ألف (على) الجارّة :

حذفت قديما قبيلة بلحارث بن كعب من (على) الجارة ألفها و لامها إذا تلاها اسم معرف بأل كقول شاعرهم:

غداة طغت علما، بكر بن وائل*** وهاجت صدور الخيل شطر تميم[١]

فأصل علما (على ماء)، حذفت همزة الوصل من (الماء)، لأنها تسقط في الدرج وحذفت ألف (على) لالتقائها ساكنة مع لام المعرفة الساكنة ثم حذفت لام (على) لكراهية اجتماع المثلين.

و هذا الحذف لا يزال موجودا إلى اليوم في عامية سيدي بلعباس كقولهم:

(وخريه علفراش) أي أخريه من على الفراش

(يكتب علحيط) أي يكتب على الجدار...

٢- حذف نون (من) الجارّة:

تحذف بعض القبائل زبيد و بني خثعم من اليمن نون (من) الجارة إذا وقع بعدها حرف ساكن، و نسب بعضهم ذلك هذيل و بعضهم نسبه إلى تميم [٢] قال

---

(١) شرح المفصل ١٠/١٥٥.

(٢) "الشعر والشعراء" ابن قتيبة تحقيق أحمد شاكر، دط ، طبعة دار المعارف ،١٩٨٢، ص ١/ ٤١٣.

أبو الصخر:

كأنهما ملآن لم يتغيرا*** و قد مر للداريّن من بعدنا عصر [١].

واختلفت آراء الباحثين القدامى في ذلك فهذا ابن عصفور يرى أن حذف النون (من) باب الضرورة و يرى ابن مالك أنه قليل.

و قال أبو حيان: أنه كثير من يجوز في سعة الكلام و طالما بنى النحويون الأحكام على بيت أو بيتين فكيف جواز حذف نون (من) في هذه الحالة و قد جاءت منه ما لا يخفى كثرة و يمكن تتبع ذلك في دواوين العرب[٢].

و كلام أبي حيان يمكن أخذه على اعتبار أنه يميل إلى رأي الكوفيين . وأميل إلى رأي أبي حيان في قوله بعموم هذه الظاهرة ، لأنها لا تزال موجودة في لهجة سيدي بلعباس، فهم يحذفون نون (من) الجارة كثيرا في قولهم:

(مدَّار) في من الدار

(ملهيه) في من هناك (الرأي الأرجح هناك إبدالها إلى لام)

(مصّوك) في من السوق

(ملخزنه) في من الخزانة

(ملبيت) في من البيت

(ملكوزينه) في من الكوزينة و هي المطبخ

(ملجاميعه) في من الجامعة

(ملبيرو) في من البيرو أي المكتب.

(ملكتاب) في الكتاب

و القائمة طويلة فلو تتبعنا حرف الجر (من) في عامية سيدي بلعباس

---

[١] الخصائص ١ /٣١٠.

[٢] ينظر همع الهوامع شرح جمع الجوامع ٢ /٢٠٠.

لوجدنا أن هذه النون محذوفة دائما، و إن لم تحذف أبدلت لاما (ملهيه) في من هناك.

٣ – القطعة :

و هو لقب نسب قديما إلى قبيلة طيئ، و هو عبارة عن قطع اللفظ قبل تمامه، "والقطعة في طيئ كالعنعنة في تميم، و هي أن يقولوا : يا أبا الحكا، و هو يريد : يا أبا الحكم، فيقطع كلامه عن إبانة بقيت الكلمة " [١]

و قد ورد مثل ذلك في قطع نهاية الكلمات منسوبا إلى قبائل أخرى كقول عبيد ابن الأبرص : ليس حي على المنون بخال.

يقصد بخالد . و يقول لبيد بن ربيعة:

درس المنا يمتالع فأبانا

يقصد المنازل [٢].

أما النحاة القدامى فتناولا هذه الظاهرة ضمن ترخيم المنادى ، قال ابن أحمر :

أبو حنش يؤرقنا وطلق*** وعمار وآونة أثالا.

يريد : أثالة [٣].

مع أن الترخيم يختلف عن القطعة، حيث أن الأول محكوم بشروطه (و الترخيم حذف أو أخر الأسماء المفردة تخفيفا، كما حذفوا غير ذلك من كلامهم تخفيفا ... و اعلم أن الترخيم لا يكون إلا في النداء إلا أن يضطر شاعر)[٤].

لكن القطعة شيء آخر، فهي حذف في الكلام سواء وقع الحذف على الاسم أو الفعل، اقتصاداً للجهد العضلي عند العملية الكلامية، لأن الأصل في الكلام أن تعطى

---

(١) العين ١ /١٩٦.

(٢) الكتاب ٢ /٢٧٠.

(٣) لسان العرب مادة ابن.

(٤) الكتاب ٢ /٢٣٩.

الأصوات حقها في النطق. ولعل هذا يعود بنا إلى القول أن الحذف سمة من سمات البدو تماشيا مع السهولة التي ينشدونها في حياتهم، هذا لا يعني أن الحضر لم يكونوا أهل حذف بل نجده عندهم أيضا.

هذه الظاهرة اللهجية استمرت إلى يومنا هذا، وأمثلتها كثيرة في لهجة سيدي بلعباس، فكثير من الأمثلة أصابها الحذف، وأسقطت بعض أصواتها أثناء الكلام سواء كانت في وسط أو في آخر الكلمة كقولهم:

(عبدق) في عبد القادر.

(شكون) في من يكون؟.

(مكانش) في ما كان شيء.

(كيسمُّوك) في كيف اسمك ؟ أو ما هو اسمك؟ أو كيف تسمى؟.

(ماكلتلكش) في ما قلت لك شيء.

(عبدلّ) في عبد الله.

(مانعرفش) في ما أعرف شيئاً.

(مانعرفحد) في ما أعرف أحداً.

(جاب) في جاء بكذا.

إلى غير ذلك من الكلمات الأخرى التي لا يمكن حصرها. ولعل السبب في الحذف هو السرعة في الكلام، هذه السرعة هي التي أدت لا محال إلى عدم تحقيق الأصوات وإسقاط بعضها.

وإن يكن فكما رأينا هنا مظهرا من المظاهر اللهجية القديمة، لا يزال سائدا حتى يومنا هذا في لهجة سيدي بلعباس، وهذا دليل على أن هذه اللهجة في كثير من خصائصها

ما هي إلا امتداد للهجات العربية القديمة، أضف إلى ذلك أننا نتحدث بكلمات نظنها بذيئة، وفي الواقع هي كلمات عربية فصيحة كقولنا: (دروك نفعصك) أي أكسرك الآن، وهذه الكلمة ما هي إلا فصع حدث فيها قلب مكاني، والفصع لغة: فصع الرطبة إذا أخذها بإصبعه حتى تنقشر[١]. كذلك (صبّاط) من السبت[٢] والسبت العل الذي يلبس.

وهكذا دواليك نجد الكثير من الكلام الفصيح في لهجاتنا عموماً. على أن الملاحظة التي نخرج بها الآن هي أن الجيل الجديد حرف هذه الخصائص كثيرا، وتخلى عن الكثير من منطوق اللهجات العربية، واستبدلها بكلام أجنبي، ففي لهجاتنا اليوم مثلا وعلى ألسنة الشباب لا تكاد تسمع إلا مزيجا من الفرنسية والإسبانية والإنجليزية، وهذا هو الخطر الذي يهدد الفصحى واللهجة معا في وقت واحد، فهذه العوامل هي السبب في إبعاد اللهجات عن الفصحى التي انبثقت منها وغذتها في مختلف مستوياتها: الصوتية، الصرفية، التركيبية، والدلالية.

لكن كيف تنظر الدراسات الصوتية الحديثة إلى هذه التغيرات التي اعترت أصوات العربية على ألسنة الناطقين بها ؟.

---

[١] لسان العرب مادة " فصع".

[٢] نفسه مادة" سبت".

الفصل الثالث

نقد وتقويم
لتناول نحاة العربية القدامى
في ضوء
الدراسات العربية الحديثة

الدراسة اللهجية في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة:

إن دراسة اللهجات dialectology من أهم الدراسات اللغوية في العصر الحديث، فهي أحد فروع علم اللغة Linguistics ، الذي لقي عناية خاصة من الباحثين عربا كانوا أم أجانب. ففي أواخر القرن التاسع عشر لم ينظر اللغويون من أوروبيين وعرب إلى دراسة اللهجات المتفرعة عن لغاتهم، بل حاولوا أن ينشروا بين الناس ترسيخ الفصحى ونبذ العاميات، إذ تعود العلماء على الاهتمام باللغة المكتوبة W.. Langage وتجاهلوا الفرق بين الكلام Speech و الكتابة writing، و لا يعني هذا أن النحاة التقليديين Traditionnel grammairiens قد أهملوا اللغة المنطوقة كليا وإنما كانوا ينظرون إليها في العادة على أنها صورة غير كاملة من اللغة المكتوبة ، لكن معظم علماء اللغة الآن على العكس من ذلك، إذ يرون أنه من البديهي أن يأتي الكلام أولا ، أما اللغة المكتوبة تأتي في المرتبة الثالية، لأنها مشتقة Derved منه أو بعبارة أخرى، أن سلسلة الأصوات range of sounds التي تصدر من أعضاء النطق Speech orgons هي الوسط الذي تتشكل منه اللغة. أما اللغات المكتوبة فهي نتيجة تحول الكلام إلى صورة مرئية Visual ، وكل اللغات المعروفة بدأت أولا كلغة منطوقة "[1].

إن أهم خطوة قام بها الباحثون هي دراسة اللهجات البشرية و تميزها عن لغاتها الأم، هذه النقطة بالذات اختلف فيها الدارسون المحدثون عن القدماء الذين تناولوا " اللغة الفصحى Standard Literary Language ،وكانوا يميلون إلى إهمال أي خروج على هذه اللغة و إدانته ، سواء في الكلام أو الكتابة ، ووصمه بأنه عامي أو غير صحيح و من تم لم يستطيعوا إدراك أن اللغة الفصحى تاريخيا ما هي

---

[1] " نظرية تشومسكي اللغوية" جون ليونز ٤١ .

إلا لهجة إقليمية * Regional dialect أو لهجة اجتماعية* Social dialect اكتسبت مستوى معينا بحيث أصبحت لغة الإدارة و التعليم و الآداب نتيجة لانتشارها الواسع بين عدد كبير من الناس"[١] ، مع أننا لا يجب أن نقسى على نحاة العربية القدامى لأنهم أدركوا فعلا العلاقة بين الفصحى و اللهجة، كما أيقنوا أن الفصحى ما هي إلا لهجة امتازت عن غيرها من اللهجات الأخرى، و مع ذلك فإنهم لم يفصلوا في التفريق بين هذين المستويين، كما فعل المحدثون .

إن اللغة نظام معقد ، مع ذلك هي حقيقة واقعة مهما كانت الحال، و هي بأصواتها وبنائها الصرفي ذات وجود خاص مستقل عن استعدادات المتكلم النفسية " واللغة تفرض نفسها عليه في صورة نظام قد أعد من قبل، في صورة آلة وضعت في يده. وهو يستخدمها لغايات شتى. فيستعملها في حاجات سوقية، أو يستخرج منها آثارا تدل على الحذق وتدعوا إلى الإعجاب. ولكنها في كل الحالات واحدة بعينها" [٢] .

للغة دور عظيم في الجماعة الاجتماعية ، إنها العروة الوثقى التي تؤلف بين أعضاء هذه الجماعة، فهي بمرونتها و انصياعها ذات وجود مستقل في الشعور المشترك بين ناطقيها " فكأن هناك عقدا ضمنيا أقامته الطبيعة بين أفراد الجماعة الواحدة ليحافظوا على اللغة في الصورة التي توحيها القاعدة. و كثيرا ما ترجع هذه القاعدة إلى الاستعمال، لأن الاستعمال خاضع لمصلحة الجماعة "[٣]. حتى

---

[١] " نظرية تشومسكي اللغوية" جون ليونز ٤٥ .

[٢] "اللغة" فندريس جوزيف، تعريب عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، مطبعة لجنة لبنان العربي ، دط ، دت، ص ٢٦٩ .

[٣] نفسه ٣٠٤ .

* اللهجة الاجتماعية نتاج تعاون طبيعي لأفراد مجتمع معين إذ توجد في كل مكان فيه صور تكلم ذات خصائص مشتركة وتشابه محسوس في المظهر العام لدى المتكلمين. أما اللهجة الإقليمية فعامة إذ يمكن تقسيم اللهجات إلى إحساس حقيقي لدى سكان الإقليم الواحد، إحساس بأنهم يتكلمون بصورة ما ليست هي الصورة التي يسير عليها سكان الإقليم المجاور. أما اللهجة الاجتماعية فمحدودة بالحدود الفرد ومن المسلم به أنه لا يتكلم شخصان بصورة واحدة لا تفترق. ينظر "اللغة" فندريس٢٩٥ وغيرها.

هنا رأينا كيف عرفوا اللغة " يستعملها في حاجات سوقية" ، لكنهم في الواقع لا يتكلمون إلا عن اللهجة، و مصطلح اللغة استعمله القدماء في تعبيرهم عن اللهجة، لكنهم ربما قصدوا به اللغة المشتركة التي تتحكم فيها الظروف الخارجية و" هي التي تحددها، و تدين بوجودها إلى انتشار قوة سياسية منظمة، أو إلى تأثير طبقة اجتماعية غالبة أو إلى تفوق أحد الآداب، و مهما كان الأصل الذي تعزى إليه نشأتها ، فهناك دائما أسباب سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية تبعث على استبقائها، و لا تتفكك اللغة المشتركة و تتفتت إلا إذا تراخت العرى الاجتماعية التي كانت تمسكها " [١].

أما اللهجة التي اعتاد عليها الناس فيما بينهم في إقليم معين، مخالفين بها غيرهم فإنها تنشأ من التعاون الطبيعي للأحداث اللغوية إذ توجد " اللهجة في كل مكان توجد فيه صور تكلم متجاورة ذات خصائص مشتركة وتشابه محسوس في المظهر العام لدى المتكلمين ، فاللهجات لا يمكن تحديدها إلا على وجه التقريب"[٢]. فاللهجات شكل خاص محلي للكلام يستعمل في محيط واسع " و إن كان من الممكن أن تصنف اللهجات إلى وحدات كبيرة على أساس من سماتها العامة، فإن البحث الدقيق قد أثبت أن مثل هذا التصنيف – على الرغم من فائدته يعد من صنع الخيال إلى درجة كبيرة، و على أساس من الحقيقة المطلقة، فإن كل مدينة أو بلدة أو قرية لها لهجتها الخاصة ، و لو ذهبنا بالتحليل أبعد من ذلك لأمكننا أن نقول إن كل شخص على حدة له خصائصه النطقية المختلفة التي تميزه عن غيره حتى بين أعضاء أسرته القريبين. و هذه الصورة الفردية للكلام تسمى

---

[١] " اللغة" فوندريس٣٠٤ .

[٢] نفسه ٣٢٦.

ذلك فإن مصطلح لهجة ورد قديما عند النحاة و اللغويين القدامى، و قبلهم جميعا على لسان سيد الخلق النبي الكريم عليه الصلاة و السلام عندما قال: " ما من حجة أصدق من لهجة أبي ذر"[١] إلا أنه أراد بها الحجة، ثم استوى معناها عند ابن منظور حينما راح يشرحها على أنها طرف اللسان، و هي لغة الإنسان التي جبل عليها و اعتادها ونشأ عليها.

أدرك العرب القدامى العلاقة بين الفصحى ولهجاتها، ومع قلة الأمثلة المروية عن اللهجات العربية القديمة، التي اندمجت في الفصحى و لم يبق منها إلا بعض الخصائص التي تمثل أساسا في شيوع بعض المظاهر الصوتية، إلا أن هذه الأمثلة كافية لتفنيد أي إدعاء يزعم إهمال القدامى من البحث اللهجي ولعل قلة الأمثلة المروية يعود إلى سبب واضح، كون اللهجات بعد "تشكل الفصحى لم تعد تحتفظ إلا بالقليل من الخصائص المميزة لها، لأنها اقتربت من الفصحى كثيرا فتشكلت فيها و اتخذت خصائص مشتركة قواعد لها "[٢]. ومما يدل على تمييزهم بين الفصحى و اللهجات قديما، مخاطبة رسول الله صلى الله عليه و سلم كل قوم بلغتهم – أي لهجتهم– كقوله عليه السلام " ليس من امبر امصيام في امسفر"[٣] فأبدل اللام ميما و هي لغة هؤلاء القوم ، و أكبر و أوضح مثال لدراستهم واستيعابهم للهجات تصنيفهم في اللحن. حيث فشا اللحن في ألسنة العرب بعد دخول الأعاجم في الإسلام، فاختلف الناس في نماذج الكلام، حيث تأثر أهل الأمصار باللغات الجديدة الوافدة عليهم في حين ظلت البادية محافظة على ما تعودت عليه أول مرة فكانت أبعد عن التأثر و الانصياع " و أهل الأمصار إنما

---

[١] لسان العرب مادة "لهج".

[٢] " مصفات اللحن و التثقيف اللغوي حتى القرن العاشر الهجري " د/ أحمد محمد قدور، ط١، وزارة الثقافة وإحياء التراث العربي ، ١٩٩٦ ، ص ٥٣ .

[٣] شرح المفصل ٣٤/١٠.

يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب، و لذلك تجد الاختلاف في ألفاظ أهل الكوفة و البصرة و الشام و مصر "[١] ، فلغة العرب الذين يسكنون الأمصار أصابها الكثير من الانحراف حتى باتت بعيدة عما كانت عليه سابقا*. ومن مظاهر انحراف كلامهم، عدم نطقهم لبعض الأصوات كما تقتضيه السليقة وتركهم الإعراب، فإن هذين المظهرين حافظت عليهما الأعراب في كلامها، لأنها كانت بعيدة عن التأثر "ومتى سمعت - حفظك الله- بنادرة من كلام الأعراب، فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها، ومخارج ألفاظها، فإنك إن غيرتها بأن تلحن في إعرابها، وأخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين، خرجت من تلك الحكاية، وعليك فضل كبير. وكذلك إذا سمعت نبادرة من نوادر العوام ، وملحة من ملح الحشوة، فإياك وأن تستعمل فيها الإعراب، أوتتخير لها لفظا حسنا، أوتجعل لها من فيك مخرجا سويا، فإن ذلك يفسد الإمتاع بها، ويخرجها من صورتها ومن الذي أريدت له ، ويذهب استطابتهم إياها، استملاحهم لها "[٢] .

---

[١] البيان والتبين ١٨/١.

[٢] البيان و التبيين ١٤٦ .

* أهم مصنفات اللحن من أواخر القرن الثاني للهجرة حتى أواخر القرن العاشر نذكر:

١- " ما تلحن فيه العوام" للكسائي (ت ١٨٩هـ) .

٢- " إصلاح المنطق " لابن السكيت (ت ٢٤٤هـ).

٣- "أدب الكاتب " لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ).

٤- " الفصيح" لثعلب (ت ٢٩١هـ).

٥- "لحن العوام" للزبيدي (ت ٣٧٩ هـ).

٦- " تثقيف اللسان وتلقيح الجنان" لابن مكي (ت ٥٠١هـ).

٧- " ذرة الغواص في أوهام الخواص" الحريري (ت ٥١٦هـ).

٨- " الاقتضاب في شرح أدب الكتاب" لابن السيد (ت ٥٢١هـ).

٩- " تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة" للجواليقي (ت ٥٣٩ هـ).

١٠- " المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان" لابن هشام اللخمي (ت ٥٧٧هـ).

١٠- "تقويم اللسان" لابن الجوزي(ت ٥٩٧هـ).

١٢-" ذيل فصيح ثعلب" للبغدادي (ت ٦٢٩ هـ).

١٣- " الجمانة في إزالة الرطانة" لابن الإمام (ت بعد ٨٢٧ هـ).

فاهتمام القدامى باللحن في العربية، من باب اهتمامهم باللهجات. وذلك بناءً على أن اللحن " ظاهرة انبثقت لدى العامة الذين لا يحرصون على سلامة التعبير أو فصاحته ، و هم الناس الذين لم يتلقوا تعليما صارما على أيدي العلماء و المؤدبين. و يبدوا أن إهمال الإعراب وتجاوز القواعد الصرفية ، وكثرة الإبدالات الصوتية جعل العلماء يتنبهون إلى مخالفة اللحن للعربية الفصحى مخالفة تهدد كيانها في الصميم ومن الملاحظ أن معظم أمثلة اللحن هي مما يتخاطب به الناس في حياتهم "[١].

إن اهتمام القدامى بالبحث اللهجي أمر مؤكد إذن، ومما يعضد هذا كثرة الروايات الموجودة في كتبهم، لكن اهتمامهم بالفصحى كان أكبر، وهم معذورون كل العذر في ذلك، فخوفهم على هذه اللغة الشريفة التي كلم بها الله عز و جل سيد الخلق، و هو الذي أدى بهم إلى التركيز عليها دون سواها حتى لا تضيع، و إن المتتبع لتناول النحاة واللغويين للهجات العربية القديمة يلاحظ دقة وذكاء هؤلاء العلماء في معالجتهم لها.فوصفوها أولا ، ثم نسبوها إلى مستعمليها وقبائلهم التي ينتمون إليها في بعض الأحيان، ثم بعد ذلك يشرحونها، مع إبداء آرائهم في صحتها، وجودتها و رداءتها[٢].

إبدال أصوات الحلق بين القدامى والمحدثين:

كانت تفسيرات نحاة العربية القدماء للظواهر اللهجية صائبة إلى حد كبير تتماشى ومعطيات الدرس الصوتي الحديث. فإبدال الهمزة عينا في لهجة تميم

=١٤- " التنبيه على غلط الجاهل والنبيه" لابن كمال باشا(ت ٩٤٠هـ)

١٥- " بحر العوّام فيما أصاب فيه العوام" لابن الحنبلي (ت ٩٧١هـ).

١٦-" شرح ذرة الغواص" للخفاجي (ت ١٠٢٩ هـ).

[١] مصنفات اللحن والتثقيف اللغوي حتى القرن العاشر الهجري ٧١ .

[٢] ينظر الكتاب ١/٨٢،٤/١٩٦ وغيرها.

وقيس وأسد، وهو ماصطلح عليه القدماء بـ" العنعنة "، إبدال جائز لتجاورهما، يبدوا هذا في قول سيبويه : " فأقصاها مخرجا الهمزة من أوسط الحلق مخرج العين "[١]. ثم ذهب المحدثون فيما بعد المذهب نفسه فقال أحدهم: " و هذا الإبدال يتفق و طبيعة الرجل البدوي الذي يميل إلى الإظهار و هو أمر تجيزه القوانين الصوتية ، فالهمزة و العين صوتان حنجريان، و هما من أقصى الحلق على الرغم من أن العين صوت مجهور والهمزة لا بالمجهور و لا بالمهموس "[٢].

إن هذا المظهر لا يزال موجودا إلى يومنا هذا، حيث امتد إلى ألسنة سكان منطقة " قائد بالعربي " و هي بلدية تابعة لولاية سيدي بلعباس ، ولا تبعد عنها إلى ببعض الكلمترات، وهذا لا يعني أنها غير موجودة بباقي مناطق الولاية، لكن هي أقل انتشارا و شيوعا مما هي عليه عند سكان هذه البلدية، التي لا يزال سكانها يحافظون على طابعهم البدوي .

إن استمرار هذه الظاهرة إلى يومنا هذا عند سكان البادية، هو ما يفسر انتشارها قديما في لهجة تميم و قيس و أسد و غيرها من القبائل التي كانت تسكن وسط الجزيرة و شرقها، حيث جنحت نحو صوت العين المجهور المناسب للطبيعة البدوية التي يحتاج قاطنوها إلى نبرة عالية لاتساع الصحراء، والعين هي الأنسب لهذه البيئة والأقرب إلى الهمزة .

يذهب أحد الدارسين إلى أن هذه الظاهرة تنحصر في (أَنَّ) فيقول:" أما مصطلح العنعنة المقصود به قلب الهمزة عينا، فنرى أنه مبني على أساس تكرار الأداة التي تحدث فيها الظاهرة وهي (أَنَّ) التي تنطق لدى تميم و غيرها (عَنَّ)، فهي العنعنة التي فسرت على أنها قلب الهمزة عينا ، لكن هذا القلب مقتصر فيما نرى على هذه الأداة بحيث لا يقصد به ما كان من باب الإبدال اللغوي ، كأُباب

---

[١] الكتاب ٤/٤٣٣.

[٢] "الأصوات اللغوية" د /عبد القادر عبد الجليل، ١٣٢.

و عُباب "[١]، لكن هذا الرأي قائم على المصطلح في حد ذاته أما الواقع فشيء آخر، إذ المقصود من العنعنة إبدال الهمزة عينا، أيا كانت هذه الهمزة ويتجلى هذا في قول ابن جني: " و من ذلك العنعنة، و هي في كثير من العرب ، في لغة قيس وتميم، تجعل الهمزة لها عينا، فيقولون في: إِنَكَ : عَنَكَ، و في أَسْلَمَ: عَسْلَمَ، و في أُذُنْ = عُذُنْ" [٢]. وعليه فإبدال الهمزة عينا غير مقتصر على (أَنَّ)، و إنما عام، والذي سمعته ممن سجلت عنهم مباشرة يثبت ذلك.

ومن مثل هذا الإبدال بين الهمزة و العين، نجده أيضا بين الهمزة و الهاء، ولما كان غير شائع، لم يلقبوه بمصطلح خاص. ومسوغه كون الهمزة أخت الهاء في المخرج فلا غرابة إذن من إبدالهما، وهو إبدال لا يزال يسمع اليوم في لهجة سيدي بلعباس (اهرقت ، هليك...).

و الهمزة من الأصوات التي صُحّح وصفها على أيدي المحدثين، فهي شديدة مجهورة عند القدامى [٣]، في حين هي في الدرس الصوتي الحديث صوت لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس. أما عن أحوالها "فنستطيع أن نقرر أنه ليس للهمزة سوى حالة واحدة هي حالة أدائها أداء كاملا، وما سوى ذلك أصوات أخرى لا علاقة لها بالهمزة إلا من حيث وقوعها موقعا بعد سقوطها، سواء كان ذلك حركة طويلة، أو صوت لين مركب، أو حركة قصيرة، أو هاء أو غير ذلك" [٤] ، فبعض المحدثين لا يقرون بهمزة بين بين والتي تعد من التنوعات الصوتية للهمزة، فلولاها لسقط الشعر كقراءتهم مثلا قول الشاعر:

---

[١] " في التطور اللغوي " د/ عبد الصبور شاهين ٥٥.

[٢] سر صناعة الإعراب ٢٣٦/١.

[٣] الكتاب ٤٣٤/٤.

[٤] " أثر القراءات في الأصوات و النحو العربي – أبو عمرو بن العلاء " د/ عبد الصبور شاهين، ط١، القاهرة، مصر، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧م، ص ١١٦.

أأن ترسمت من خرقاء منزلة*** ..... [١].

فمن الصعب جدا تحقيق الهمزتين في مثل هذه الحال، فتقرأ الهمزة الثانية بين بين، هذه الأحوال تفطن إليها القدامى، فعبروا عن أحوال الهمزة كإبدالها واوا أو ياء أو ألفا أو هاء " وجدنا منهم من يحققها. ووجدنا منهم من يخففها بإبدالها بحرف من جنس حركة ما قبلها أو جعلها بين بين أو حذفها" [٢]كما تفطنوا إلى مواقع وجوبها، وجوازها، وعدم وجوبها، فقالوا عن الذي يهمز في غير موضع الهمز "همز التوهم " فقد أدركوا فعلا أن هذه الهمزة لا يمكن أن توجد هنا كقول تلك المرأة " رئئت زوجي " [٣]،ثم إنهم لم يكونوا على علم بالتشريح ، ولو انتشر هذا بينهم لما فاتتهم مثل هذه الأمور، وهم الذين امتازوا بطول الصبر و المداومة في البحث و التنقيب و التحليل والتعليل .

إن صعوبة الهمزة في النطق، أو تعذر تحقيقها أثناء الكلام، جعلها تسقط في لهجة سيدي بلعباس، فلم نعد نسمعها إطلاقا في لغة التخاطب اليومي، و لو قمنا بعملية إحصائية لكل الكلمات المهموزة، لوجدناها تنطق مخففة ما خلى كلمة واحدة سلمت من هذا الحذف هي " القرآن"، فلم أسمع شخصا إلا و نطقها كما هي فلم يقل " قران" فالكلمة تنطق عند من لا يبدل الهمزة عينا فصيحة محققة.

أما إبدالها ياءً أو واوا أو ألفا فلا مسوغ له، والهدف من ذلك التخفيف تحويل هذا الصوت القوي إلى أصوات اللينة ليمكن نطقه بيسر وسهولة، ومع ذلك فإن فريق من العرب تعود نطق الأصوات الصلبة فتمسك بها، أما المحدثون فلا يرون لهذا التخفيف علة ومطلق القول عندهم أن الألف صوت انطلاقي

---

[١] الخصائص ٢٤٦/٢.

[٢] "المقتضب" المبرد، تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمه، دط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٨٨هـ-١٩٦٣م، ص ٥٢/١.

[٣] تهذيب اللغة ١٢٤/١٥.

مجهور أي حركة أو مصوت على نقيض الهمزة، كذلك الأمر نفسه مع الواو والياء، فالأولى من أقصى اللسان والثانية من وسطه مع ما يحاذي الموضعين من الحنك الأعلى، ويضيفون أن:" الهمزة صوت انفجاري شديد وهما انطلاقيان (لينان)؛ والهمزة صوت ذو وجود صوتي و سياقي (فونيتيكي و فونولوجي) ؛ أما هما فوجودها انطلاقي سياقي (فونولوجي) فحسب منها تكن أحوال وجودها في المادة اللغوية؛ الهمزة صوت مجهور أو لا هو بالمجهور و لا بالمهموس و هما مجهوران إلا في حالة خاصة وهي حالة الوقف على مثل الصفوْ و السعيْ حيث يمكن أن يتعرضا للهمس في هذا الموقع، و هو ما يقع أحيانا لحركات أواخر الكلمات في حالة ما سماها القدماء بالروم، و هي حالة من حالات الوقت " [1].

وزعم احد الدارسين أن" القدماء اخطئوا في تصور الإبدال . و إننا لنقرر ابتداء أن أساس الحل في رأينا لن يأتي إلا من طريق التحليل الصوتي للعناصر المركبة أعني تحليل المزدوج أولا إلى عناصره البسيطة و من طريق هذا التحليل تستطيع التعرف على ما تبقى من العناصر الصوتية وما حذف منها كما تستطيع تحديد وظيفة الهمزة في السياق الصوتي"[2]، فأقام نظريته على أساس النبر و أوضح مبادئ تتعلق بالمشكلة و هي خصائص نطقية تكونت للسان العربي من أهمها ما يأتي :

١- الأصل و الأغلب في الوقف السكون، و لكنهم لم يطبقوا هذا منهجيا بل عدوا حروف العلة و أشباهها سواكن لا حركات و لئن جاز ذلك بالنسبة لأشباه حروف العلة فإنه لا يجوز بالنسبة إلى حروف العلة نفسها إلا لضرورة نحوية أو دلالية .

---

[1] " الأصوات اللغوية " د/ إبراهيم أنيس، ط٣، مكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٧١، ص ٤٣ .

[2] " القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث " د/ عبد الصبور شاهين ، دط، دار القلم ، ١٩٦٦، ، ص ٧٨.

٢- قالوا لا يبتدأ بساكن بل بمتحرك و لكنهم لم يعدوا الحركة إلا إذا كانت تابعة لحرف و بديهي أنهم أخرجوا حروف العلة و أشباهها من جملة الحركات مع أن حروف العلة تكبير للحركات .

٣- العرب كانوا يكرهون النطق بمقاطع مفتوحة متوالية و بذلك تفسر كراهيتهم لتوالي الحركات الذي يضعف النظام المقطعي [١].

من هنا نرى كيف أن هذا الدارس المحدث ربط الهمزة بوظيفتين ، الهروب من تتابع الحركات، و المبالغة في النبر فيتحول بذلك نبر الطول إلى نبر التوتر[٢]، و على هذا راح يفسر إبدال الألف من الهمزة في مثل " ولا الظالين وشابة و دابة ، و نحوها مما وقعت فيه حركة طويلة بعدها صامتان فيقول :" ونفسرها نحن بما سبق أن قررناه من أن النبر في لسان قبائل البادية يأخذ صورة التوتر على حين يأخذ صورة الطول في لسان غيرهم من الحضريين"[٣]، وفي مثل : ساق وباز ويوقنون ونحوها مما وقعت فيه حركة طويلة بعد صوت ساكن أو لين مزدوج عند همزها، ويقرر أيضا المبدأ نفسه فيقول" لا يمكن تفسيره بغير النبر الذي تعودته ألسنة بعض بني أسد "[٣]، ومن هنا يرى أيضا أنه لا إبدال في مثل الكلمات التالية : كساء و بناء، بل أن العربي يكره الوقوف على مقطع مفتوح و يريد إقفاله فأحل الهمزة محل صوت اللين لا على سبيل الإبدال بل من أجل تصحيح نهاية الكلمة ، ثم إنه لا توجد واو و لا ياء و إنما ضمة أو كسرة فبالتحليل الصوتي لكلمة كساء نرى :

---

[١] القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ٧٨-٧٩.

[٢] نفسه ٨٦.

[٣] نفسه ١٢٨ .

Kisa ← Kisau ← Kisaw ، ولا يأتي ذلك بالنطق فنحن نقول كساوُ فتنطق ضمة بعد الألف و بنايِ فتنطق كسرة بعد الألف فالمقطع المفتوح شكليا، والحقيقة أن الملتقى فتحة طويلة زائد ضمة أو كسرة (يقصد = كساوُ ، بناي) وليست هناك واو أو ياء، فالمقطع مفتوح فلما أريد إقفاله للوقف حولت الحركة إلى همزة .

كما وذكر هذا الباحث نوعا من النبر لا تحول معه الواو أو الياء وسط الكلمة همزة وإنما يفصل بين عنصري المزدوج بالهمز بعد أن كانا متصلين، وهذا من خصائص الناطق البدوي ولجأ إلى ذلك نتيجة شعوره بأن الانزلاق بين العنصر الأول من عنصري المزدوج إلى العنصر الثاني لا يحقق صورة النبر كما تعودها فكان الهمز وسيلة إلى ذلك دون أن يسقط من المزدوج شيئا مثل قولهم:

خطوات ← خطؤات

تفاوت ← تفاؤت .

و من غريب ما أضاف أيضا "همزة السكت"، حيث جعل الوقف بالهمزة في مثل : حبلأ، و رأيت رجلأ، و هو يضربهأ ، كالوقف بهاء السكت مثل: قِه ، ارمِه، وغلامِه،ن وجعفراه هربا من المقطع المفتوح، فالمقطع قد أقفل بصوت لا وظيفة له سوى الإقفال، و هما متشابهان الهمزة والهاء، إذ هما من الأصوات الحنجرية[1] .

كان هذا رأي أحد الدارسين المحدثين والذي ووجه رأيه بالنقد، حيث يرى آخر أن نظرة القدامى ومعالجتهم للظاهرة هي الأقرب والأصح[2] . حيث تحدث عن الواو والياء في آخر الكلمة التي كان السبب في إحلال الهمزة محلها

---

[1] ينظر القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ٨٢ وما بعدها.

[2] إنه د/ عبد الغفار حامد هلال في كتابه " اللهجات العربية نشأة وتطورا" ط ٢ ، ١٤١٠هـ—١٩٩٠م، ص ٢١٧.

كره العربي الوقوف على مقطع مفتوح فأراد إقفاله، والواقع أن الكلمات لم توضع في الأصل لتستعمل مفردة بل لتستعمل في تراكيب تؤدي معنى مقصودا، و على هذا فالوصل هو طريق استعمال ألفاظ اللغة لا الوقف فإذا قيل : "كساوُ الصيف خفيف"، و "بنايُ البيت ثابت الدعام" مثلا فليس هنا وقف على مقطع مفتوح، وكذلك لو نطقنا كساوٌ و بنايٌ (بالتنوين) لم يوجد المقطع مفتوحا أيضا. أضف إلى ذلك أن الواو والياء لم تقلب إلى همزة في الوقف مثل :"غاي" و" راي" مع أنها تمثل مقطعا مفتوحا، كذلك لم يحدث في مثل:" التراخي" و"الفيافي" و" التسامي" مع وقوع الياء طرفا ووجود المقطع المفتوح في حال الوقف أيضا.

كذلك لا يوجد تفسير لاختيار حالات التثنية والجمع المتعددة من وجوب إبقاء الهمزة في مثل:" قراء" و قلبها واو في مثل:" صحراء" و ترجيح أحدهما في مثل:"كساء" .

أيضا فيما يخص:" عجائز" و "نيائف" و"جداول" و"قساور" و"معاول" و"مقاول" فما الفرق الذي سبب القلب أولا و منعه ثانيا ؟ مع تحقيق القانون المتمثل في تتابع الحركات مما يستدعي الهروب منه إلى النبر بالهمزة و لم يحدث .

وفوق كل هذا لم يفرق بين ما يجب وما يجوز وما يمتنع من الهمز في الألفاظ التي وجدت فيها "واو أو ياء" [1] .

و مع كل ذلك تبقى ظاهرة الهمز من أهم الظواهر الصوتية اللهجية، التي تباينت وجهات نظر المحدثين في دراستها، و أغلب الظن أن هذا التباين مصدره وأساسه التقنيات الحديثة التي ساهمت في وصف الهمزة وصفا دقيقا، و فتحت البابا أمام الآراء والاجتهادات لدى المحدثين، فذهب كل واحد المذهب الذي يراه بين مؤيد للدراسات القديمة ومعارض لها، الأمر الذي أدى إلى عدم اتفاقهم في المسألة الواحدة.

---

[1] ينظر" اللهجات العربية نشأة و تطورا " د/ عبد الغفار حامد هلال ، ٢١٧-٢١٨ .

و من أهم مظاهر الاختلاف اللهجي بين القبائل العربية القديمة، إبدالهم العين حاءً، في مثل قراءتهم قوله تعالى:﴿ عتى حين﴾[١] ، هذه القراءة أنكرها المحدثون، و حجتهم في ذلك عدم إبدالهم حاء " حين" أيضا ، لكن ما من شك في شيوع هذا الإبدال بدليل بقائه إلى يومنا هذا ، و هو كثير في لهجة سيدي بلعباس ، و كأنها امتداد للهجة هذيل بحكم ثبوت هذا الإبدال، وذيوعه في قبيلة هذيل ، فقارئ الآية ابن عباس رضي الله عنه هذلي، و قد سمى القدامى هذا الإبدال " الفحفحة" ، لكن بعض المحدثين لا يرى علاقة بين الفاء والحاء في هذا المصطلح ، فالمبدل منه هو الحاء و المبدل هو العين لا الفاء [٢]، و طبقا لهذا الرأي كان على القدامى وضع مصطلح "العحعحة" لكن هذا مستحيل فالمصطلح في حد ذاته يتطلب جهدا نطقيا لا يمكن تحقيقه بيسر وكأن القدامى اختاروا للصوت المبدل منه في الاصطلاح صوتا آخر يناسبه في الهمس، و في بعض الصفات الأخرى، و بالرغم من تباعد مخرجيهما فالأول من أدنى الحلق و الثاني شفهي أسناني، إلا أننا نسمع لها حفيفا نتيجة لتسرب الهواء من منفذ ضيق أثناء حدوثهما ، دون الصوت الآخر المجهور.

أما عن إبدال الحاء عينا، فتؤيده الدراسات الصوتية الحديثة ، مع اختلاف المحدثين في تسمية المجموعة التي تضم (العين و الحاء)، ففي الوقت الذي ينعتها البعض بالأصوات الحلقية، يقترح غير هؤلاء تسميتها بالأصوات اللسانية الحلقية لاشتراك جذر اللسان مع مؤخرة الفم [٣]، و مع ذلك فقد أصاب القدامى في تفسيرهم لإبدال العين من الحاء أو الحاء من العين بقولهم :" و لولا بحة في الحاء لأشبهت العين ... و لأجل البُحة التي في الحاء ما يكررها الشارق في تنحنحه ،

---

(١) الآية ٣٥ من سورة يوسف .

(٢) "في التطور اللغوي " د/ عبد الصبور شاهين ١٥.

(٣) " دراسة الصوت اللغوي " د/ أحمد مختار عمر ،ط ٣، توزيع عالم الكتب ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ص ١١٤.

و حُكِيَ أن رجلا من العرب بايع أن يشرب علبة لبن و لا يتنحنح ، فشرب بعضه، فلما كظّه الأمر قال : كبش أملح ، فقيل له ما هذا ؟ تنحنحت ، فقال: من تنحنح فلا أفلح، فكرر الحاء مستروِحا إليها لما فيها من البُحة التي يجري معها النفس، وليست كالعين التي تحصر النفس، و ذلك لأن الحاء مهموسة و مضارعة بالحلقية و الهمس للهاء الخفية، و ليست فيها نصاعة العين و لا جهرها "[1]، وبالتالي فإن إبدال الحاء عينا وجد فعلا في اللهجات العربية القديمة و إن كان المثال واحدا ، و دليل ذلك امتداد هذا الإبدال إلى يومنا هذا في لهجة سيدي بلعباس (يفحس في يعفس...) وإن لم يكن منتشرا و شائعا .

ومثل هذا الإبدال حدث بين صوتي الغين و الخاء لكنه لم يكن شائعا إلى درجة أنهم يضعون له مصطلحا له، و هو إبدال لا يزال موجودا إلى يومنا هذا و إن كانت أمثله قليلة، وهو إبدال تؤيده الدراسات الصوتية الحديثة. ومخرجهما في عرف القدامى بين أدنى الحلق إلى الفم[2]، فهما من حيز واحد و لا غرابة في إبدال أحدهما من الآخر ، من أجل المماثلة الصوتية. فإذا جاورة الغين صوتا مهموسا أبدل إلى الغين نظيره المجهور (يخسل في يغسل...)، و العكس صحيح ، ثم إن هذين الصوتين يفخمان في مواقع و هو ما أشار إليه أحدهم في قوله :" والخاء يجب تفخيمها و سائر حروف الاستعلاء و تفخيمها إذا كانت مفتوحة أبلغ" [3]، و يقصد بباقي حروف الاستعلاء (ق، غ) أما (ص، ض، ط، ظ)، فهي مفخمة دائما مع الفتحة و غيرها، أما مع الخاء والغين والقاف، فإن اللسان يكون مستويا لن يغير حركته أثناء خروجه بسبب الفتحة التي يكون اللسان معها

(١) سر صناعة الإعراب ٢٤٣/١ .
(٢) الكتاب ٤٣٣/٤ .
(٣) النشر ٢١٥/١.

مستويا مع انحراف قليل في أقصاه نحو أقصى الحنك ، فالفتحة ليست المسؤولة عن تفخيم الصامت الذي تصاحبه أو تجاوره ، بل إنها تساعد فقط على ذلك، كما تمنع الكسرة هذه الظاهرة التشكيلية ، لأنها حركة أمامية ضيقة ، و بتصعد طرف اللسان، أو مقدمه في اتجاه سقف الحنك الأعلى ، سينجذب اللسان إلى أمام مما يعوق مؤخر السان حتى الالتقاء بإحكام مع أقصى الحنك الأعلى (في حالة الخاء و الغين) و مع اللهاة في حالة القاف مما يجعل الصوت يفقد قيمته التفخيمية، وهذا هو سبب وجود الخاء و الغين مفخمة في مواقع ومرققة في أخرى .

إبدال أصوات الفم والشفة بين القدامى والمحدثين:

القاف أيضا من الأصوات شبه المفخمة Semi-emphasis، التي أصابها التطور على ألسنتنا، فنجدها ترقق بمجاورة الكسرة ، وتفخم إذا كانت مفتوحة أو جاورت صوتا مستعليا. لكننا نلاحظ في لهجة سيدي بلعباس أنها مفخمة حتى بمجاورتها الكسرة أحيانا، بل وفوق ذلك إنها تغلظ، حتى تصير كافا ، هذا الصوت أبدل قديما على لسان تميم من القاف، لأنها كسائر القبائل البدوية الأخرى تجنح إلى الصوت المجهور دوما، هذا الإبدال تؤديه الدراسات الصوتية الحديثة، إذ إن صوت القاف قد تطور ، و كان تطوره بتغيير مخرجه " إما بانتقال المخرج إلى الوراء، أو إلى الأمام باحثا الصوت في انتقاله، عن أقرب الأصوات شبها به، من الناحية الصوتية "[1]، فتعمق مخرج القاف في الحلق لا يصادف من أصوات الحلق ما يشبه القاف إلا الهمزة ، لوجود صفة الشدة في كل منهما، أما الانتقال بمخرج القاف إلى الأمام، فإنه لا يصادف إلا صوت الكاف، كقول بعضهم الآن: (كَدره، كَلب، كَمره...) فالمستمع أو المتأمل للهجة سيدي بلعباس لن يجد للقاف أثرا إلا نادرا مقابل ما يسمع من صوت الكاف، و لن تجد

---

[1] " الأصوات اللغوية " د/ إبراهيم أنيس ٧٩ .

كلمة في لهجة سيدي بلعباس فيها قاف أبدلت همزة، و كأن البداوة ضاربة فيها. في حين تبدل القاف في بعض الكلمات كافاً إذ شاع قديما إيثار تميم صوت القاف على صوت الكاف لأنها قبيلة بدوية، والمعروف عن البدو أنهم أكثر حرصا على الأصوات المفخمة والشديدة التي تتناسب والبيئة الصحراوية الجافة والقاسية، وكأننا خالفناهم في هذه القاعدة فأبدلنا قاف بعض الكلمات كافا (كتل في قتل، كفا في قفا ...) لكن الملاحظ على هذه الكلمات أنها جاورت مهموسا (تاء، فاء، ...)، و منه جنحوا إلى إبدال الصوت المفخم إلى صوت يقارب هذه الأصوات المهموسة ويقرب القاف في المخرج ، و هو صوت الكاف، وفي مقابل ذلك نجد أنهم أبدلوا الكاف كَافاً (كَشط في كشط) و هو إبدال جائز أيضا لتقاربها في الصفات و المخرج .

و مثله أيضا إبدالهم الكَاف من الغين ، فالغين صوت مجهور، مفخم في مواقع، و قد أبدلوه إلى صوت الكَاف المفخم أيضا لنصوعه و بيانه الواضح في السماع، و مع تباعدهما في المخرج إلا أنهما متماثلان في الصفات ، فإبدالهما جائز حدوثه غير أنه لم يحدث قديما، من خلال ما وصلنا ، مع أن صوت القاف كما وصفوه قديما مجهر، و هو في نطقه اليوم صوت مهموس، لهذا ربما لجئوا إلى نظيره المجهور (كَـ).

أما إبدال الكاف شيناً و الذي نسب قديما إلى تميم و أسد و ربيعة ومضر[1]، فإننا لم نجد له نظيرا في لهجة سيدي بلعباس، و مع ذلك فإن تفسير القدامى لهذه الظاهرة كان ناقصا، فلم يشف غليل الباحثين. و أما عن إبدالها (أي الكاف سيناً أو شيناً)، فمن الممكن القول إن اللغويين القدماء سمعوا الازدواجية في الكاف، و لم يستطيعوا كتابتها بالضبط، فدلوا عليها مرة بالكاف و الشين،

---

[1] الكتاب ٤/ ١٩٩. المزهر ١/ ٢٢١ .

ومرة أخرى بالشين وحدها، وما الظاهرة المعروفة بـ"الشنشنة" إلا شيء من هذا [١].

و يبدوا لنا مما سبق إن للظاهرة صورتين :

الأولى : اجتماع الكاف والشين في مثل: منكش.

الثانية : سقوط الكاف و ظهور الشين في مثل: منش[٢].

و بناء على ما سبق يرى أحد الدارسين أنه "يمكن أن نعزو الصورة الأولى لقبائل ربيعة و تميم، و تكون الصورة الثانية لقبائل أسد ... أولهم، و لأهل اليمن أيضا "[٣] و بذا تتداخل صورة (الشنشنة) مع هذه الصورة من (الكشكشة). و (الشنشنة) منسوبة إلى أهل اليمن، الذين يبدلون الكاف شيناً مطلقا، على ما تذكر الروايات، و هو بعيد الاحتمال، إلا أن تكون كاف الضمير فقط، لا كل كاف مطلقا، وإلا افترضنا خلو لهجة اليمن من الكاف. ولما كان إبدال[٣] ، ويضيف هذا الدارس أن" أصل أحرف الكلمة في كلتا الحالتين يتحول من صوت واحد هو الكاف، إلى صوت مزدوج هو الكاف و الشين، في الوصف القديم، وهو التاء و الشين في الوصف الحديث، والحالة في رأينا واحدة إذا قلنا: إن الصوت (الانفجاري) و هو الكاف قد لحقه صوت احتكاكي و هو الشين مع تقدم مخرجه ليقترب من التاء ... و لكن ذلك يفرض علينا أن نقرر في وصف القدماء للظاهرة قصورا، إما لعدم قدرتهم على تسجيل هذا الصوت المزدوج، وإما لعدم احتفالهم بتسجيل اللهجات في مواجهة اللغة الفصحى، و بذلك يكون علينا أن نتحكم على قول اللسان (لتبيين كسرة الكاف فيؤكد المؤنث) بعدم

---

(١) " فصول في فقه العربية " د/ رمضان عبد التواب ١٤٨ .

(٢) الكتاب ٤ /١٩٩.

(٣) " في التطور اللغوي " د/ عبد الصبور شاهين١٣ وما بعدها .

الدقة ،لأن الفصل بين الكاف والشين بالكسرة يوحي بأنها صوت الشين لم يكن احتكاكا لحق النطق بالكاف، بل كان زيادة عليها بعد أن استوفت كسرتها، على حين أن كل الشواهد والأدلة تجعله صوتا واحدا مركبا، على ما عليه نطق اللهجات الحديثة "[١] ، وادعى بعضهم أن هذا الصوت المركب المبدل من صوت الكاف يتماشى مع قانون الأصوات الحنكية الذي يقرر أن الأصوات تنتقل من أقصى الحنك (الطبق) إلى الشفتين، فالكاف على هذا التفسير تصير سيناً [٢] و هو زعم باطل عند البعض الآخر، لأنهم لم يسمعوا به مطلقا " و لم يرد في كتب القدماء، و إن شاع ذلك في بعض النطق الحديث بالجزيرة العربية* و لا يفسر القديم بالحديث للخلل الواقع في النطق الحديث بما أبعده عن الفصيح ، و لا يحتج به، فقد تغير نطق بعض الأصوات و شوه تشويها خطيرا، فقد تحول مثلا- في نطق أهل الرياض- صوت الكاف- أول كلمة إلى (تس) مثل : كيف حالك (تسيف حالك) و في وسط الكلمة كذلك، فكلمة باكر تنطق هناك (باتسر) فلا يعول على هذا النطق المحرف لتفسير الفصيح من كلام العرب "[٣].

إن عدم إدراك و تميز القدامى لهذا الصوت المركب هو الذي جعلهم يطلقون مصطلح (الكشكشة) الذي يضم الصوت المبدل (الكاف) والمبدل منه (الشين)، ولو أدركوا الفرق لربما اصطلحوا (الكتشكتشة) قياسا على الأول .

الأمر نفسه حدث مع إبدال الكاف سينا، و الذي نعتوه (بالكسكسة)، وهو مصطلح " لا علاقة له بمعناه اللغوي ، ذلك أن الكسكسة صفة خِلقية تعني قصر الأسنان، أو نقص الفك الأعلى عن الفك الأسفل " [٤]، فلا صلة إذن بين

---

(١) " في التطور اللغوي " د/ عبد الصبور شاهين١٣ وما بعدها .

(٢) "الأصوات اللغوية" د/ إبراهيم أنيس ٧٩.

* في منطقة الخليج و السعودية .

(٣) اللهجات العربية نشأة و تطورا ١٦٥-١٦٦ .

(٤) " في التطور اللغوي " د/ عبد الصبور شاهين ١٥ .

هذا المعنى اللغوي و بين إبدال الكاف سينا أو زيادتها بعد الكاف ، إنما وضع قياسا على (الكشكشة) [١] من باب التناظر، واختلف القدامى في وصفهم لهذه الظاهرة التي لم تكن شائعة كشبيهتها أعني (الكشكشة) على أنها إلحاق الكاف سيناً مرة، و إبدال الكاف سيناً مرة أخرى، وذلك نحو قولهم: " أبوسِ و أمسِ، يريدون أبوك و أمك و بعضهم يزيد السين بعد الكاف في الوقف مثل : مررت بكس أي بك " [٢].

حاول أحد المحدثين ربط هذه الظاهرة بالتوزيع الجغرافي للقبائل العربية، بعد دراسة لمواطن شيوع الظاهرة فوجد أنها "لهوازن و أنها في (ربيعة و مضر) وأنها لبكر"[٣]، ثم إن المقصود بهذه القبائل كما يبدوا منطقة لهجية بدوية وسط الجزيرة العربية، حيث تقترب مواطن هوازن من مواطن بكر، و هي إجمالا منطقة (نجد)، ولا يزال هذا الإبدال موجودا إلى يومنا هذا عند البدو في الكويت حيث ينطقون كاف المؤنث (تاء وسينا) فيقولون Slonits في مقابل أهل الحضر هناك حيث ينطقون كاف المؤنثة (تاء و شينا): ش لونتش Slonits ، و على افتراض اتصال الحاضر اللغوي بالماضي فإن التوزيع اللهجي يقوم على أساس جغرافي ، لا على المذكر والمؤنث، أي أن بعض القبائل تستخدم (الكشكشة) و أخرى تستعمل (الكسكسة)، و من الضروري أيضا إذا نحن اعتمدنا وصفي الظاهرة بأنها:

١- زيادة سين بعد الكاف .

٢- جعل السين في موضع الكاف

---

[١] " في التطور اللغوي " د/ عبد الصبور شاهين ١٥ .

[٢] النهاية في غريب الحديث و الأثر ١٧٤/٤ .

[٣] " في التطور اللغوي" د/ شاهين ١٦ .

أن تنسب الصورة الأولى إلى قبائل معينة، كما تنسب الصورة الثانية إلى قبائل أخرى، وليس في الروايات التي بين أيدينا ما يعين على هذا التحديد[١].

و يرى بعض الدارسين أن (الكسكسة) و (الكشكشة) حدثتا نتيجة للتطور في مرحلتين :

الأولى : انتقل فيها الكاف إلى الصوتين المزدوجين: تس و تش.

الثانية : وفيها آل الصوت المزدوج إلى سين خالصة تارة أو شين خالصة تارة أخرى [٢].

أما (إبدال الكاف شيناً مطلقة أو ما يعرف بالشنشنة) فلا يزال يسمع إلى يومنا هذا في لهجة مسيردة الفواقة (شايب راسو) فيقولون : (تشان) في كان، (نتشبر) في نكبر ، (متشان) في مكان، كذلك في منطقة الغزوات و بالخصوص في منطقة السواحلية ، و مما سمعته منهم مباشرة* أي إبدالهم الكاف صوتاً مزدوجا (تش) لا صوتا واحدا (ش) ،أما في لهجة سيدي بلعباس فهو غير موجود.

أما (الكسكسة) فلم أسمع لها أثرا في لهجاتنا الجزائرية، فهي أصلا لم تكن شائعة قديما، كما لم تشع كذلك حديثا، وإن سمعت في بعض المناطق من الكويت والسعودية. و يعود شيوع الأولى دون الثانية إلى القرابة الصوتية بين الكاف والشين (الطبق اللين، وسط الحنك) وبعد المخرج بين الكاف والسين (الطبق اللين، أسناني لثوي) .

ويتناوب الصوتان (السين و الشين) فيما بينهما القلب والإبدال في لهجة سيدي بلعباس نحو قولهم: (سمش) بدل شمس، و هو إبدال أو قلب مكاني ، حيث حلت إحداهما مكان الأخرى ، و القلب المكاني يحدث كثيرا في بعض النماذج

---

(١) " في التطور اللغوي" د/ شاهين ١٧.

(٢) اللهجات العربية في التراث" د/ أحمد علم الدين الجندي، دط، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٨، ص ١٢٣.

* سمعت هذا أثناء زيارتي للمنطقة.

من الكلمات ، وليس له قاعدة تحكمه، ففي حين يقول بعضهم (مْعَاي)، يقول آخرون (عْمَاي) أي معي ، و في قولهم: (نكَضبك) من الفعل قبض، يقول آخرون:(نكبَضك) إلى غير ذلك من الكلمات. و قد وجد هذا القلب قديما في قولهم: جذب و جبذ [1]. أما قولهم الآن : (سمش) في شمس، فكأنهم اختاروا السين أولا لأنها قريبة من الميم فهي أسنانية لثوية، و الميم شفهية، كما أن الهواء الخارج مع صوت السين يكون محتكا لأن المنفذ يكون ضيقا، مما يسهل إيقافه مع صوت الميم (أي وراء الشفتين). أما لو نطقوا الشين أولا فقد يجدوا صعوبة في نطق الميم وراءه ، فالهواء الخارج مع صوت الشين يجد المنفذ أقل تضييقا منه مع السين، لدى يندفع بسرعة أكبر (الشين صوت متفشي)، و عند وصوله إلى الشفتين الذين يجب أن تنطبقا لنطق الميم، يجد المتكلم الصعوبة هنا تتطلب جهدا، كالذي يسير ثم يصطدم بجدار ، لذا كان صوت السين قبل الميم أقل تكليفا للعملية الكلامية ، و الإنسان بطبعه يجنح دوما نحو الأسهل و الأيسر .

أما إبدال اللام من النون، فلم يشر القدماء على أنه لغة بل يذكرونه من باب الإبدال العام، وذلك كما يبدوا في قول ابن جني:" و أبدلوا اللام من النون في أصيلان، فقالوا : أصيلال "[2]، لكن يكفي أن نعرف أنهم نظروا إلى الإبدال من باب اختلاف اللغات، لنحكم عليه، و على غيره بأنها لغات مختلفة لقبائل مختلفة فليس " المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف، و إنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة ، تتقارب لفضتان لغويتين لمعنى واحد" [3] ، و قد يكون الإبدال في اللهجة الواحدة ، كما نجده اليوم في لهجة سيدي بلعباس، حيث لا يزالون إلى اليوم ينطقون الكثير من الكلمات بلام مبدلة من نون ، كقولهم :

---

[1] الخصائص ٢/٦٩.

[2] سر صناعة الإعراب ١/٣٢١ .

[3] المزهر ١ /٤٦٠.

(سلّفني) في:سلّف لي، أي أعرني، وقولهم أيضا : (سنسلة) في سلسلة ، و غيرها مما يثبت أن هذا الإبدال يخضع للهجات معينة لدى قبائل عربية قديمة ربما مثلا قال بعضهم قديما:أصيلان، و قال آخرون : أصيلان، و مع أن اللام صوت لثوي جانبي، لأن الهواء يتسرب من جانبي اللسان، و النون صوت لثوي أنفي ، لأن الهواء يتسرب من الأنف، إلا أن العلاقة قائمة بينهما ، فكلامهما من مجموعة الأصوات اللثوية Alveolar- Consonants، وفوق ذلك يتشاركان في الصفات، وهما من "أوضح الأصوات الصامتة في السمع، ويسميها البعض أشباه الأصوات الصائتة (أصوات اللين)" [١]، لهذا السبب يجوز إبدال أحدهما من الآخر، فلا نفور من هذا الإبدال. وثالث صوت في هذه المجموعة هو صوت الراء، ثم إننا قد نجد في لهجة سيدي بلعباس بعض الكلمات أبدلت فيها الراء من اللام كقولهم: (ثرث الخالي) ، بمعنى الثلث، هذا الإبدال ورد قديما، وإن لم يفصح عنه لكنه يستنتج من كلامهم " أما قولهم في الدّرع : نثره و نثله، فينبغي أن تكون الراء بدلا من اللام ...فاللام أعم تصرفا فهي الأصل" [٢]، فربما كان أصل الكلمة نثل و هي شائعة عند معظم القبائل العربية ، مقابل ذلك هناك بعض القبائل المعينة نطقت الكلمة بالراء لا باللام(نثر)، و هو إبدال موجود في لهجة سيدي بلعباس تؤيده الدراسات الصوتية الحديثة ، فاللام و الراء من مجموعة واحدة، تحكمها صفات متشابهة لذا جاز إبدالها .

و تدغم الراء في اللام في عامية المنطقة كثيرا فيقولون: (ندبلّك في ندبرلك)، (نديلّك في نديرلك)...،ووجد هذا الإدغام قديما في قراءة أبي عمرو ﴿يغفرلكم﴾ [٣]، التي استقبحها ابن جني لأن" الراء لما فيها من التكرير لا يجوز

---

[١] " الأصوات اللغوية " د/ عبد القادر عبد الجليل ١٧٣ .

[٢] سر صناعة الإعراب ١٩٢/١ .

[٣] الآية ٣١ من سورة الأحقاف .

إدغامها فيما يليها من الحروف، لأن إدغامها في غيرها يسلبها ما فيها من الوفور بالتكرير. فأما قراءة أبي عمرو: ﴿يغفر لكم﴾ بإدغام الراء في اللام فمدفوع عندنا وغير معروف عند أصحابنا، وإنما هو شيء رواه القراء، ولا قوة له في القياس"[1]، لكننا لا نزال إلى يومنا هذا نسمع إدغام الراء في اللام في هذه الآية الكريمة ، وغيرها من الآيات، وهو ما يفسر جوازه، كما أن الإدغام في قراءة أبي عمرو بن العلاء (النحوي، اللغوي ، التميمي)، يدل على أن تقريب الراء من اللام وإدغامها فيها، إدغاما كليا حدث فعلا في قبيلة تميم، كذلك لا يزال موجودا إلى يومنا هذا و هو مرتبط بالبيئة أكثر من أي شيء آخر فالإدغام" أو تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ظاهرة صوتية تحدث كثيرا في البيئات البدائية حيث السرعة في نطق الكلمات ، و مزجها بعضها ببعض، فلا يعطي الحرف حقه الصوتي من تحقيق أو تجويد في النطق به " [2].

إذن فالإدغام هذا تابع للبيئة الجغرافية ، حيث يؤثر البدو الإدغام تجنبا لتحقيق كل أصوات الكلام، و مثله إدغام الفاء في التاء مع أنه لا علاقة بين الصوتين إلا في بعض الصفات إلا أنهم في لهجة سيدي بلعباس يقولون:(شت في شفت) ، فيبدلون التاء من الفاء و بعد ذلك يدغمون .

كذلك إدغام الفاء في الصاد، فالصاد صوت مطبق مفخم من مجموعة الأصوات الأسنانية اللثوية Dental - Alveolar - Consonants ، أما الفاء فصوت مهموس شفهي أسناني،Labiodental- Interdental– Consonants ، مهموس مرقق رخو، أي أن نقطة الاشتراك الوحيدة هي الهمس ، و قرب المخرج، و هو أمر كاف لحدوث الإبدال بينهما، ففي لهجة سيدي بلعباس تسمع كلمة (نصّ في نصف) أي أنهم يبدلون الصاد من الفاء و يدغمون الصاد بعد ذلك .

---

[1] سر صناعة الإعراب ١ /١٩٣.

[2] في اللهجات العربية ٧٣ .

إن صوت الفاء الذي أدغم في التاء و في الصاد يفخم في لهجة سيدي بلعباس مع أن الأصوات المفخمة قديما تسعة لا غير (ص، ض، ط، ظ، غ، خ، ق، ر، ل) و الراء و اللام في حالات معينة، أما الأخرى مفخمة مانعه للإمالة[١] لأنها مستعلية " و الاستعلاء من صفات القوة و هي سبعة يجمعها قولك: قظ، خص، ضغط، ...و قيل حروف التفخيم هي حروف الإطباق، و لا شك أنها أقواها تفخيما[٢]، و هذه الأصوات مفخمة في لهجة سيدي بلعباس، إلا أننا نجد أصواتا أخرى إلى جانبها تسلك سلوكها منها الفاء، كذاك الباء و الميم وأصوات أخرى " و كذا الحال مع الشفويين" Bi-labial الباء و الميم و الصوت الشفهي الأسناني Labiodental، الفاء حيث يلاحظ أنها في بعض اللهجات تفخم بتأثير عوامل المد الحركي الخلفية الضيقة (U) كالضمة، و الخلفية نصف الضيقة (O)"[٣] فلماذا مع هذه الحركات بالذات ؟ لو عدنا إلى وضع اللسان مع حركة الضمة (O) والضمة الضيقة (U) لوجدنا أن — اللسان — أو مؤخرة اللسان ترتفع إلى الحنك الأعلى،فيتقعراللسان مما يسمح بتشكيل تجويف فمي كبير، و عندما تقع فيها حبيبات الهواء الخارجة من الرئتين المار بالوترين الصوتيين، تهتز هذان الوترين الصوتيين إذا كان الصوت مجهورا، و قد لا تهتز في حالة الصوت المهموس، ويكون لها صدى قوي ، مما يجعلها تخرج مفخمة من موضعها " فبين وضع اللسان في صوت الفتحة ووضعه في صوت الضمة ، أو بعبارة أخرى بين وضع اللسان في قاع الفم و ارتفاع مؤخرته نحو سقف الحنك ، بحيث تحدث الضمة الخالصة، أوضاع كثيرة تحدث عنها حركات متعددة ، أبرزها في أذهاننا

---

(١) الكتاب ١٢٩/٤.

(٢) النشر ٢٠٢/١ .

(٣) الأصوات اللغوية د/ عبد القادر عبد الجليل ١٥٤ .

صوت الضمة الممالة (O)"[1] ، و على هذا الأساس يمكن أن نتخيل وضع اللسان على الشكل الأتي :

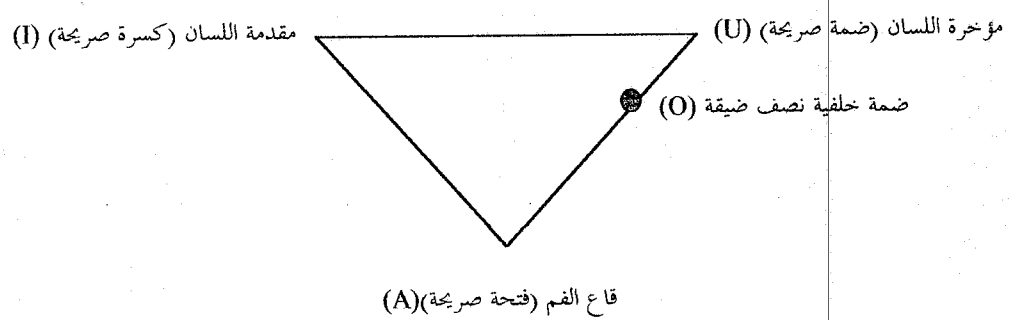

هكذا يوضح لنا هذا الشكل كيف يكون وضع اللسان مع هذه الصوائت، ومنه نرى أن الفتحة هي الأقدر على توفير الفراغ المطلوب في التجويف الفموي من أجل حدوث التفخيم كذلك الضمة، فكأنه يشاكل وضعه مع الأصوات المطبقة، أين يكون مقدم اللسان في الأمام و مؤخره في الوراء إلى أعلى، و أسفله، ووسطه في الأسفل، أي أن اللسان يكون مقعرا "ـــ" و بالتالي التجويف الفموي تقريبا واحد. الفرق الوحيد بين هذه المجموعات أن الثانية مفخمة دوما، و اللسان يتخذ ذلك الشكل معها دوما، أما الأصوات الأخرى ، فيكون اللسان معها مقعرا مع تلك الحركات (U) ،(O) فقط .

إن صوت الظاء من الأصوات التي جنحت إليها قبيلة تميم و استحسنتها، و هو صوت مفخم دوما، في حين اختار الحجازيون نظيره المرقق الدال ، و لهذين الصوتين مخرجا واحد، كما أنهما يشتركا في الجهر و الرخاوة ، إلا أن الأول مفخم وقد مال إليه التميميون تماشيا مع حياتهم القاسية و الخشنة التي فرضها عليهم الموقع الجغرافي . أما الثاني فمرقق واختاره الحجازيون لعيشهم المريح والمستقر وموقعهم الجغرافي المناسب لذلك.

---

[1] " مدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي " د/ رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي القاهرة ، دار الراوي بالرياض ، ط١ ، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م ص ٩٣.

هذا النطق لا زال مستمر في لهجة سيدي بلعباس، إذ نجد سكان المدينة ينطقون الظاء ذالا تقريبا فيقولون:(ذهر في ظهر)، (ذفر في ظفر) ، في حين ظل سكان البوادي المجاورة للمدينة محافظين على هذا الصوت المفخم ، بل إنهم يبدلون الذال ظاءً .

وعلى نحو إبدالهم الظاء من الذال ، نجد بعض الناطقين يبدلون الدال من ذالا لا سيما سكان المدينة اللذين يجنحون دوما إلى التسهيل ، و الإبدال بين الذال و الدال جائز وقوعه بحكم صلة القرابة بين الصوتين، فهما مجهوران ، مرققان إنفجاريان، وفوق ذلك قرب مخرجيهما، فالدال من مجموعة الأصوات الأسنانية اللثوية Dental-Alveolar-Consonants، أما الذال فمن مجموعة الأصوات الأسنانية Dental-consonants ، و هكذا نرى كيف أن إبدال أحدهما من الآخر جائز و منتشر تسوغه الدراسات الصوتية الحديثة .

وبالإضافة إلى هذا الإبدال بين المجموعتين، يحدث إبدال آخر من المجموعة الأسنانية بين الذال و الثاء، فالمخرج واحد و الصفات متشابهة إلا أن الأول مجهور و الثاني مهموس، وتعد الذال النظير المجهور للثاء المهموسة. هذا الإبدال وجد قديما عند بعض القبائل العربية و إن كنا لا نعرف القبيلة صاحبة الاستخدام، إلا أن منهم من قال: جذوثُ في حين قال آخرون: جثوث " إذا قمت على أطراف أصابعك فليس أحد الطرفين بدلا من صاحبه، بل هما لغتان، و كذلك قولهم أيضا: قرأ فما تلعثم و ما تلعذم " [1] و مع انتشار هذا الإبدال قديما بين القبائل العربية المنتشرة عبر أنحاء الجزيرة العربية، إلا أنني لم أسمع في لهجة سيدي بلعباس، إما أنه لم يحدث أصلا، وهو غريب فمعظم الخصائص الصوتية اللهجية في سيدي بلعباس، لها علاقة بما وجد قديما ، و إما أنني لم أقف عليه .

---

(1) سر صناعة الإعراب ١٨٩/١ .

ويعد صوت الثاء أيضا من الأصوات التي فخمت في لهجة سيدي بلعباس، و إلى جانب هذه الصفة التشكيلية التي اكتسبتها في كلامهم نجد أنها أبدلت تاءً من باب جنوحهم إلى السهل والأخف على اللسان، و هو إبدال كان شائعا في لهجات أسلافنا في صيغة (افتعل)، ففاء الفعل إذا كانت ثاء أبدلت تاء " و أعلم أن الثاء إذا وقعت فاءً في (افتعل) و ما تصرف منه قبلت تاء، و أدغمت في تاء (افتعل) بعدها، و ذلك قولهم في افتعل من التّريد، اتّرد، وهو متّرد، و إنما قلبت تاء، لأن الثاء أخت التاء في الهمس ، فلما تجاورتا في المخرج أرادوا أن يكون العمل من وجه واحد، فقلبوها تاءً، وأدغموها في التاء بعدها ليكون الصوت نوعا واحدا" [1]، فإبدال الثاء من التاء كان شائعا في اللهجات العربية القديمة و لا يزال إلى يومنا هذا بدليل وجوده في لهجة سيدي بلعباس .

إن طباع سكان منطقة سيدي بلعباس يجنحون دوما نحو الصوت المجهور والمفخم دون المهموس المرقق كي يناسب طباعهم ، مما جعلهم يختارون صوت الطاء دون التاء و دون الثاء، فينطقون بعض الكلمات بالطاء بدل الثاء مثل قولهم:(طور في ثور)، و العلة في تفخم الثاء هنا و إبدالها طاء هو مجاورتها لصوت الثاء المفخم الذي أثر فيها، فأرادوا إبدالها صوتا يوافقها مخرجا أو صفة و يوافق الراء في التفخيم ، فكان صوت الطاء القريب من مخرج صوت الثاء. و مثله إبدالها من الطاء، و هو إبدال جائز، فالطاء والتاء من مجموعة الأصوات الأسنانية – اللثوية، والفرق بينهما التفخيم و الترقيق، فالطاء صوت مفخم، و التاء صوت مرقق، و إبدال الطاء من التاء موجود بكثرة في لهجة سيدي بلعباس، كما وجد قديما في لهجات أسلافنا، حيث اختارت تميم و غيرها من القبائل البدوية صوت الطاء على التاء(أفلط في أفلت...) لرنته القوية في الآذان، و ملاءمته طباع البدو

---

[1] سر صناعة الأعراب ١٧١ .

الخشنة، و طبيعة بلادهم القاسية والجافة، فكأن إبدال الطاء من التـــاء في لهجـــة سيدي بلعباس ما هو إلا امتداد لما وجد عند قبيلة تميم.

و مما سمعته من إبدال في لهجة سيدي بلعباس، و يمكن ربطه بســـهولة إلى بلهجة عربية قديمة، إبدال الثاء فاءً، كقولهم: (مفرد في مثرد...) و قد حدث مثله قديما في مثل قولهم:(فمّ في ثمّ)، و كقول بعض بني تميم: أثاث و أهـــل الحجـــاز أثاف، هذا الإبدال مما أقرته نتائج الدراسات الصوتية الحديثة التي صنفت الثـــاء في مجموعة الأصوات الشفهية- الأسنانية ، و الفـــاء ضمـــن مجموعـــة الأصـــوات الأسنانية، فكما نرى أن المخرجين متقاربان، و بالتالي يجـــوز إبـــدال الصوتـــين أحدهما من الآخر، أضف إلى ذلك اشتراكهما في الصفات نحو الهمس والـــترقيق والرخاوة .

إن تفضيل البدو الأصوات المفخمة دون غيرها من الأصـــــوات، يفســـر إيثارهم صوت الصاد على السين فقالوا : صقت في سقت، و صاق في ســـــاق، وهو إبدال جائز تقره الدراسات الصوتية الحديثة، فما الصاد إلا النظير المفخـــــم لصوت السين. وفطن إلى هذا أحد القدماء فقال : "السين تقلبها القاف إذا كانت بعدها في كلمة واحدة ، و ذلك نحو صقت و صبقت، و ذلك لأنها من أقصـــى اللسان فلم تنحدر إلى الفم، و تصعدت إلى ما فوقها من الحنك الأعلى " [1].

وتبدل السين صادا عند مجاورتها للعين والخاء، يبدوا هذا في قول سيبويه:"الخـــاء والغين بمنزلة القاف، وهما من حروف الحلق بمنزلة و القاف من حـــــروف الفـــم وقربهما من الفم كقرب القاف من الحلق و ذلك نحو صالغ في سالغ" [2] .

---

[1] الكتاب ٤ /٤٧٩.

[2] نفسه ٤٨٠.

هذا الإبدال لا يزال موجودا في لهجة سيدي بلعباس إلى يومنا هذا، فيقولون في: سوق، (الصوك)، (صطح) في سطح، فيجنحون بلذلك إلى الصوت الأكثر وقعا و نصاعة في البيان .

و من باب اختيارهم للصوت المجهور المفخم دون المهموس المرقق، تفضيلهم صوت الزاي دون نظيره السين، حيث قالوا: (زفوت) في سفود، والزاي يشارك صوت السين في المخرج و الصفات ماعدا صفة الجهر، فالزاي هو النظير المجهور للسين، فالإبدال بينهما جائز وقوعه . وقد وجدت صور من هذا لإبدال قديما في اللهجات العربية، حيث اختارت القبائل البدوية صوت الزاي المجهور دون السين المهموس، الذي آثرته القبائل المتحضرة ،فقالوا: زقر في سقر، أما قولهم: زقعاء في صقعاء فهي من باب إبدالهم الصاد زايا ، كذلك قولهم: أزدقني في أصدقني ، و هو إبدال تؤيده الدراسات الصوتية، ثم إن بعضهم عده من باب إشراب الصاد صوت الزاي، لأنها جاورت صوتا مجهورا هو الدال ، هذا الإدغام الناقص أو هذا الإشراب لا يزال موجودا في اللهجات العربية الحديثة ومنه في لهجة سيدي بلعباس كقولهم :(الزدر) في الصدر ، (القزدير) في القصدير. وهو من الظواهر الصوتية التي تجيزها الدراسات الصوتية الحديثة، "فالسر في مثل هذا النطق هو مجاورة الصاد التي هي صوت مهموس للدال التي هي صوت مجهور، فتأثر الصوت الأول بالثاني، و أصبح مجهورا مثله، و حين نجهر بالصاد تصبح تلك الظاء المعروفة بين العوام في مصر " [1]. أي صوت الزاي عندنا ، مثلما نطقها تماما أهل طيء .

و من المظاهر اللهجية التي لم أقف لها على أثر في لهجة سيدي بلعباس، ما حدث قديما، في بعض القبائل البدوية العربية إذ أبدلت التاء من السين، فقالوا : النات في الناس، و هذه الظاهرة لم تكن شائعة قديما بدليل عدم احتفاء القدامى بها

[1] في اللهجات العربية – د/ أنيس ٧٤ .

لأنها في نظرهم من باب قبيح الإبدال أو من قبيح الضرورة ، في حين أقر المحدثون هذه الظاهرة،و فسروها تفسيرا علميا، فهذا " التبادل من الناحية الصوتية وارد ومقبول، نظرا لتقارب المخرج، وكون الصوتين مهموسين فاختلافهما ليس إلا في شدة التاء، و رخاوة السين، و لكن على الرغم من هذا التقارب الذي يسوغ الإبدال من الناحية الصوتية، فإن هذا النوع من الإبدال لم يشع كثيرا في القديم أو الحديث، فعاميتنا لا تعرفه، كما أن أمثلة قليلة في الرواية اللغوية، ولذلك نرى أن الإبدال – فيما يبدو– كان مشروطا بكون السين نهاية مقطع طويل مقفل بصامت (ص ح،ح ص)، كما في أكياس و الناس ، و هو مقطع لا يأتي في العربية إلا في حالة الوقف، و من ثم تأثر صوت السين باحتباس الهواء في حالة الوقف، فاختفى الصفير الناشئ عن احتكاك الهواء في موضع اللثة و بذلك تحولت السين إلى تاء"[١].

و مع أن هذا الإبدال كان غير شائع في اللهجات العربية القديمة ، إلا أننا نجد له مصطلحا يحدده و يشرحه " الوتم "، فقالوا:"الوتم قلب السين تاء عند أهل اليمن"[٢]. و مقابل ذلك تركوا بعض الظواهر الصوتية الأكثر انتشارا منها من دون مصطلح، كإبدال الصاد من السين، و إبدال السين زايا .

و من الظواهر الصوتية التي وجدت قديما و حديثا إبدالهم الدال من التاء، و هو إبدال جائز تسوغه الدراسات الصوتية الحديثة، فهما من مجموعة واحدة (الأصوات الأسنانية – اللثوية)، و لا فرق بينهما في المخرج و الصفات إلا الجهر، فالدال هو النظير المجهور لصوت التاء، و قد عرفت لهجة سيدي بلعباس

---

(١) " في التطور اللغوي " د/ عبد الصبور شاهين ٦٤ .

(٢) المزهر ٢٢٢/١.

هذا الإبدال كقولهم: (دجي) في أتجيء؟، كما عرفته بعض لهجات القبائل العربية القديمة .

و من غريب المظاهر الصوتية في لهجة سيدي بلعباس إبدالهم الطاء قافا مغلظة أي كافا، فيقولون: (صاكع) في ساطع ، و هو إبدال لم أقف عليه في لهجات العرب القديمة، فقد أبدلوا صوت الطاء المفخم كافا على الرغم من تباعد مخرجيهما، لكن الصفات المشتركة بينهما كانت كافية لحدوث مثل هذا الإبدال، فالكاف أكثر نصوعا في البيان من الطاء، و الطاء صوت مهموس أما الكاف فمجهور، و هذه هي العلة في اختيارهم الگاف دون الطاء، كما اختاروا الطاء دون الدال، و الكاف دون القاف، و الزاي دون الصاد، والسين. و هكذا دوما يجنحون نحو الأصوات المجهورة و المفخمة الشديدة، ولهذا الاستخدام ما يربطه بالقبائل البدوية القديمة كتميم و أسد و غيرهما ممن آثر المفخم على المرقق، و المجهور على المهموس تماشيا مع طبيعة أرضهم القاسية وطبائعهم الخشنة .

و من الظواهر الصوتية اللهجية القديمة ، إبدالها الياء جيما، وشاع هذا الإبدال كثيرا لاسيما عند القبائل البدوية كتميم و طيء وحنظلة و فقيم ، و بني سعد، التي تحتاج في الغالب إلى الأصوات الواضحة البينة لذلك أبدلوا الياء جيما " لأنها خفية، فأبدلوها من موضعها أبين الحروف"[1]، حتى أنهم اصطلحوا لهذه الظاهرة بـ (العجعجة) ، و إذا نظرنا إلى هذا المصطلح " وجدنا أنه مبني على أساس صوتي (العين و الجيم)، و لا علاقة للعين، بهذه الظاهرة في لسان أهلها، فما العجعجة إلا قلب الياء جيما، أي أن الصوت المذكور، و هو الجيم، هو الصوت المبدل، و قد وقع ثانيا في بناء الكلمة"[2].

---

[1] الكتاب ١٨٢/٤ .

[2] " في التطور اللغوي " د/ شاهين ٥٥ .

أما تفسير ذلك من الناحية الصوتية فليس بعسير، ولقد تفطن إليه القدامى[١] أثناء حديثهم عن الظاهرة، و أيدته الدراسات الصوتية الحديثة. فأما " الياء فهي نتيجة اقتراب طرفي المخرج، دون تماس بينهما، لأنها صوت انطلاقي فيه شيء من الاحتكاك، و كلما ضاقت المسافة بين ظهر اللسان و سقف الحنك اقتربت الياء من الجيم، و هذا هو الذي يفسر ما أثر عن العرب من (العجعجة)، التي هي تحول الياء إلى جيم"[٢] ونقيض هذه الظاهرة وجد قديما لكن ليس كانتشار الأولى، و نعته أحد المحدثين" بالعيعية أو اليجيجة " قياسا على اصطلاح القدامى، و هي تحول الجيم إلى ياء، في مثل قولهم: شيرة في شجرة[٣].

و هذه الظاهرة ما تزال ممتدة إلى يومنا هذا و مع أنني سمعتها في مناطق عربية مختلفة، كلهجة الكويت في قولهم: (ريلي في رجلي)، (وريّال في رجل) (دياية في دجاجة)، كذلك في لهجة العربية السعودية* ، لكن هذا الإبدال يقتصر على مجموعة فقط، فبعضهم يحقق الجيم دون الياء، أما في لهجة سيدي بلعباس فلم أقف على أثر، أي أنها من الظواهر اللهجية الصوتية التي لم تجد لها طريقا إلى لهجتهم، إلا أننا نجد سكان العاصمة يقولون (مسيد) في المدرسة، و هذه الكلمة ما هي إلى مسجد بالعربية، و لما كان المسجد قديما يقوم بوظيفة المدرسة ربطوا التسمية، فلقبوا الدلالة على المدرسة بالمسيد، و لذلك فأصل الكلمة مسجد، حيث أبدلوا الجيم ياءً، وأصبحت بالتالي مسيد، لكن هذا الإبدال موجود في هذه الكلمة فقط و هي لا تنطبق إلا بالياء .

---

(١) الكتاب ١٨٢/٤ .

(٢) " في التطور اللغوي " د/ شاهين ٦٢ .

(٣) " الإبدال " لأبي علي القالي ٢٦١/١.

* سمعته مباشرة من بعض الحصص التي تبث على التلفزيون.

و من الظواهر اللهجية القديمة، إبدالهم لام التعريف ميما، و قد وسم هذا الاستعمال بالطمطمانية، فما العلاقة القائمة بين هذا الإبدال، و بين مصطلح الطمطمانية اللغوي ؟.

الطمطمانية و كما عرفها اللغويون القدامى العجمة [١] قال الشاعر :

تبرى له حول النعام كأنها***حزق يمانيه لأعجم طمطم [٢]

و ربما سميت هكذا لأنها غربية عن الديار العربية، أي غريب على اللسان العربي، فكما نعلم أن هذه اللهجة يمنية حميرية جنوبية سمعها ابن دريد في عصره باليمن[٣]، و لما سمعها عرب الشمال بدت غريبة على آذانهم، فكأنها كلام غير مفهوم، لهذا وسموا هذه الظاهرة بالطمطانية أو العجمة .وبلغ نفورهم من هذه الظاهرة واستهجانهم لها أن أنكرها ابن جني، بحجة أن الحديث الشريف الذي ورد عن النبي الكريم (صلى الله عليه و سلم) ورد مثالا متفردا أي واحدا لا غير، و هذا القياس شاذ لا يقاس عليه، لأن" القلب في الحروف إنما هو فيما تقارب منها"[٤]، لكن الدراسات الصوتية تؤيد هذا الإبدال، فبين " اللام و الميم نسب قريب إذ هما من الأصوات الذلقية و المخارج متقاربة، و بينهما اشتراك في بعض الصفات كالجهر والتوسط بين الشدة و الرخاوة. خلافا لسيبويه في اللام، فإنها شديدة عنده . و الإستفال و الانفتاح"[٥].

---

(١) " الفائق" للزمخشري، دار إحياء الكتب العربية، دط، القاهرة،مصر، ١٩٤٥، ٤٥٩/٢ .

(٢) الكامل ٢٩٥/١ .

(٣) جمهرة اللغة ٢٧٤/١.

(٤) سر صناعة الإعراب ١٩٧/١ .

(٥) " أصوات اللغة العربية " د/ عبد الغفار حامد هلال، ط٢، مطبعة الجبلاوي، ، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ .

وأنكر بعض المحدثين نسبة إبدال اللام ميما في أداة التعريف إلى حمير، لأن الحميريين لا يستعملون ذلك في التعريف، وإنما أداة التعريف عندهم (ن) أو (أن) ويزعم أن الحديث الوارد في ذلك ضعيف أومكذوب وضعه اللغويون شاهدا على الطمطمانية وأن الرسول تكلم بلسان حمير، ومع أن الدارس ينكر هذه الظاهرة إلا أنه ينسبها إلى بعض عشائر طيء[١]، ثم إن ما رآه " هذا الدارس غير صحيح، لأنه رمى الحديث بالضعف والكذب دون دليل من علم الحديث وبتجرؤ غير مقبول، مع أن الحديث صحيح روته الكتب المعتمدة " [٢]، كمسند أحمد بن حنبل، ومن هنا فهو حديث صحيح رواه الثقاة المعتد بهم[٣].

وزعم بعض الباحثين أن علماء العربية القدامى خلطوا بين اليمن وحمير وربما أنهم فعلوا ذلك لعدم معرفتهم باللغة الحميرية، فظنوا أنها هي اليمنية و الحق أن الحميرية شيء واليمنية شيء آخر[٤]، والواقع أن " هذا المدعى من التفريق بين الحمير واليمن غير صحيح ، فاليمنية تشمل الحميرية، وحمير كبرى الدول اليمنية وتنسب إلها اللهجات اليمينية، فيقال اللهجات الحميرية أحيانا والسبئية أحيانا أخرى " [٥]، ولا تزال هذه الظاهرة الصوتية منتشرة هناك إلى يومنا هذا في بعض جهات حاشد، وأرحب، وبني حشيش، وبعض بلاد همدان، وسحار من صعدة، و بالأخص في قرية الطلح، و في معظم مناطق تهامة، و لكنهم ينطقونها (إِمْ) بكسر الهمزة [٦]، أما في لهجة سيدي بلعباس فلم أقف لها على أثر .

---

(١) "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" د/ جواد علي، دط ، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، دت، ص٨/٥٧٦.

(٢) اللهجات العربية نشأة وتطورا .

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٥/٤٣٤.

(٤) "اللهجات العربية في التراث " د/ أحمد علم الدين الجندي، دط، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٨، ص ٣٩٩.

(٥) "اللغة العربية خصائصها و سماتها " د/ عبد الغفار حامد هلال، دط، طبعة الحضارة، ١٩٧٦ .

(٦) لهجات اليمن قديما و حديثا ٦٤ .

ومن المظاهر الصوتية الأخرى التي ردها المحدثون، إبدال العين نونا، في الفعل أعطى، وقد لقب القدامى هذه الظاهرة بالإستنطاء، وجاءت في صور اشتقاقية متعددة من هذا الفعل. قراءة قوله تعالى:﴿ إنا أنطيناك﴾[١]، وكذا قولهم: اليد المنطية "وليس في وسعنا تفسير هذه الظاهرة بالقلب والإبدال، لأن شرط الإبدال هو القرابة الصوتية، وليس بين العين والنون قرابة صوتية واضحة فهما صوتان متباعدان مخرجا، مختلفان مجرى، إذ أن الهواء يسلك في النون طريق الأنف ويسلك في العين طريق الفم "[٢]. ولوكان صحيحا أن العين تبدل نونا إذا جاورت الطاء، لروي لنا الإستنطاء في كلمات كثيرة، مثل: يعطب، ويعطس، ولكن المصادر العربية، لم ترو لنا إلا كلمة أنطى في أعطى، وبعض اشتقاقاتها[٣].

وردّ أحد المحدثين هذه الظاهرة إلى خطأ سماع الرواة القدامى وعدم وصفهم الظاهرة بدقة كما كانت جارية على ألسنة الناطقين بها، فرأى أن إبدال "العين الساكنة نونا ليست خاصة بذلك و لم يكن الأمر مقصورا على الفعل (أعطى) بل يتعلق بنطق كل عين سواء وليها (طاء) أو صوت آخر، وذلك بأن يجعلوا مجرى النفس معه من الفم والأنف معا، فتسمع العين ممتزجة بصوت النون وليس في الحقيقة نونا بل هي (عين) أنفمية، و قد سمعوا هذه الصفة ممثلة في الفعل"أعطى" فأشكلت عليهم، و لم يصفوها لنا على حقيقتها"[٤]. غير أن دارسا آخر رأى في هذا القول طعنا بلا دليل " فهم وصفوا ما سمعوه، ويكفي ما ورد

---

(١) الآية ١ من سورة الكوثر.

(٢) " في التطور اللغوي " د/ عبد الصبور شاهين ٥٨.

(٣) فصول في فقه العربية ١٢١ .

(٤) " في اللهجات العربية " د/ إبراهيم أنيس ١٤٢ .

من أمثلة ليكون هو الأساس الذي ينبني عليه تحقق هذه الظاهرة " [١]، ويضيف شارحا لهذه الظاهرة ومعطيا لها مسوغا تجيزه الدراسات الصوتية الحديثة. فإذا كان القلب و الإبدال إنما هو فيما تقارب من الأصوات مخرجا أو صفة، فإن العين و النون متباعدان مخرجا، و لكن بينهما تقارب في بعض الصفات و هي الجهر، و الإستفال، و الانفتاح و على ضوء هذا يمكن التبادل بينهما [٢].

وزعم دارس آخر أن الفعل أنطى مأخوذ من آتى بمعنى أعطى ، ثم ضعفت فاؤه فصار أتّى، وحي أرادوا التخلص من ثقل التضعيف، أبدلوا أحد المثلين نونا عن طريق المخالفة، وذلك على سنن العربية واللغات السامية في فرارها من المضعف بالنون أحيانا كجندل من جدّل [٣].ونص على أن هذه الظاهرة سامية، فالدرس المقارن كشف أن الفعل في الساميات بالنون فأعطى في العبرية (نَتَنَ)، و في السريانية (نَتَنْ) كالفعل العبري تقريبا، و في العبرية أيضا الفعل (نَطَا)الذي يستعمل في مثل قولنا (نَطَا يَدُو) بمعنى (مَدَّ يَدَهُ) ، أي أخذ وهو المعنى المضاد لأعطى العربي و الموافق لعطا يعطوا الذي يعني أخذ و تناول .و من هذا نخلص إلى أن النون أصيلة في الفعل أنطى ، و هو الفعل السامي القديم [٤].

و لا يزال هذا النطق سائدا في العراق [٥]، أما في لهجة سيدي بلعباس، فلم أقف عليه، إلا أنه لفت انتباهي قولهم: (تْنَيَّطْهَا) بمعنى تأتيك بها وتعطيها لك، فيقولون: (تْنَيَّطْهَا لك) ويقصدون بذلك تحضرها بأي شكل من الأشكال حتى لو

---

[١] " اللهجات العربية نشأة و تطورا " ١٨٦ .

[٢] اللهجات العربية نشأة و تطورا ١٨٦ .

[٣] دراسات في اللغة " د/ إبراهيم السامرائي ، دط، مطبعة العاني، بغداد، العراق، ١٩٦١ ، ص ٢١٧ .

[٤] " الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن ٣هـ" د/ محمد حسن آل ياسين، ط١ ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ —١٩٨٠م، ص ٤٧٥ .

[٥] سماعا من بعض البرامج التي تبث على التلفزيون .

كانت غير موجودة، و تعطيها لك، فالمعنى متقارب إن لم يكن هو ، و الراجع أن قولهم: (تْنَيَّطْ) هي نفسها أنطى مع انحراف على ألسنتهم ، وأن العين كانت مكسورة فأشبعت كسرتها حتى أصبحت ياء على الشكل الآتي :

تِنْطَ (تـ : كسرة غير ظاهرة) إشباع كسرة التاء ◄ (تْنَيَّطْ) وأصبحت كسرة التاء خفية .

هذه الظاهرة كما رأينا سامية قديمة، وهناك ظواهر لهجية أخرى شأنها شأن الإستنطاء سامية قديمة منها ما لقب بالفحفحة والطمطمانية، فالمحدثون أنكروا ظاهرة إبدال العين من الحاء، لأن الشواهد الموجودة تذكر كلمة واحدة (عتّى في حتّى) ، لكن الدرس المقارن حل هذا الإشكال إذ يقابل حتى العربية (عَدَّ) في العبرية ، و(عَدْ) في الآرامية، حيث أبدل صوت التاء المهموس في هاتين اللغتين دالا و هو نظيره المجهور، ليتجانس مع صوت العين المجهور، فصوت العين في هذه الكلمة هو الأصل السامي الذي احتفظت به هذيل. وذهب أحد الدارسين الغربيين إلى أن إلى أن عتّى منحوتة من (حتّى) العبرية و(عَدَّ) أو (عَدَى) السبئية[1]، وهو كلام تؤيده القرابة الصوتية بين العين والحاء، بين الدال والتاء.

وإبدال اللام ميما وجد في اللغات السامية فأصوات(اللام و الميم و النون) تعد من الأصوات المائعة الشبيهة بأصوات اللين، و هي من أكثر الأصوات شيوعا في اللغات السامية، و كثيرا ما يبدل بعضها من بعض في هذه اللغات، فنجد على هذا الأساس، أن أداة التعريف هي (النون) تلحق آخر الكلمة في اللغات اليمنية القديمة، و (أَمْ) في طيء و الأزد و حمير، و (أَلْ) أو (اللام)، على خلاف ذلك في سائر اللهجات العربية [2].

---

[1] فصول في فقه العربية ١١٩ نقلا عن Ancient .p.٤٠.

[2] الدراسات اللغوية عند العرب حتى القرن ٣ هـ ٤٧٨ .

أما الجيم في الأصوات التي أصابها التطور في لهجة سيدي بلعباس، فبعد أن كان صوتا شديدا، ينطق اليوم في لهجة سيدي بلعباس صوتا مركبا، أي معطشا، كما وصفه أحد المحدثين" و هناك نوع آخر يسمى بالجيم المعطشة و هي التي تشبه نطق الكلمة الفرنسية Jour (يوم)، و Je (أنا) و الكلمة الإنجليزية Measure" [1]. فالجيم في لهجة سيدي بلعباس تنطق دال غارية – أي من الغار– و شين مجهورة كقولهم : (شحا في جحا). أما إذا جاورت صوت الزاي فإنها إما تدغم فيه كقولهم : (دزاير في الجزائر)، أما قولهم:(زجّ في جزّ الصوف) و(زاجيه في جازية) و هو اسم علم مؤنث، فعبارة عن قلب مكاني بين صوتي الزاي والجيم. فمع أن الزاي و الجيم متباعدان مخرجا، إذ أن الزاي صوت أسناني لثوي، أما الجيم فصوت غاري، أي من وسط الحنك، غير أن تشابههما في بعض الصفات كالجهر و الترقيق جعل العلاقة قائمة بين الجيم و الزاي، حيث جاز أن تدغم الجيم في الزاي. أما علة القلب المكاني بينهما، فيعود إلى طبيعة حدوث الصوتين، حيث أن عضوي الاتصال مع صوت الجيم ينفصلان ببطيء ، أما مع الزاي فالهواء يخرج متواصلا بسبب المنفذ الضيق الذي يتركه طرف اللسان أثناء اتجاهه نحو الأسنان، و لهذا من السهل عليهم نطق صوت الزاي عكس صوت الجيم الذي يجدون في تحقيقه صعوبة، مما حذا بهم إلى إبدال الزاي محل الجيم، والعكس، من أجل السهولة و تحقيق السرعة في الكلام .

فالقلب تبادل مكاني يحدث بين الأصوات في السلسلة الكلامية، و هو ظاهرة صوتية صرفية لا تخرج عن دائرة التقديم و التأخير[2]، فالظاهرة مصدرها

---

[1] " الأصوات اللغوية " د/ عبد القادر عبد الجليل ١٧٧ .

[2] أسس علم اللغة ١٤٩.

" تدافع الحروف على اللسان، و الخطأ في إخراجها، المتأتي من السرعة في النطق، السبب وراء شيوع هذه الظاهرة التي وجدت لها متنفسا فسيحا وسط القبائل البدوية. ذلك لأنها تتوخى السرعة في إخراج الكلمات و الابتعاد عن المبالغة في التأليف بالألفاظ"[1].

إن الإنسان بطبعه يميل في حياته العملية إلى مبدأ السهولة و السير للوصول إلى مقاصده، و لهذا نراه يلجأ كثيرا إلى بتر الكلمات ، أي إسقاط بعضها، ففي لهجة سيدي بلعباس نميز هذا النوع من الاختزال، و من هذه السمة حذفهم لام (على) الجارة، و نون (من) الجارة، و حذف الأصوات عند الوقف وفي الوصل أيضا، كقولهم : (نكولك) في أنا أقول لك، و(نوض) في انهض، و(شكون) في من يكون ؟ كذلك قولهم : (دَرْوكْ) بمعنى: في هذا الوقت، فسقط حرف الجر (في) مع هاء اسم الإشارة، والتاء، وأبدل الذال دالا، والقاف كافاً، واللام راءً، مع العلم أن مجموعة (الراء واللام والنون) أكثر الأصوات إبدالا فيما بينها. و هذه الظاهرة من ميزات البدو، فالقبائل البدوية قديما كتميم و غيرها مالت إلى السرعة في الكلام " و تلمس أيسر السبل، فتدغم الأصوات بعضها في بعض، و تسقط منها ما يمكن الاستغناء عنه دون إخلال بفهم السامع. و لا شك أن حياة السكينة والهدوء في البادية لا تتطلب نشاطا كذلك الذي قد تحتاج إليه حياة الحضر، لما بها من صخب و أمور دنيوية. ولا يستطيع المرء أن يشق طريقه بنجاح في حياة الحضر إلا بعد أن يظهر نشاطا في عمله، و أن يلق جهدا في موارد رزقه. أما البدوي الذي يقنع بالقليل، ويخلد إلى السكينة و الهدوء فحياته مليئة بالتراخي، وما يشبه الكسل حتى في نطقه، فهو يقتصد في الجهد العضلي و في التنفس،

---

[1] " الأصوات اللغوية "د/ عبد القادر عبد الجليل ٣٠٢ .

ويميل إلى الاختصار في القول، لا يكاد يبدأ الكلام حتى ينتهي منه، لهذا كله صبغت لهجات البدو بصفات صوتية خاصة تخالف لهجات الحضر"[١]، لكننا نعتقد أن العكس هو الصحيح فالهدوء الذي يحياه البدوي يمكنه من نطق الكلام كاملا دون اختصار، لكن الواقع غير ذلك، وما دعاه إلى إسقاط الأصوات في كلامه هو تلك الحياة الشاقة التي يحياها والتي تتطلب منه السرعة في الكلام وبالتالي عدم تحقيق الأصوات.

و من هنا نرى كيف حذت لهجة سيدي بلعباس نظيرتها البدوية في الاختزال والسرعة في الكلام، و كأن لهجة سيدي بلعباس ما هي في مظاهرها إلا امتداد طبيعي للهجة تميم أو طيء أو أسد أو غيرها من القبائل البدوية التي سكنت وسط الجزيرة العربية أو شرقها، فتحلت بنظام صوتي مميز، اكتسبته من طبيعة المنطقة الصحراوية الجافة، والترحال الدائم إلى مواطن الماء و الكلأ، و كذا طبيعة البدو الخشنة التي تأبى الانصياع و التأثر لكل ما هو غريب عنها .

المهم، و بعد كل ما تقدم، إن المتأمل في لهجة سيدي بلعباس يخرج بنتيجة واحدة، هي أن هذه المظاهر الصوتية التي تحكم هذه اللهجة ما هي إلا امتداد للهجات البدوية العربية القديمة، و عندما تقول لهجة سيدي بلعباس فنقصد بها التكلمات التي لا تزال سارية على ألسنة الأصول- أي المشايخ- لأن الجيل الجديد من الشباب قد حرفها تماما، فلا تكاد تسمع كلمة عربية إلا و زاحمتها عشر كلمات أجنبية : فرنسية ، إنجليزية ، إسبانية . وربما هذا الذي دفع أحد المصريين إلى القول ببعد اللهجات المغاربية عن اللهجات العربية القديمة[٢]

و مع كل هذا فالمجال بين اللغة العربية و مختلف لهجاتها المحلية (أي العامية) هو غير الذي نشاهده بالنسبة إلى اللغات الأخرى، و ذلك أن اللهجة المحلية مهما

---

(١) " في اللهجات العربية " د/ إبراهيم أنيس ١٣٢.

(٢) "علم اللغة" د / رمضان عبد التواب ١٥٠.

خالطتها الأصوات الأجنبية (مثل الأصوات البربرية أو الفرنسية أو غيرهما) ومهما تسربت إليها المفردات و التراكيب الواردة منهما، فإنها تبقى في هيكلها العام و في قدرتها على تبليغ المعاني الأساسية و في أغلب تراكيبها و مفرداتها وصيغها البلاغية، قريبة جدا من الأنموذج الفصيح ، بل قل إن هذا النموذج ما فتئ يغذيها بصورة شعورية أو غير شعورية، فلا تزال إلى يومنا هذا لغة القرآن والحديث تغذيها بصورة دائمة.

من هنا نرى كيف أيدت الدراسات الصوتية الحديثة معظم ما تناوله نحاة العربية القدامى، وكيف أن اللهجات العربية المعاصرة عبارة عن امتداد للهجات العربية القديمة أكثر من امتدادها للفصحى، ونتائج أخرى حاولنا حصرها في الخاتمة.

الخاتمة

بعد هذه الجولة الشاقة والشائقة في بحر لهجات العربية، استطعنا أن نخلص إلى نتائج عديدة، نوجز أهمها فيما يلي:

اللغة العربية ليست لغة قريش كما يرى الكثير من الباحثين سواء القدامى أو المحدثون، فالإدغام والهمز مثلا خاصتان بلهجة تميم، وهما أهم شيء في الفصحى.

إن القدامى مع ما توفر لديهم من حس فطري مرهف، وذكاء ثاقب، ودقة في الملاحظة، تنبهوا إلى اللهجات كما أدركوا تنوعها واختلافها وكشفوا عن علاقتها بالفصحى، وكانت جهودهم في الدراسة اللهجية مبثوثة في كتب اللغة والبلاغة وكتب القراءات، والمعاجم الجامعة، بل قد نجد ما يتعلق بها في كتب الطب والجغرافيا وغيرها.

تناول القدامى الدرس اللهجي من مستوياته المختلفة، الصوتية والصرفية والتركيبة والدلالية، فكانت معالجتهم الصوتية للظواهر اللهجية معالجة ناضجة دقيقة، وبخاصة تناولهم للتبدلات الصوتية، حيث أطلقوا على كل ظاهرة من هذه الظواهر مصطلحا يضبطها نحو العنعنة، الكسكسة، الكشكشة.

إذا لم يكن الإبدال من باب اللهجة، لا ينعتونه بمصطلح، بل لا يشيرون إلى كونه لغة، كما اعتادوا.

والظاهر لدى الدارسين القدامى أنهم يشرحون الإبدال مع تعليله، وإذا لم يهتدوا إلى مسوغ له رموه بالقبح، كما فعل ابن جني حين عرض لإبدال اللام ميما، أو ما يعرف بالطمطمانية.

للبداوة والموقع الجغرافي أثر هام في الاختلافات الصوتية بين اللهجات العربية، ففي الوقت الذي كانت تجنح فيه القبائل البدوية إلى الأصوات المفخمة المجهورة اختارت القبائل المتحضرة كالحجاز، الرخو والمهموس منها.

معظم الاختلاف بين اللهجات العربية القديمة والمعاصرة يرجع إلى الناحية الصوتية، ويحتل الجانب الصرفي المرتبة الثانية.

اللهجات العربية المعاصرة في حالتها اليوم ما هي إلا امتداد طبيعي للهجات العربية القديمة.

لهجة سيدي بلعباس واحدة، وهي في حالها اليوم سوى امتداد طبيعي للهجات العربية القديمة .

لهجة سيدي بلعباس امتداد للهجات شمال الجزيرة العربية وشرقها، وهي قبائل بدوية كما نعلم، وبالتالي فلهجة سيدي بلعباس لهجة بدوية خالصة.

تختار الأصوات ما يناسبها مخرجا وصفة فلا يمكن أن يبدل الصوت إلى صوت آخر بعيد عنه في المخرج، ولا يناسبه في الصفة، إذ لابد من القرابة الصوتية، فلا يمكن لصوت من أصوات الشفة أو الأسنان مثلا أن يبدل إلى صوت آخر من أصوات الحلق أو العكس.

تلحق الأصوات الضعيفة بالقوية في اللهجات البدوية قديما وحديثا كما هي الحال في لهجة سيدي بلعباس، فتبدل التاء طاءً، والسين زايا، والقاف كافا.

يميل الجيل الجديد إلى التخلي عن بعض الكلمات العربية وتعويضها بكلمات أجنبية، فلا تكاد تسمع مفردة عربية إلا وتتبعها سلسلة من المفردات الأجنبية الأخرى كالفرنسية أو الإسبانية.

ما زالت اللهجات العربية المعاصرة بالرغم من الهوة الفاصلة بين بعضها البعض، تسير على نظام اللغة العربية في مختلف مستوياتها: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

اللهجات العربية مهددة بالابتعاد عن اللهجات العربية القديمة، ومن ثم الفصحى، وإذا لم يسارع ذووا الهمم لحفظ اللغة العربية وجعلها مسايرة لمتطلبات العصر، فإنها ميتة لا محالة، ولله در من قال:

وسعت كتاب الله لفظا وغاية

وما ضقت عن آي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة

وتنسيق أسماء لمخترعات

فلا تكلوني للزمان فإنني

أخاف عليكم أن تحين وفاتي

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

استدراك

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم.	ترسمت: تثبت ونظرت هل ترى أثر منزلها خرقاء: اسم امرأة كان يشبب بها . الصبابة: رقة الشوق. سجم الدمع: سال، مسجوم سائل مهراق.
.....***تراب وعن الأرض بالناس تخسف.	خسف المكان: ذهب في الأرض.
العسف .	الأخذ على غير الطريق.
الخبء.	ما خُبِئَ: خبء السماء القطر وخبء الأرض النبات.
أريني جوادا مات هزلا***.....	هزلا: ضعيفا.
ينفحنا منه لهبا منفوحا***لمعا يرى لا ذاكيا مقدوحا.	نفحت الريح: هبت، نفحة من العذاب قطعة منه. تذكية النار: رفعها.
.....***أو أم خشف بذي شث وطباق.	الشث بالفتح نبت طيب الريح مر الطعم، يدبغ فيه. طباق: منشر.
كأنها بعد كلال الزاجر***.....	الزاجر: المانع الناهي
بلغت قلوب الخلق عند الغلصمت***.....	الغَلْصَمَةُ: رأس الحلقوم وهو الموضع الناتئ في الحلْق.
.....*** طارت وفي كف من ريشها بتك.	البتك : القطع .
.....*** ليس بكياس ولا جدهمق.	رجل كيس: ظريف.
وبالغداة كسر البرنجّ. يقلع بالود وبالصيصجّ	البرني: ضرب من التمر. البرنية: إناء من الخزف. الود: الوتد. الصيصي: الحصون .
كأن في أذنابهن الشول من عبس الصيف قرون الإجل.	العبس في هذا البيت يكون من البعر والبول. وفي غريب الهروي أنه نظر إلى نعم بني فلان وقد عبست في أبوالها وأبعارها

	يعني ما جف من ذلك على أفخاذها من السمن. جمهرة اللغة ٣/٧١.
إذا لم يكن في من ضل ولا جنى***	الجنى من الجني.
تنيف إذا اقورت من القود وانطوت بهاد رفيع يقهر الخيل صلهبي.	أناف على الشيء: أشرف عليه. اقورت: ضمرت . القَوْد: مصدر قاد الفرس يقوده: إذا جره خلفه. الهادي : العنق. يقهر : يسبق. صلهب: طويل.
وفي كل حي قد خبطّ بنعمة فحق لشأس من نداك ذنوب.	خبطت بنعمة: أنعمت وتفضلت. شأس: أخ علقمة، ويقال ابن أخيه أو ابن أخته. الدنوب: الدلو.
إذ ذاك إذ حبل الوصال مدمش.	مدمج: أدمج الحبل: أجاد فتله
فعيناش عيناها وجيدش جيدها سوى أن عظم الساق منش دقيق.	يخاطب ظبية أعطى صائدها شاة ، ثم حلها من الشراك بعد أن تأمل في محاسنها
إلى كعهدكم بذي بقر الحمى هيهات ذو بقر من المزدار	ذو بقر: واد فوق الربذة، والربذة كانت حمى كانت خارج المدينة المنورة، والتي جعلها عمر بن الخطاب حمى لابل الصدقة. وذو بقر: قرية في ديار بني أسد أيضا.
لا تقذفني بركن لا كفاء له وإن تأثفك الأعداء بالرفد.	تأثفك الأعداء: احتوشك. الرفد: جمع رفدة، وهي الإعانة.
الجؤنة.	سلة مستديرة، مغشاة أدماً، يجعل فيها الطيب والثياب.
صفقة ذي ذعالت سمول بيع امرئ ليس بمستقيل.	الذعالت: الخلقان من الثياب. ثوب سمول. خلق مستقيل: طالب فاسخ البيع.

السويق.	طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير.	
سملق.	القفر الذي لا نبات فيه.	
علث الطعام.	خلطه.	
النشوغ.	السعوط: الدواء يدخل في الأنف	
شنباء.	العذبة الفم.	
فتركنا نهدا عيلا أبناؤها وبني كنانة كاللصوت المرد	نهد أبو قبيلة من اليمن. عيل: جمع عائل: أي فقير. المرد: جمع مارد وهو العاتي الخبيث.	

قائمة المراجع والمصادر

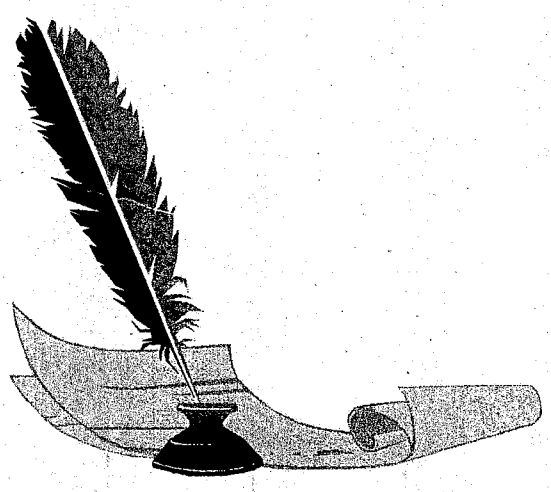

المصادر والمراجع بالعربية:

١- الإبدال ١٩٦٠-١٩٦١ أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي تحقيق عز الدين التنوخي مطبوعات، المجمع العلمي العربي، دمشق، دط .

٢- الإتقان في علوم القرآن ١٤١٩هـ -١٩٩٨م الإمام جلال الدين السيوطي حققه : عصام فارس الحرشاني حقق أحاديثه محمد أبو صعيليك دار الجيل - بيروت ط١ .

٣- أثر القراءات في الأصوات و النحو العربي - أبو عمور ابن العلاء - ١٤٠٨هـ -١٩٩٧م د/ عبد الصبور شاهين مكتبة الخانجي القاهرة ط١ .

٤- أسس علم اللغة ١٩٨٣ ماريو باي ترجمة د/ أحمد مختار عمر القاهرة دط.

٥- أصوات اللغة العربية ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م د/ عبد الغفار حامد هلال مطبعة الجبلاوي، ط ٢ .

٦- الأصوات اللغوية ١٩٧١ إبراهيم أنيس مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ط٣ .

٧- الأصوات اللغوية ١٩٩٨ د/ عبد القادر عبد الجليل دار الصفاء للنشر و التوزيع،ط١

٨- الألفاظ و الحروف ١٩٦٩ أبو نصر الفارابي
شرحه محسن مهدي،بيروت،دط.

٩- الأمالي ١٣٤٤هـ -١٩٢٦م أبو علي القالي
القاهرة، ط ٣ .

١٠- الإنصاف في مسائل الإخلاف ١٤١٨هـ -١٩٩٨م كمال الدين الأتباري
بين النحويين البصريين و الكوفيين قدم له و وضعهوامشه و فهارسه حسن
محمد بإشراف إميل بديع يعقوب دار
الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط١ .

١١- البحر المحيط ١٣٢٩ هـ أبو حيان الأندلسي
القاهرة دط .

١٢- البيان و التبيين ١٣١١ هـ الجاحظ
طبعة القاهرة دط .

١٣- تاج العروس ١٣٨٦هـ -١٩٦٦م الزبيدي
طبعة بيروت
دط .

١٤- تأويل مشكل القرآن ١٤٠١هـ -١٩٨١م ابن قتيبة
شرحه و نشره د/ أحمد صقر
المكتبة العلمية، بيروت - لبنان ط ٣ .

١٥- تاريخ اللغات السامية ١٩٨٠ م ولفسون أبو ذؤيب
دار القلم - بيروت -لبنان ط ١ .

١٦- تهذيب اللغة د ت الأزهوي
الدار المصرية للتأليف و الترجمة،
مطابع سجل العرب، دط .

١٧- جمهرة اللغة ١٣٤٤ هـ ابن دريد
مطبعة المعارف بحيد آباد، ط١.

١٨- الجيم ١٩٧٤ م أبو عمور الشيباني
تحقيق إبراهيم الأبياري و جماعة نشر
مجمع اللغة العربية في القاهرة، دط.

١٩- الحجة في قراءات الأئمة السبعة دت ابن خالويه،
مخطوطة بدار الكتب برقم ١٩٥٢٣.

٢٠- الخصائص د ت أبو الفتح عثمان بن جني ،
حققه محمد علي النجار، دار الهدى
للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، دط.

٢١- دراسات في اللغة ١٩٦١م د/ إبراهيم السامرائي
مطبعة العاني بغداد، دط .

٢٢- الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م محمد حسين آل ياسين
منشورات دارمكتبة الحياة، بيروت،ط١.

٢٣- دراسة الصوت اللغوي ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م — د/ أحمد مختار عمر
توزيع عالم الكتب، ط ٣ .

٢٤- ذرة الغواص في أوهام الخواص ١٩٧٥م — الحريري
بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم،
ط نهضة مصر، دط .

٢٥- سر صناعة الإعراب ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م — أبو الفتح عثمان بن جني
دراسة و تحقيق د/ حسن هنداوي، دار
القلم دمشق، ط ١ .

٢٦- سر صناعة الإعراب ١٩٥٤ — أبو الفتح عثمان بن جني
الحلبي .

٢٧- شرح شواهد الشافية ١٣٤٥هـ — الرضي
طبعة صبيح، دط .

٢٨- شرح مفصل د ت — ابن يعيش
طبعة المنيرية، دط .

٢٩- الشعر والشعراء ١٩٨٢ — ابن قتيبة ،
تحقيق أحمد شاكر، طبعة دار المعرف،
دط.

٣٠-الصاحبي في فقه اللغة ١٩٦٤ — أحمد بن فارس
و سنن العرب في كلامها
تحقيق مصطفى الشويمي،بيروت، دط.

٣١- العربية دراسات ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م في اللغة و اللهجات و الأساليب
يوهان فك مع تعليقات شبيلر
ترجمه و قدم له د/ رمضان عبد التواب،
مكتبة الخانجي، مصر، دط .

٣٢- العقد الفريد ١٢٩٣هـ
ابن عبد ربه
طبعة القاهرة، دط .

٣٣- علم اللغة ١٩٤٥
د علي عبد الواحد وافي
دار النهضة، القاهرة،دط.

٣٤- العين ١٩٦٧
الخليل إبن أحمد الفراهيدي
تحقيق د/عبد الله درويش مطبعة
العاني، ببغداد ، دط .

٣٥- الفائق ١٩٤٥م
الزمخشري
دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

٣٦- فصول في فقه العربية ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م
رمضان عبد التواب
الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣.

٣٧- في التطور اللغوي ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م
عبد الصبور شاهين
مؤسسة الرسالة بيروت،لبنان، ط ٢.

٣٨- في اللهجات العربية ١٩٩٥م
إبراهيم أنيس
مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٩.

٣٩- القراءات القرآنية ١٩٦٦م
في ضوء علم اللغة الحديث
عبد الصبور شاهين
دار القلم، دط.

٤٠ - القلب و الأبدال ١٩٧٨
أبو يوسف يعقوب بن السكبت
تحقيق حسن محمد شرف مراجعة علي النجدي الناصف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة ، دط .

٤١- الكامل في اللغة و الأدب دت
المبرد
مكتبة المعارف، بيروت، دط .

٤٢- الكتاب ١٤١١هـ -١٩٩١م
أبو بشرعثمان بن قنبر
تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون
دار الجيل، بيروت، دط .

٤٣- الكتاب ١٣١٧هـ
أبو بشر عثمان بن قنبر
طبعة بولاق.

٤٤- لسان العرب ١٩٥٥م
ابن منظور
دار الصادر، بيروت، دط.

٤٥- اللغات في القرآن دت
رواية إبن حسنون المقريء بإسناده إلى ابن عباس
حققه د/ صلاح الدين المنجد
دار الكتاب الجديد بيروت، لبنان، ط٢.

٤٦- اللغة دت جوزيف فندريس
تعريب عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، دط .

٤٧- اللغة بين المعيارية و الوصفية دت د/ تمام حسان
مطبعة الرسالة ، دط .

٤٨- اللغة العربية خصائصها و سماتها ١٩٧٦ د/ عبد الغفار حامد هلال
مطبعة الحضارة، دط .

٤٩- اللغة العربية معناها و مبناها دت د/ تمام حسان
دار الثقافة ، الدارالبيضاء المغرب،دط .

٥٠- اللهجات العربية في التراث ١٩٧٨ د/أحمد علم الدين الجندي
القسم الأول في النظامين الصوتي و الصرفي
الدار العربية للكتاب، دط .

٥١- اللهجات العربية في القراءات ١٩٦٩م د/ عبده الراجحي
القرآنية
دار المعارف، د ط.

٥٢- اللهجات العربية نشأة ١٤١٠هـ — ١٩٩٠ م د/ عبد الغفار حامد هلال
و تطورا
ط ٢ .

٥٣- لهجات اليمن قديما و حديثا ١٩٧٠ أحمد حسن شرف الدين
مطبعة الجبلاوي، دط .

٥٤- مجالس ثعلب ١٩٦٠ أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب
تحقيق عبد السلام هارون، طبعة القاهرة، دارالمعارف، دط .

٥٥- المحتسب ١٣٨٩هـ - ١٩٨٦م ابن جني
دار التحرير، دط .

٥٦- مختصر شواذ القراءات ١٩٣٤م ابن خالويه
نشره المستشرق برجستراسر، طبعة القاهرة ، دط .

٥٧- المخصص ١٣٢٠هـ ابن سيده
طبعة الأميرية ببولاق طبعة بيروت، دط.

٥٨- مدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م د/ رمضان عبد التواب
مكتبة الخانجي دار الرفاعي بالرياض،ط١.

٥٩- المزهر في علوم اللغة و أنواعها دت عبد الرحمان جلال الدين السيوطي
شرحه و ضبطه و صححه و عنون موضوعاته محمد أحمد جاد المولي، علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع دار الجيل - بيروت - لبنان، دط .

٦٠- المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات و للنثر و الشعر دت
د/ محمد عبيد
عالم الكتب دار الثقافة العربية للطباعـــة، دط .

٦١- مسند الإمام أحمد ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م
طبعة بيروت .

٦٢- مصنفات اللحن و التثقيف اللغوي حتى القرن العاشر الهجري ١٩٩٦
د/ أحمد محمد قدور
وزارة الثقافة،إحياء التراث العـــربي
دمشق، ط ١ .

٦٣- معاني القرآن ١٩٥٥
الفراء
تحقيق الأستاذين محمد علـــي النجار و أحمد يوسف نجاتي،دار الكتـــب المصرية، دط .

٦٤- مغني اللبيب ٣٥٦هـ
ابن هاشم الأنصاري المصري
القاهرة ، دط .

٦٥- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام دت
د/ جواد علي
دار العلم للملايين، بيروت
مكتبة النهضة، بغداد، دط.

٦٦- المقتضب ١٣٨٨هـ-١٩٦٣م
المبرد
تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمه .
المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، دط.

٦٧- النشر في القراءات العشر دت — أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، أشرف على تصحيحه و مراجعته علي محمد الصباغ دط.

٦٨- نظرية تشومسكي اللغوية — جون ليونز .

٦٩- النوادر في اللغة ١٨٩٤ م — أبو زيد الأنصاري بيروت، دط .

٧٠- النهاية في غريب الحديث ١٣٨٣هـ — ١٩٦٣م — ابن الأثير تحقيق الزاوي و الطناحي القاهرة، ط ١ .

٧١- الهمز ١٩١١م — أبو زيد الأنصاري تحقيق لويس شيخو اليسوعي، بيروت، د ط .

٧٢- همع الهوامع شرح جمع الجوامع ١٣٢٧ هـ — الإمام جلال الدين السيوطي طبعة السعادة، دط .

المراجع بالأجنبية :

Daniel Jones, " An outline of English Phonetics", Cambridge, ١٩٥٧.

ملحق التراجم

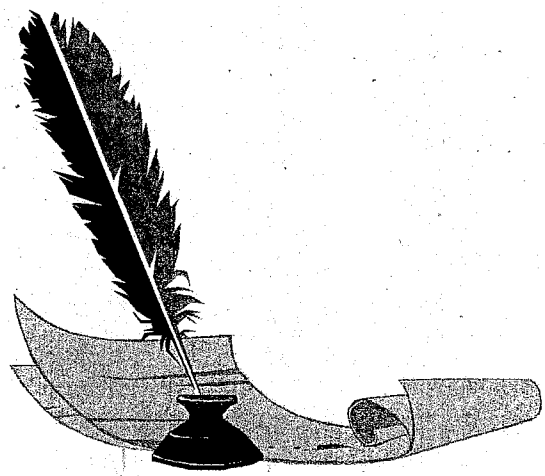

ملحق التراجـــــم

- ابن الأثير(محمد الدين المبارك بن محمد) (١١٤٩-١٢١٠) محدث لغوي مـــن أهـل الموصل. أصله من جزيرة ابن عمر. من أثاره:" النهاية في غريب الحديث والأثر".
- ابن أحمد (الخليل الفراهيدي) (١٠٠-١٧٠هـ) من أئمة اللغـة والأدب، وأستاذ سيبويه. ولد في البصرة وعاش فيها. أبدع في اللغة بدائع لم يسبق إليها، فلذلك وضعه لعلم العروض، ووضعه لأول معجم في العربية " العين".
- ابن الأعرابي (أبو عبد الله محمد) (٧٦٧-٨٤٥) إمام في اللغة من أهل الكوفة. أخـذ الأدب عن أبي معاوية الضرير والمفضل الضبي والكسائي، وأخذ عنه ابـن السكين وثعلب، له كتاب "النوادر" .
- ابن جني(أبو الفتح عثمان)(٣٩٢ هـ) من أئمة الأدب والنحو، وتلميذ أبي علـي الفارسي. لم يكن في شيء من علومه أكمل منه في التصريف، و لم يتكلـم أحـد في التصريف أدق كلاما منه. من أهم كتبه :" الخصائص"،" سر صناعة الإعراب"...
- ابن حبيب (أبو عبد الرحمن يونس الضبي البصري)(ت ١٨٢هـ).
- ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن الأسدي البصري)(٢٢٣-٣٢١هـ) من أئمـة اللغة والأدب ولد في البصرة وعاش في عمان، أهم كتبه " الجمهرة ".
- ابن السكيت(أبو يوسف يعقوب بن اسحاق) إمام في اللغـة والأدب. أصلـه مـن خوزستان (بين البصرة وفارس) .تعلم ببغداد، من كتبه:" إصلاح المنطق"،" القلـب والإبدال".
- ابن سيده (علي)(١٠٠٧-١٠٦٦) لغوي أندلسي. كان ضريرا كأبيه لـه كتـاب" المحكم والمحيط الأعظم"، وهو معجم سار فيه على ترتيب الخليل في كتاب " العـين"، و"المخصص" وجمع فيه الكلمات بحسب الموضوعات.
- ابن فارس (أحمد أبو الحسين القزويني الرازي)(٣٢٩-٣٩٥هـ) مـن أئمـة الأدب واللغة، له رسائل أنيقة، ومسائل في اللغة يعايي بها الفقهاء قرأ عليه الصاحب بن عبـاد وبديع الزمان وغيرهما. أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري ومات فيها.

- ابن فرج (أبو مروان عبيد الله الطوطالقي) النحوي ت ٣٨٦هـ.
- ابن فضل (ابن فضالة عزيز الهذلي) من أهل القرن الثالث الهجري .
- ابن قتيبة (٢١٣-١٧٦هـ) كان مقدما في اللغة العربية والأخبار وأيام الناس، وكان ثقة فاضلا دَيّناً، كثير التصنيف والـأليف عاس في بغداد، وولي قضاء الدينور، فنسب إليها. كان يميل إلى مذهب البصريين في النحو، إلا أنه خلط بين المذهبين، وحكى في كتبه.
- ابن مسعود عبد الله (أبو عبد الله الرحمن الهذلي) (٣٢ هـ) صحابي من أكابرهم فضلا وعقلا، وقربا من الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة، وكان خادم رسول الله الأمين، ورفيقه في حله وترحاله وغزواته. قدم المدينة في خلافة عثمان ومات فيها.
- ابن منظور (محمد بن مكرم) (١٢٣٢-١٣١١) لغوي مصري، تولى قضاء طرابلس العرب، اشتهر بمعجمه" لسان العرب".
- ابن هشام (جمال الدين عبد الله)(١٣٠٩-١٣٦٠) نحوي ولغوي مصري مشهور. من أئمة العربية. من أثاره " مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"،" شذور الذهب في معرفة كلام العرب "،" قطر الندى وبل الصدى"...
- أبو الأسود الدؤلي(٦٠٥-٦٨٨) شاعر من أنصار علي بن أبي طالب. إليه ينسب أصول النحو العربي.
- أبو بشر (عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه)(١٤٨-١٨٠هـ) إمام النحاة وأول من بسط علم النحو. ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة فلزم الخليل ففاقه. ورحل إلى بغداد، فناظر الكسائي، وأجازه الرشيد بعشرة آلاف درهم. صنف كتابه المسمى " الكتاب"، لم يصنع قبله ولا بعده مثله.
- أبو الحسن (علي بن حمزة الكسائي) الكوفي ١٨٩ هـ إمام في اللغة والنحو والقراءة. قرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية وسكن بغداد ومات في الري، كان مؤدب الرشيد وابنه الأمين، وكان أثيرا عنده، حتى أخرجه من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء والمؤنسين.

- أبو زكريا (يحي بن زياد المعروف بالفراء)(١٤٤-٢٠٧هـ) إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. ولد في الكوفة وانتقل إلى بغداد، توفي في طريق مكة. كان – مع تقدمه في اللغة – فقيها متكلما ، عالما بأيام العرب وأخبارها، عارفا بالنجوم والطب.
- أبو زيد الأنصاري (سعيد بن أوس)(١١٩-٢١٥هـ) كان من أئمة الأدب ثم غلب عليه اللغات والنوادر والغريب، فانفرد بذلك. وهو ثقة عند أهل اللغة. وكان سيبويه إذا قال: " سمعت الثقة" عنى أبا زيد . لم يأخذ أحد من البصريين عن الكوفيين غيره. من أثاره "النوادر".
- أبو الطيب اللغوي عبد الواحد، ت ٩٦٢هـ، لغوي حلبي، من أثاره:" مراتب النحويين"،" الأضداد"،" الإبدال".
- أبو عباس (أحمد بن يحي المعروف بثعلب) (٢٠٠-٢٩١هـ) أمام الكوفيين في النحو واللغة ورواية الشعر. كان ثقة حجة صالحا مشهورا بالحفظ وصدق اللهجة، مقدما عند شيوخه منذ حداثته. عاش في بغداد، وأصيب في أواخر عمره بالصمم. من كتبه:" الفصيح".
- أبو عباس (محمد بن يزيد الثمالي الأزدي، المعروف بالمبرد)(٢١٠-٢٨٦هـ) إمام العربية في بغداد، وأحد أئمة الأدب والأخبار، كان فصيحا بليغا، وكانت بينه وبين ثعلب منافسة شديدة. ولد في البصرة وعاش فترة في سامراء ثم انتقل إلى بغداد ومات فيها. أهم كتبه "الكامل".
- أبو عبيدة (معمر بن المثنى البصري التميمي بالولاء)(١١٠-٢٠٩هـ) من أئمة العلم والأدب واللغة. ولد في البصرة، واستقدمه الرشيد إلى بغداد، كان إباضيا شعوبيا يبغض العرب، فقد صنف في مثالبهم كتبا. ولما مات لم يحضر جنازته أحد.
- أبو عثمان (عمرو بن بحر الجاحظ الكيناني بالولاء)(١٦٣-٢٥٥هـ) من أكبر كتاب العربية وأعظمهم على الإطلاق. ولد في البصرة، ونشأ فيها، وقضى أكثر عمره. انتقل إلى بغداد، ثم استقر في بغداد حتى آخر حياته، مات بسبب سقوط مجلدات من الكتب عليه أهم كتبه " الحيوان"،" البخلاء "،" البيان والتبيين ".

- أبو عمرو بن العلاء (زبان بن عمار التميمي المازني البصري)(٧٠-١٥٤هـ). من أئمة اللغة والأدب وأحد القراء السبعة. ولد في مكة ونشأ بالبصرة ومات في الكوفة.
- أبو عمرو (إسحاق بن مرار الشيباني بالولاء)(٩٤-٢٠٦هـ) لغوي أديب، من سواد الكوفى. سكن بغداد ومات بها. جمع أشعار نيف وثمانين قبيلة ودونها. من تلاميذه الإمام أحمد بن حنبل ، كان يلزم مجالسه ويكتب أماليه.
- أبو سعيد (عبد الملك بن قريب الأصمعي) (١٢٢-٢١٦هـ) راوية العرب، وأحد أئمة الأدب، وعلماء اللغة والشعر والبلدان. عاش في البصرة ، ولكنه كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها، ويتلقى أخبارها، و يتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها.
- جلال الدين عبد الرحمن (السيوطي)(١٤٤٥-١٥٠٥) عالم مشارك في أنواع العلوم، ولد وتوفي بالقاهرة. له نحو ٦٠٠ كتاب في التفسير والحديث والفقه واللغة والتاريخ. منها :" بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"،" الدر المنثور في التفسير بالمأثور"،" المزهر في اللغة وأنواعها".
- نشوان (لبن سعيد الحميري) تـ نحو ١١٧٨ لغوي وأديب يمني. من مؤلفاته:" شمس العلوم ودواء العرب من الكلوم"، معجم لغوي كان عارف بأخبار حمير وعرب الجنوب. وكانت قبائل الجنوب تستشهد بأقواله لتفاخر عرب الشمال.

فهرس

الإهداء.

كلمة الشكر.

المقدمة.

المدخل: الدراسة اللهجية عند النحاة واللغويين العرب..... ١-٢٣

مصادر الدراسة اللهجية..... ٠٧

مفهوم اللهجة..... ١٢

مستويات الدراسة اللهجية..... ١٤

أ- المستوى الصوتي ١٦

ب- المستوى الصرفي ١٨

ج- المستوى النحوي ٢١

د- المستوى الدلالي ٢٣

الفصل الأول: الفروق الصوتية بين اللهجات العربية القديمة..... ٢٥-٧٤

أصوات الحلق..... ٢٩-٤١

الهمزة..... ٢٩

الهاء..... ٣٢

العين ٣٣

الحاء..... ٣٨

الخاء..... ٤٠

الغين..... ٤١

أصوات الفم..... ٤٢-٦٩

القاف..... ٤٢

الكاف..... ٤٣
الجيم..... ٤٨
الشين..... ٥٢
الضاد..... ٥٣
الصاد..... ٥٤
السين..... ٥٦
الزاي..... ٥٩
الطاء..... ٦٠
الدال..... ٦١
التاء..... ٦٢
الظاء..... ٦٣
الذال..... ٦٣
الثاء..... ٦٤
الراء..... ٦٥
اللام..... ٦٦
النون..... ٦٨
أصوات الشفة..... ٧٠-٧٢
الفاء..... ٧٠
الباء..... ٧١
الميم..... ٧٢
الفصل الثاني: الخصائص الصوتية للهجة سيدي بلعباس..... ٧٥-١٤٢
أصوات الحلق..... ٨٢-٩٨
الهمزة..... ٨٢
الهاء..... ٩٢

الحاء..... ٩٤
العين..... ٩٦
أصوات الفم..... ٩٩-١٣٣
الأصوات اللهوية(القاف)..... ٩٩
الخاء..... ١٠٣
الغين..... ١٠٥
الكاف..... ١٠٦
الأصوات الشجرية..... ١٠٨-١١١
الشين..... ١٠٨
الجيم..... ١١٠
الأصوات اللثوية..... ١١٢-١١٩
الراء..... ١١٢
اللام..... ١١٤
النون..... ١١٧
الضاد..... ١١٨
الأصوات الأسنانية اللثوية..... ١٢٠-١٢٩
الصاد..... ١٢٠
السين ١٢٢
الزاي..... ١٢٣
الطاء..... ١٢٤
التاء..... ١٢٦
الدال..... ١٢٨
الأصوات الأسنانية ١٣٠-١٣٣
الظاء..... ١٣٠

الثاء..... ١٣١
الذال..... ١٣٣
الأصوات الشفهية الأسنانية(الفاء)..... ١٣٣
الأصوات الشفهية..... ١٣٥-١٣٦
الميم..... ١٣٥
الباء..... ١٣٦
حذف لام وألف(على) الجارّة..... ١٣٨
حذف نون (من) الجارّة..... ١٣٨
القطعة..... ١٤٠
الفصل الثالث: نقد وتقويم لتناول نحاة العربية القدامى في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة..... ١٤٣-١٨٥
الدراسة اللهجية في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة..... ١٤٣
إبدال أصوات الحلق بين القدامى والمحدثين..... ١٤٩
إبدال أصوات الفم والشفة بين القدامى والمحدثين..... ١٥٩
الخاتمة..... ١٨٦-١٨٨
استدراك..... ١٨٩-١٩١
المصادر والمراجع..... ١٩٢-٢٠١
ملحق التراجم..... ٢٠٢-٢٠٥
فهرس ٢٠٦-٢٠٩